

٣ قروش
المختار
من
ريدرز دايجست
فى كل مقالة قيمة دائمة
اكتوبر ١٩٤٧

الظـــلم والقـــوة

قال معاوية : إني لأستحي أن أظلم من لا أجد له ناصراً عليّ إلا الله .
وقال الأحنف : ما عرضتُ النَّصَفة (العدل) على أحدٍ فقبلها إلا تداخلني منه هيبة ، ولا ردّها أحدٌ إلا طمعتُ فيه . قال غلام لعمه حين أراد أن يجازيه بسهو وقع منه : يا عمّ إني قد أسأتُ وليس معي عقلي ، فلا تسيء أنت ومعك عقلك . قيل لأعرابي : أيما أحبُّ إليك ، أن تلقى الله ظالماً أو مظلوماً ؟ فقال : ظالماً . قيل : ويحك ! ولِمَ ؟ قال : ما عذري إذا قال لي خلقتك قويًّا ثم جئت تستعدي كما يستعدي الضعفاء !

AL-MUKHTAR min READER'S DIGEST - Vol. 9, No. 50, Oct. 1947.

الطبعة العربية

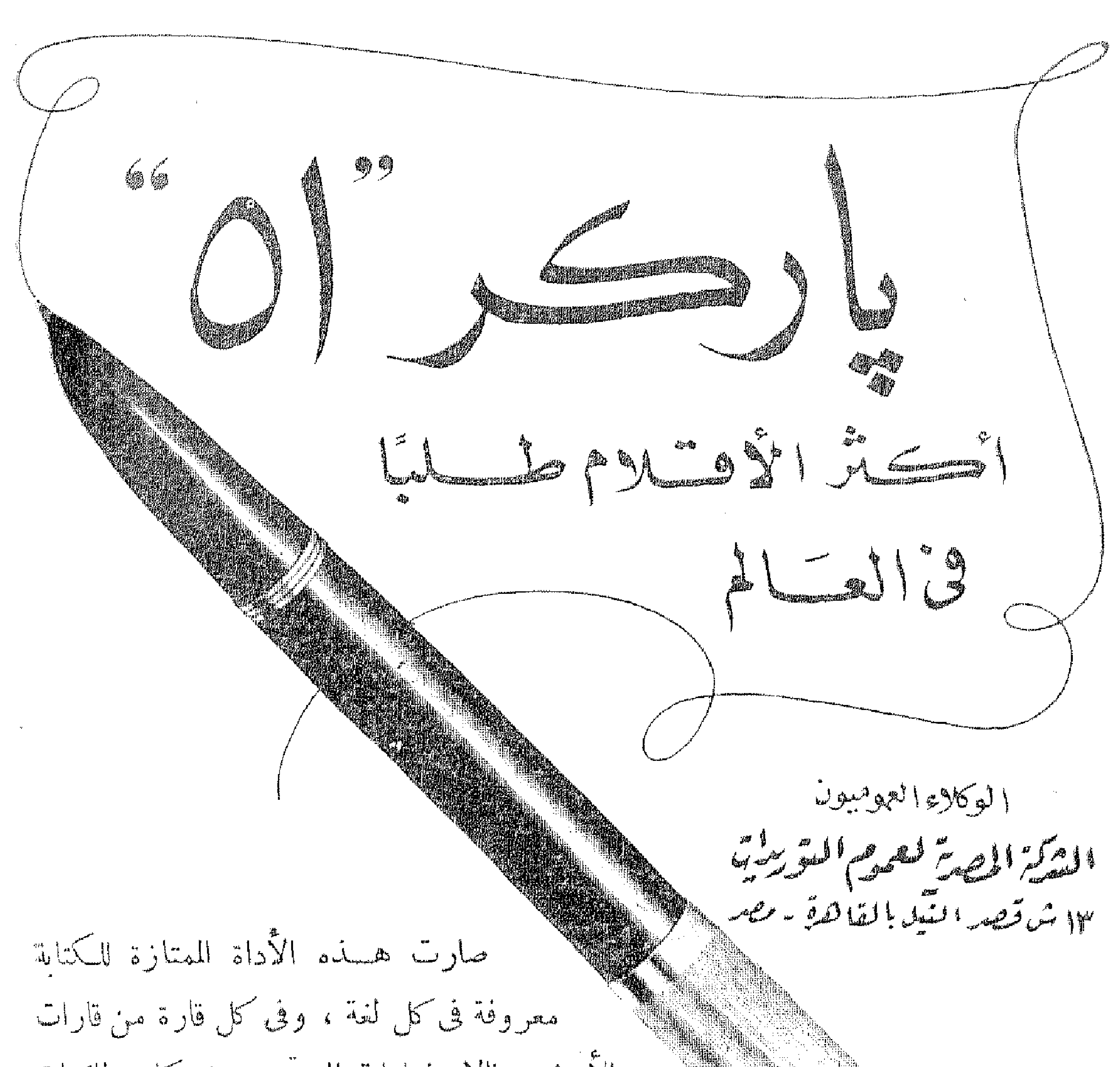
المدير العام ورئيس التحرير : فؤاد صروف . مدير التحرير : محمود محمد شاكر .
مصر والسودان : النسخة ٣ قروش . الاشتراك السنوى ٣٠ قرشاً — شرق الأردن وفلسطين ٣٥ مل
العراق ٣٥ فلساً — سوريا ولبنان ٣٥ قرشاً . الاشتراك السنوى فى سوريا وشرق الأردن
والعراق وفلسطين ولبنان والمملكة العربية السعودية واليمن ما يعدل ٤٠ قرشاً مصرياً .
وفى سائر اقطار العالم ما يعدل ٧٥ قرشاً أو ثلاثة دولارات أو ١٦ شلناً
العنوان : ١٤ شارع التاسد ، القاهرة — تليفون : ٤٢٢٦٤

الطبعات الدولية

مطبعة مصر ش م م



إذا أردت الضمان
فاختر لنفسك
القلم المضمون
واترمان
ما زالت أقلام « واترمان » مضمونة منذ ٦٠ سنة ، وهي لا تزال شيئاً ذا نفع مضمون .
أسنان الأقلام مصنوعة باليد من ذهب عيار ١٤ قيراطاً وتجد منها مجموعة عجيبة ، من أسنان صلبة ومرنة ، توافق كل يد وكل خط .
املأ قلمك بسرعة ويسر ، ونظافة — بحركة « واترمان » المضمون التي تملأ القلم بدفعة واحدة .
Waterman's
أقلام حبر . أقلام رصاص . حبر
Waterman Pen Co. Ltd "The Pen Corner" 41, KINGSWAY, LONDON, W.C.2

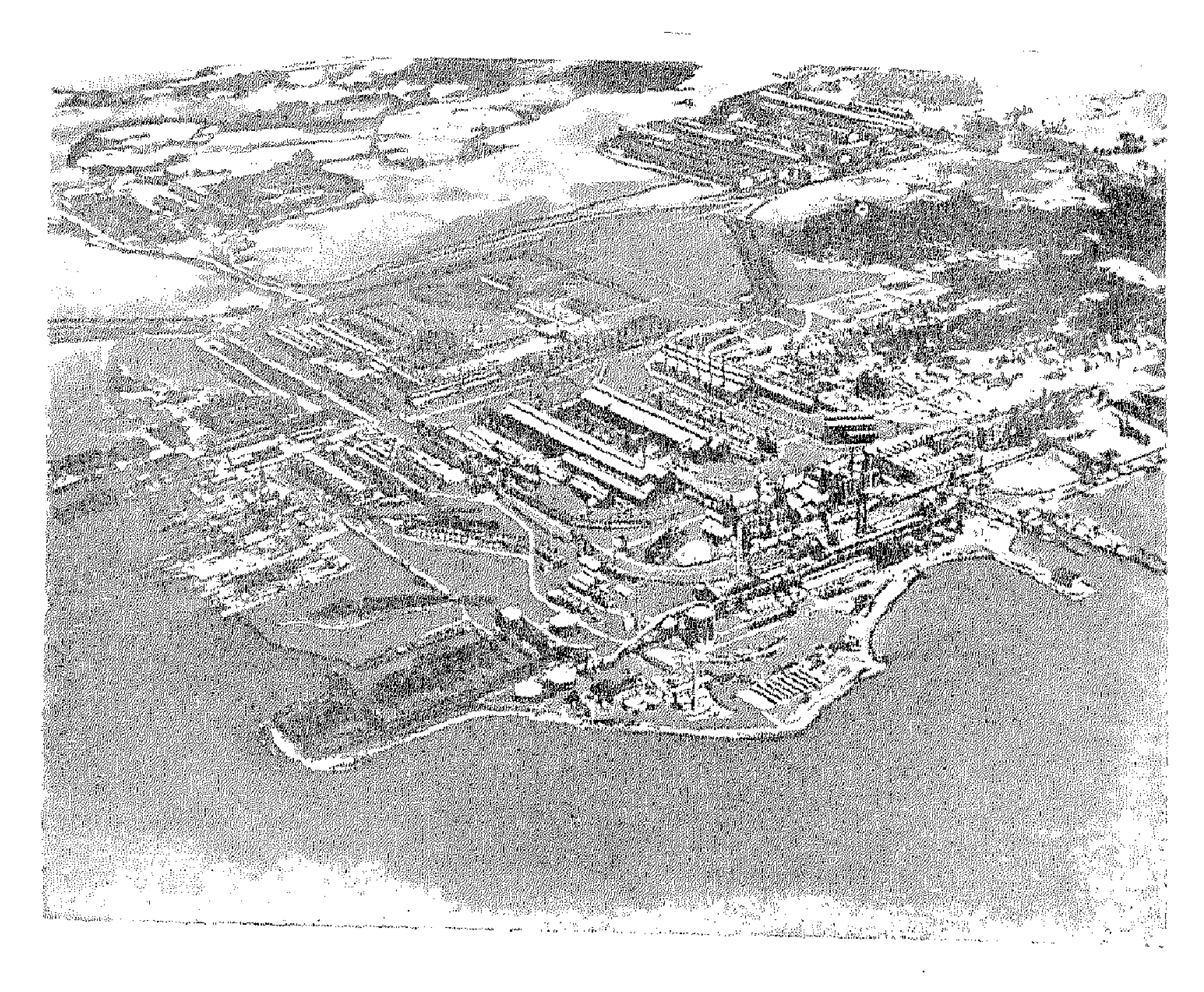


صارت هذه الأداة الممتازة للكتابة معروفة في كل لغة ، وفي كل قارة من قارات الأرض . فالاستفتاءات التي تمت بين ركاب طائرات كليبر بان أميريكان ، التي تطير بين نيويورك ولندن ، قد أثبتت أن الأصوات التي نالها قلم « پاركر » فاقت جميع الأصوات التي نالتها الأقلام الأخرى مجتمعة . والإستفتاءات التي تمت في ٢١ بلداً مختلفاً تثبت أن الزهو بحيازة قلم « پاركر ٥١ » المشهور ، شيء يعم العالم أجمع

THE PARKER PEN COMPANY

Janesiville, Wisconsin, U.S.A.

يكتب كتابة جافة بمداد سائل



من هذا المصنع العظيم القائم على حافة ماء البحر
ترسل شركة "بثلهيم ستيل" منتجاتها مباشرة إلى أسواق العالم

السفن تعبئ شحنها في مراسي الشركة لتنقلها إلى ماوراء البحار



إن مصنع « بثلهيم ستيل » الضخم في « سپارو ز پوينت » بولاية ماريلاند ، هو مصنع الصلب الوحيد في الولايات المتحدة الذى شُيِّد عند حافة ماء البحر ، فهنا ترى السفن التي تمخر المحيطات تشحن مباشرة من المصنع لتقلع إلى أرجاء الدنيا . وهذا يفضى ، إلى تقليل الأضرار المحتملة التي قد تصيب المنتجات من تكرُّر تداولها ، ويعجِّل تسليمها ، ويجعلها أصلح وأسلم عند وصولها إلى غايتها .

Bethlehem Steel Export Corporation

25 Broadway, New York 4, N.Y. U.S.A. Cable address: "BETHLEHEM, NEWYORK"

للشركة مكاتب ووكلاء في جميع عواصم العالم الرئيسية

في القطر المصري : شركة الدلتا التجارية ، ش م م — في العراق : ستانلى شعشوعة
في فلسطين : رفائيل ملتز — في سوريا ولبنان : مشيل صحناوى وولده


LAVENDER
YARDLEY

السنة الخامسة

المختار من ريدرز دايجست

المجلد ٩
العدد ٥٠

كتاب فيه لكل يوم مقالة محكمة الإيجاز باقية الأثر

أكتوبر ١٩٤٧



كان الليل رطباً بارداً فى الخارج ، أما فى غرفة الجلوس الصغيرة فكانت النار مشتعلة تتوهّج . وجلس الولد وأبوه يلعبان الشطرنج ، وجلست قريباً منهما سيدة عجوز بيضاء الشّعر تتسلى بأعمال إبرتها .

قال المستر هوايت : « لا أظنّ أنه سيحضر الليلة » .

ولم يلبث ولده هربرت أن قال : « لقد جاء » ، إذ سمع وقع أقدام متثاقلة مقبلة نحو الباب .

وهبّ الشيخ عجلاً إكراماً للضيف ، وأسرع إلى الباب ، ثم عاد ومعه رجل طويل القامة ضخم الجسم ، وقدّمه إلى زوجته وولده قائلا : « الجاويش موريس » .

وصافحهما الجندى ، واستوى على الكرسى الذى قدم إليه قريباً من النار ، وجعل ينظر إلى مضيفه نظرة الراضى وهو يعدّ الشراب والكؤوس .

فلما شرب الكأس الثالثة تلألأت عيناه وبدأ لسانه ينطلق ، وأحاطت به أبصار هذه الأسرة الصغيرة ، وصغت أسماعها إلى هذا الزائر البعيد الدار وهو يحدثهم عن المناظر العجيبة ، وعن الحروب والأوبئة ، وعن الشعوب الغريبة .

ثم سأله المستر هوايت : « لقد ذكرت لى طرفاً عن مخلب قرد ، فما الذى كان من خبره ؟ »

فأسرع الجندى يقول : « لا شىء »

ومهما يكن ، فهو شيء لا يستحق أن يُروى » .

وثار فضول السيدة فقالت : « مخلب قرد ! »

فأجاب الجندى من فوره : « إنه شىء مما يمكن أن يسمى سحراً » .

وشخصت إليه أبصار الثلاثة شوقاً إلى سماع الخبر .

وبدأ الجندى يتكلم ويده فى جيبه كأنه يبحث عن شىء فقال : « إذا وقع بصرك عليه ، لم تر شيئاً سوى مخلب صغير كسائر المخالب ، وقد جفّ حتى صار كالمحنّط » .

ثم أخرج من جيبه شيئاً ، فأشاحت السيدة بوجهها فزعة ، ولكن ولدها أخذه وجعل يقلبه ويتفحّصه .

ثم قال المستر هوايت : « وأىُّ عجيب فيه ؟ »

قال الجندىّ : « لقد أودع فيه السحرَ شيخٌ من فقراء الهند ، وقد أراد أن يدل به على أن بيد الأقدار تصريف حياة الناس ، وأن الذين يخالفون عن أمرها يصيبهم ما يسوءهم من البلاء . والسحر الذى أودعه فى هـذا المخلب يتيح لثلاثة رجال أن ينال كلّ منهم ثلاثة أشـياء يتمناها لنفسه » .

وقد بلغ من جدّه فى حديثه ولهجته أنْ شعر سامعوه بأنهم أساءوا شيئاً ما فى سخريتهم واستهزائهم بما يقول .

ثم قال هربرت : « ولم لا تتمنى ثلاث أمنيات ؟ »

فنظر إليه الجندى نظرة الكهول إلى الشباب الأغرار ، ثم قال بصوت هادىء : « لقد فعلت » ، وعلا الشحوب وجهه الأكلف .

فقالت الزوجة : « وهل أدركت حقاً ما تمنيت ؟ »

قال الجندى : « نعم » ، واضطرب فاصطدمت الكأس بثناياه القوية .

فسألته السيدة : « وهل تمنى أحدٌ سواك ؟ »

فأجابها الجندى : « لقد نال الرجل الأول أمانيه الثلاث » ولست أعرف أمنيتيه الأوليين ، ولكنّه تمنىّ الثالثة أن يموت . وكذلك آل إلىّ هذا المخلب » .

وقد كان فى لهجته من الجد ما جعل الصمت يجثم على الجماعة .

وأخيراً قال المستر هوايت : « إذا كنت قد نلت أمانيك الثلاث ، فلا خير فى حرصك عليه بعد اليوم يا موريس . وفيم حِرْصك عليه ؟ »

فأومأ الجندى برأسه ثم قال متمهلا : « هو الوهم فيما أظن . وقد فكرت يوماً

أن أبيعه ، ولكنى لن أفعل ، فحسبهُ ما أحدث من أضرار حتى اليوم » .

ثم رفع يده فجأة وألقى بالمخلب فى النار ، فصرخ المستر هوايت ثم انحنى وأخرجه من النار ثم قال :

«إذا لم تكن لك فيه حاجة، فهبنى إياه» .

فقال الجندىّ مصرًّا : « كلا ! وإذا آثرت أخذه ، فلا تلمنى إذن على ماتلقى من شرٍّ » .

وأخذ المستر هوايت يفحص هذا المخلب فحصاً دقيقاً ثم قال : « وكيف تستخدمه ؟ »

فقال : « ضعه فى يمناك ثم ارفعها ، ثم تمنَّ جَهْرةً ، ولكنى أحذرك سوء العاقبة » .

وعادوا ثلاثتهم وجلسوا عند النار يصطلون ،حتى فرغ الرجلان من التدخين، وسمعوا للريح فى الخارج دويًّا أشد مما يعهدون ، وأجفل الشيخ فزعاً حين سمع باباً ينصفق فى الدور الأعلى . وخيم على الثلاثة صمتٌ غريبٌ كئيبٌ جثم عليهم حتى حانت أوبة الشيخين إلى فراشهما .

وقال هربرت وهو يودعهما : « يخيل إلىّ أنك ستجد المبلغ مصروراً فى صرّة كبيرة فى وسط فراشك،وسترى على الصوان شيئاً مخيفاً جاثماً ينظر إليك ويرقبك » .

وأصبح الصباحُ وجلسوا على مائدة الفطور والشمس ترسل عليها أشعتها المتلألئة ، فأخذوا يتضاحكون من مخاوفهم بالأمس ، وكان المخلب الضامر البشع ملقى على منضدةٍ إلقاءً يدلُّ على قلة الاكتراث به ، وقلة إيمانهم بقوته ونفعه .

ثم قالت السيدة : « كيف آمنّا بهذا الهراء الذى سمعناه ؟ أفى أيامنا هذه ينال أحد أمانيه بالدعاء ؟ »

فقال المستر هوايت : « لقد قال موريس إن الأمانىّ تتحقق وتجىء عفواً حتى يخيل إليك أنها إنما تحدث مصادفة واتفاقاً » .

وقام هربرت وغادر المكان وهو يقول : « إذن فلا تبدّد المال حتى أعود إليك » .

خرج الضيف وأغلق الباب ، فأخرج المستر هوايت المخلب من جيبه ونظر إليه نظرة المرتاب ثم قال متمهلا : « لست أدرى ماذا أتمنى ، هذه هى الحقيقة » .

فقال ولده : « أليس مما يسرّك أن توفى ثمن هذا البيت؟ إذن فاطلب ٢٠٠ جنيه، وذلك حسبك » .

وابتسم والده خجلا من سرعة تصديقه لما يسمع ، ولكنّه رفع الطلسم فى يده ثم تمنى : « أريد مئتى جنيه » ثم صرخ صرخة مفزعة ، فأسرعت إليه زوجته وولده .

قال الشيخ : « لقد تحرك فى يدى ، وتلوّى كالثعبان وأنا أدعو » .

وضحكت أمه وراحت تشيعه إلى الباب ، وأتبعته بصرها وهو يسير ماضياً إلى عمله .

ومضى بعض النهار ، فلما جلس الشيخان إلى غدائهما لاحت من السيدة التفاتة فرأت ما أثار اهتمامها — إنه رجل مريب يغدو ويروح خارج الدار . كان ينظر إلى الدار متردداً ، كأنه يغري نفسه بالدخول . واقترن ذلك بما طاف في عقلها من أمر المال المتوقع . وكان الرجل حسن الملبس ، على رأسه قبعة من حرير جديد لامع . وجعل يقف عند الباب ثلاث مرات متردداً ثم ينصرف ، فلما جاء في الرابعة وضع يده على الباب وفتحه ، ثم اجتاز الممر .

دخل الغريب ووقف قلقاً لا يطمئن ، وجعل يختلس النظرات مما حوله ، وأخيراً قال وهو يخرج من جيبه لفافة قطن : « لقد أمرتُ أن أزوركم — بعثت بي إليكم شركة مو وموجنز » .

ففزعت السيدة وابتدرت تقول : « ماذا حدث ؟ ماذا جرى لولدي هربرت ؟ هل أصابه سوء ؟ »

فأومأ الزائر كالموافق ثم قال على مهل : « أصيب إصابة شديدة . لقد علقت به إحدى الآلات » . ثم سعل وسار متثاقلا إلى النافذة ثم قال : « لقد بعثتني الشركة لكي أعزّيكما في هذا المصاب الجلل » ، قال ذلك مُشيحاً عنهما لا يلتفت يمنة ولا يسرة .

خرست الألسنة، وشحب وجه المرأة ، وشخص بصرها ، وخفت تنفسها . أما زوجها فقد غشيت وجهه أمارات من الحزن والأسى ، لعل مثلها قد غشي وجه الجندي عندما نال أول ما تمنّى .

وواصل الزائر حديثه فقال : « عليّ أن أبلغكما أن الشركة لا تتحمل شيئاً من تبعة موته ، ولكنها تقدر ما أسداه لها ولدكما . فهي تقدّم إليكما مبلغاً من المال تعويضاً عما أصابه » .

فأفلت المستر هوايت يد زوجته ، ثم استوى قائماً ، ونظر إلى زائره نظرة المرتاع، وانفرجت شفتاه عن هذه الكلمة : « كم ؟ »

فجاءه الجواب : « مئتا جنيه » .

ولم يشعر الشيخ بصرخة زوجته ، وابتسم ابتسامة شاحبة ، ومدّ يده كأنه أعمى لا يبصر ، ثم هوى إلى الأرض جسداً لا يعي .

ودفن الشيخان ولدهما في المقبرة على بعد ميلين أو نحوهما ، ثم عادا إلى بيتٍ تغمره الأحزان والصمت . ومرت الأيام عليهما حتى سلما تسليم اليائس الذي لا حول له ولا قوة .

وبعد أسبوع أو نحوه هبّ الشيخ من نومه فجأة ومدّ يده فإذا هو وحيد في فراشه، وانتهى إليه صوت بكاء خافت عند النافذة، فاستوى في فراشه وأنصت.

ثم قال بصوت رقيق: «تعالى، وإلا أصابك البرد».

قالت الأم: «إنه على ولدى أبردُ»، ثم عادت تبكى من جديد.

ثم سكتَ نحيبها، وكان فراش الشيخ دفيئاً، والنعاس غالبٌ عليه، فأغفى إغفاءة حتى أيقظته صرخةٌ مفزعة ندّت عن امرأته.

وجعلت تصرخ: «مخلب القرد! مخلب القرد!»

فهبّ فزعاً: «أين؟ ماذا جرى؟»

قالت: «أريده! لقد حفظته ولم تتلفه، أليس كذلك؟»

فقال متعجباً من حالها: «هو في غرفة الجلوس، ما حاجتك إليه؟»

فضحكت وبكت معاً وقالت وهى كالمولهّة العقل: «لقد خطر ببالى. أنسيت الأمنيتين الباقيتين؟ إننا لم نتمنّ سوى واحدة».

فقال متجهّماً: «ألم يكن فيه ما كفانا؟»

فصاحت صيحة الظافر: «لا لا، سنتمنى مرة أخرى»، فأسرع وأحضرهُ وتمنّ أن يرتدّ ولدك حيًّا مرة أخرى».

واستوى الرجل جالساً في فراشه، وألقى الغطاء عن أوصاله المرتجفة وصاح بها: «ربّاه لقد جننتِ!» وأشعل ثقابةً وأوقد الشمعة.

فقالت متوسلة متلهفة: «أحضره، أسرع وأحضره. لقد نلنا أول ما تمنينا، فلم لا ننال الثانية؟»

فقال الشيخ: «كان ذلك عفواً واتفاقاً».

فصرخت وقالت له وهى تدفعه إلى الباب: «اذهب، وأحضره، وتمنّ».

فنزل في الظلام يلتمس طريقه إلى المنضدة ووجد الطلسم في مكانه فاستولى عليه الخوف خشية أن تتحقق الأمنية المضمرة في نفسه، فيرى ولده المشوّه ماثلاً بين يديه قبل أن يتحرك من مكانه. ونضح جبينه عرقاً بارداً، وتحسس طريقه حول المائدة، ودلف مهتدياً بالحائط حتى بلغ السلم وهذا الطلسم المشئوم في يده.

فلما دخل الغرفة خيل إليه أن كل شيء قد تغير حتى وجه زوجته، فهو شاحب متلهف، وبلغ منه الخوف حتى رأى كأن في وجهها شيئاً لاعهد له به من قبل، فارتاع منها وذُعر.

فصاحت به: «تمنّ».

فقال : « كفى ، إنها سخافة وعمل غير صالح » .

فعادت تقول : « تمنّ » .

فرفع يمناه وقال : « أتمنى أن يعود إلىّ ولدى حيًّا » .

وسقط الطلسم على الأرض ، فنظر إليه وهو يرتعد ، ثم هوى على كرسى وأوصاله ترتجف ، أما المرأة فقد دلفت إلى النافذة ورفعت الستائر ونظرت نظرة الظامىء الملهوف .

وبقى الرجل جالساً فى مكانه حتى ارتجف من لذع البرد ، وجعل ينظر بين الحين والحين إلى شبح تلك المرأة العجوز وهى ترسل بصرها من النافذة . واحترق أكثر الشمعة حتى صار تحت حافة الشمعدان ، فكان طرفها المشتعل يحدث أشباحاً وصوراً على السقف والجدران ، ثم خفق خفقة شديدة ثم انطفأ . وانقلب الشيخ إلى فراشه وقد خامرت قلبه السكينة ، فاستراح إلى إخفاق الطلسم فى تحقيق ما تمناه . وبعد دقيقة أو اثنتين لحقت به امرأته العجوز فى صمت وأسى .

ثم سمعا دقاً على باب البيت .

فهبت المرأة جافلة تصرخ : «ما هذا ؟ »

وتردد فى البيت صدى دقة أخرى .

فقالت وهى تبكى : « إنه ولدى هربرت ! إنه ولدى هربرت ! »

وقامت تجرى تريد باب الغرفة ، ولكن زوجها كان أسرع منها ، فأخذ بساعدها وشدّ قبضته عليه وقال لها بصوت خافت : « ماذا تفعلين ؟ »

فقالت وهى تنتحب وتحاول الخلاص منه : « إنه ولدى ، ولدى هربرت . لقد نسيت أن بيننا وبين المقبرة ميلين . دعنى أفتح الباب » .

فتوسل إليها الشيخ : « سألتك بالله لا تفعلى » .

فجعلت تبكى وهى تجاهد للخلاص منه : « أتخاف ولدك أيها الرجل ؟ دعنى . أنا آتية يا هربرت ، أنا آتية » .

وسُمعت طرقة ثالثة ثم أخرى ، وتخلصت المرأة فجأة من قبضة زوجها ، وعَدَتْ خارجة من الغرفة ، وأسرعت إلى الباب . وسمع زوجها رنين السلسلة وهى تفكها ، وصوت المزلاج وهو يرفع ببطء وقوة ، ثم جاءه صوت العجوز وهى تلهث من الجهد : « أدركنى . هذا المزلاج الأعلى ، إن يدى لا تستطيع أن تناله » .

ولكن زوجها كان فى شغل عنها ، كان يحبو كالمجنون على يديه وركبته باحثاً عن المخلب . آه لو أعانه الله فوجده قبل أن يدخل هذا الشىء البيت ! وتردد فى البيت صدى طرق

شديد متتابع ، وسمع الرجل صرير كرسى قربته امرأته من الباب لتبلغ المزلاج . ثم سمع صوت المزلاج وهو يرفع ، وفى هذه اللحظة عثر على مخلب القرد ، فجن جنونه وتمنى ثالثة الأمانى وآخرها .

فسكن الطرق فجأة وإن بقى صداه يتردد فى البيت ، ثم سمع الباب يفتح ، واجتاحت البيت هبة ريح باردة ، وانتهى إليه عويل امرأته وصراخها من هول الخيبة والإخفاق ، فامتلأ قلبه شجاعة طارت به إلى جانب زوجته ، ثم طارت به إلى باب البيت لينظر .

رأى مصباح الشارع يرسل ضوءه على شارع موحش ساكن لا أنيس فيه .

عالم بطبائع النفوس

أتيح لى فى أثناء الحرب أن أرقب عن كثب عمل الطبيب الفرنسى الشهير لوميتر فى علاج الجرحى من الجنود . وذات ليلة دخلت غرفة الانتظار فى المستشفى فرأيت جنديًّا فرنسيًّا متين الأسر وفى بدنه جراح بليغة ، وكانوا يهيئونهُ للجراحة . بيد أن النزف كان قد أحالهُ شاحب الوجه ، خابى العينين ، بارد اليدين ، وكانت نبضاته ضعيفة لا تكاد تحس ، وسريعة يبلغ عددها ١٨٠ فى الدقيقة . وقد دهشت أعظم الدهش حين رأيت لوميتر يجسُّ نبضهُ ثم يطرح ذراع الجندى بغير شفقة لما هو فيه من ألم ، ثم يرغى ويزبد ، ويدعو الجندىَّ المتألم جباناً رعديداً ، غير مدخر كلمة من كلمات المعجم الفرنسى فى تأنيبه وتعنيفه .

وخرجت مع لوميتر وأنا ذاهل عن نفسى ، فلما أبعدنا عن الجندى قال : « عُدْ إليه الآن ، وجسَّ نبضهُ ، وأخبرنى بما تجد » . فعدتُ ، فإذا معجزة قد تمت . فقد رأيت الفتى قد قام قليلا متكئاً على إحدى كوعيه وهو يهزُّ إصبع يده مشيراً بها إلى الطبيب مهدداً متوعداً ، فلما جسست نبضهُ ، لم أكد أصدق ساعتى : ١٢٠ فى الدقيقة . فعدت إلى لوميتر وأنبأته بما كان فقال : « مُرْهم أن يأتونى به لإجراء الجراحة » .

وقد تمت الجراحة على خير وجهٍ . [الكولونيل أسكفورد يلى]

هذا نقد صريح لسوء الأحوال الصحية فى ألوف من المطاعم والمقاهى ، وفيه عبرة من أمريكا خليق بحكومات الشرق العربى وشعوبه أن تنتفع بها .

أمراض تقدم مع الطعام

هوارد ويتمان

مختصرة من مجلة "وومانز هوم كومبانيون"

بلغت القذارة فى المطاعم الأمريكية مبلغاً عظيماً حتى صارت كأنها وباء عام متفشٍ . وتدلُّ الإحصاءات الحديثة التى جمعتها مصلحة الصحة العامة فى الولايات المتحدة على أن ما بُلِّغ عنه من الإصابات بأمراض تنتقل بالطعام أوفى على ٢٣٧٦٥ إصابة فى سنة ، ورجال المصلحة يقدرون أن التبليغ عن الإصابات الناشئة من قذارة الطعام ، لا يشمل أكثر من ٥ فى المئة من عددها الحقيقى . فمن العسير على المرء أن يعود أدراجه ليبحث عن ملعقة أطعمته سموم المكروب العنقودى فأورثته الغثيان والإسهال ، أو أن يتعقب كوباً أخذ طفله المحموم من حافته الملوَّثة باللعاب ، سمومَ المكروب السبحىّ دون ذنب جناه .

ومنذ أشهر قليلة شنت مدينة نيويورك حملة مشهودة لكفاح هذا الوباء ، فتبين وينستين مدير الصحة العامة ألواناً شهية لم تذكر فى قوائم الطعام ، تقدَّم فى المطاعم حتى الفاخر منها . وقد جاء فى تقريره : « لقد وجدنا الأطعمة عرضة للجرذان والفئران ، وألفينا الزبالة مكشوفة يحمل الذباب والصراصير أقذارها إلى موائد الطعام ، ورأينا أسباب التبريد غير وافية بقواعد الصحة ، والأكواب موسومة بأحمر الشفاه الملوَّث بالمكروبات ، والملاعق والشوك عليها بقايا من طعام الآكلين ولعابهم ، وكانت وسائل التعقيم قذرةً ، ومخزونات الطعام تعجُّ بالحشرات » .

ووجد مفتشو الصحة فى مناطق أخرى بالولايات المتحدة أن أنابيب القمامة تقطر على موائد تحضير اللحوم ، وتبيَّنوا فى آنية حفظ المكرونة آثار زحف الجرذان عليها فى الليل ، وصناديق الزبالة تموج بعلق الذباب (الذى سرعان ما يبلغ أشدَّه ويلوِّث الأطباق والأطعمة بأرجله المثقلة بالمكروبات) ، ووجدوا غرائر الدقيق تعجُّ بالحشرات .

إن تبادل الأطباق بين أفراد البيت الواحد شيء قليل الحدوث ، ويرى العلماء أن انتقال العدوى من أحدهم إلى الآخر من هذا الطريق غير ذي خطر إذا كانت أدوات الطعام تغسل بالصابون والماء الساخن إلى أقصى ما تستطيع اليد أن تحتمله من الحرارة ، ثم تغمس فى ماء حرارته ٦٠° سنتجراد ، بيد أن الأمور تختلف فى المنازل التى يكون فيها مصاب بمرض معدٍ ، فإن غسل الصحون حينئذ يجب أن يلقى من العناية ما يلقاه فى المطاعم العامة ، بحيث توضع الصحون النظيفة فى ماء حرارته ٧٦° سنتجراد مدة دقيقتين على الأقل ، أو نصف دقيقة فى ماء يغلى .

وقد وجد أحد المفتشين مطعماً يجمع فيه أحد عماله بقايا الزبد من صحون قدمت فيها للروّاد، ثم يجعلها أقراصاً جديدة تقدّم لمن يليهم ، ورأى آخر يجمع كسر الخبز المتخلفة على الموائد ثم ينتفع بها فى صنع حلوى مؤلفة من العنب المجفف والخبز واللبن. وثمة ألوف من المطاعم تحتذى هذا الطعم وتنسج على منواله . بل وجدت الخدم فى أحد المطاعم ينشفون الصحاف المغسولة بالفوط القذرة التى استعملت على موائد الطعام — فوط مسح بها الآكلون أفواههم، وأستطيع أن أتخيل أن بعضهم قد استعملها ليتلقى فيها الرذاذ المتطاير من الفم والأنف عند العطاس .

وقد خصصت مصلحة الصحة الأمريكية معامل صحية متنقلة للتفتيش . ففحصت ٥٠,٠٠٠ إناء من آنية الطعام وأدواته فى ٤٥٠٠ مطعم منتشرة فى ١٥٤ مدينة ، فلم تجد سوى ٢٨ فى المئة منها خالية من مقادير خطيرة من الجراثيم . وتجلى من فحص اللاعق فى ثمانى مقاهٍ ومقاصف للشراب الخفيف فى مدينة كبيرة ، أن معدل ما يوجد على الملعقة الواحدة يبلغ ٢٨٠٠ مكروب ، مع أن الحدّ الأقصى السليم الذى تسمح به قواعد الصحة العامة هو مئة مكروب وحسب ، وبلغ معدّل المكروبات على الأكواب فى هذه المقاهى والمقاصف نفسها ٣٩٠,٠٠٠ مكروب ، وعلى كؤوس البيرا فى ١٩ حانة ٧,٠٠٠,٠٠٠ مكروب .

وفحص أحد البكتيريولوجيين ٥٤ نموذجاً من الماء الذى تغسل فيه الصحون فى المطاعم ، فوجد أن ملء ملعقةٍ من هذا الماء تحوى ٤٠٠,٠٠٠ مكروب على المعدل ، وارتفع معدّل الميكروبات فى بعض نماذج

الماء إلى ٢٫٥٠٠٫٠٠٠ مكروب — وهو معدّل أشبه ما يكون بتلوّث مياه المجارى.

إن رجال الطب لا ينفكون يبينون لنا أن الفناجين والملاعق والأكواب الملوّثة تؤدى إلى الإصابة بالأنفلونزا والسل والدفتيريا والالتهاب الرئوى والحمى القرمزية والسعال الديكى والزكام والتهاب الفم واللوزتين وحمى التيفود والدوسنطاريا والنكاف الوبائى والحصبة ، أما ما يصيب أكثرنا من العلل المكروبية التافهة فشىء كثير . ومنذا الذى يستطيع أن يحصى المرّات التى شعر بها بالضيق أو بالاضطراب او انحطاط القوة ؟ وقد تحدّث نفسك فتقول : « لعلّ منشأ ذلك شىء أكلته » ، وهو حكم يكاد يكون صائباً ، فليس منشأ علتك ما أكلت على الأكثر ، بل منشؤها قذر على شىء أكلته .

وقد أصيبت جماعة من الناس بعد أن شربوا شراباً خفيفاً كعصير الفواكه ، يعبأ فى زجاجات فى مصنع ، فذهب مفتش الصحة إلى المصنع وأفرغ السائل من الآلة ، فهاله ماوجده فى مقرها من طبقة من القذر سمكها بوصتان ، وكان فى جوف الإناء كثير من الصراصير ، وعلى حفاف الزجاجات ملايين من المكروبات تنتقل إلى شفاه الشاربين .

بيد أن أكثر الضرر لا يرجع إلى الأوضار السافرة التى تغثى لها النفس ، وقد قدّر أحد مفتشى الصحة أن ٩٠ فى المئة من الأساليب المتبعة فى غسل الصحون فى المطاعم ، قليل الغناء محفوف بالخطر . وإبادة البكتريا تقتضى أن تغمس الصحون بعد غسلها مدة دقيقتين على الأقل ، فى ماء ساخن درجة حرارته ٧٦° سنتجراد ، وغاسل الصحون لا يطيق أن يغمس يديه فى مثل هذا الماء ، فينبغى له أن يصفّ الصحون على حامل خاص من الخشب ، ثم يغمسه بالصحون المصفوفة عليه فى الماء ، أو أن يستعمل آلة صنعت خاصة لغسل الصحون . فإذا رأيت غاسل الصحون يغسلها غير مستعين بالحامل الخشبىّ ، فاعلم أنه يحفز المكروبات إلى التكاثر — إلا إذا كان يستعين بمطهّر كيميائى يذيبه فى الماء .

وثمة جماعات قليلة من الناس لا تكف عن مكافحة القذر فى المطاعم ، فاحرص على أن تكون جماعتك منها . وإذا وجدت الأمور على غير ما يرام فى المطعم الذى تأكل فيه ، فاكتب إلى قسم الصحة فى حكومة بلدك ، فيرسل إليك نسخة من النظم التى وضعها لمثل هذه المنشآت ، وطالب السلطات الصحية بأن تعينك على فرض هذه النظم على المطعم فرضاً دقيقاً .

واذكر دائماً أن القليل من الذين يبيعون

الطعام أو يحضرونه لك طبعوا على الشر أو يقصدون الأذى قصداً ، ولكن أكثرهم يجهل الحقيقة، فينبغي لكل جماعة من الناس أن يكون فيها مدرسة لباعة الطعام ومحضريه يلزم بالدراسة فيها جميع عمّال المطاعم.

واحرص على أن يكون المطعم الذى تطلب الطعام فيه ، مطعماً تتوفر فيه جميع شروط النظافة التي تحرص عليها فى بيتك . فإذا أتاك الخادم بكوب ورأيت حافته ملوّثة بأحمر الشفاه ، فلا تتجاوز عن ذلك مبتسماً ، فهذه العلامة الحمراء هى إنذار بالخطر ينبغى لك ولأهلك ولجماعتك كلها أن تعيروها اهتمامكم . والخير العام يقتضيك أن تحذر مدير المطعم ، فإذا لم يجد التحذير فادع مفتش الصحة العامة وأطلعه على ما كان ، فلك الحق كل الحق أن تعمد إلى الكفاح، إذا جاءك المال الذى شقيت فى جمعه بالمرض محمولاً إليك على طبق من فضة .

أوصى فلان . . .

● كان لنا جار نصّ فى وصيته على أن يأخذ أبناؤه صندوقاً أعده وأوصده ووضعه فى خزانة ، وأن يحرقوه أمام محاميه دون أن يفتحوه . وقد ظن الأبناء أن الصندوق يحتوى على أوراق خاصة ، فأعدّوا موقداً وأشعلوا فيه النار ثم حملوا الصندوق المصنوع من الورق المقوى ووضعوه فى النار ، ووقفوا ينظرون إليه يأكله اللهب وفى قلوبهم حزنٌ وانقباض ، وإذا هم يرون الصواريخ متعددة الأشكال تنتثر منه فى الفضاء — فقد كان ذلك آخر « مقلب » يدبره أبوهم الذى كان لا يكف عن الدعابة والمزاح .

● منذ سنوات مات رجل بغير عقب ، وخلف رسالتين مختومتين ـ إحداهما باسم محاميه ، والأخرى باسم رجل عهد إليه أن يتولى دفنهُ . وقد تمّ الدفن وفقاً لوصية الرجل فى الساعة الرابعة صباحاً ، فلم يشيّعهُ إلى مثواه الأخير سوى أربعةٍ من أصدقائهِ تحاملوا على أنفسهم ليقوموا بواجبهم الأخير نحو صديقهم الراحل فى تلك الساعة . ولكنهم نالوا جزاء ما فعلوه ، لأنهم وجدوا حين فتح المحامى الرسالة المرسلة إليه ، أن الراحل قد أوصى فيها بتوزيع ثروته البالغة ٤٠٠ ألف ريال على الذين يشيعونه حتى يواريه التراب .

أريحية كريمة حولت مدينة طاف بها طائف الهلاك ، فصارت مقر تجربة شهيرة نافعة في تربية الشباب .

تربية الشباب في مزرعة

ألفثون ل . هاو

مختصرة من صحيفة « دنفربوست »



في مكتب رجل موفّق من رجال الأعمال ، وقف فتىً كالجرد الثائر . كان وجهه جهماً نحيلاً ، وكانت ثيابه رثّة حال لونها ، تتدلى على بدنه النحيل فضفاضة دهلهلة مشبكة بدبابيس ، فقد كان صورة للفتيان الذين لفظتهم الإنسانية فراحوا يهيمون على وجوههم .

صافحه الرجل الجالس وراء المكتب وقال : « مرحباً بك ، نهذه الدار دارك ، وماهى إلا دقائق حتى أفرغ من الأعمال التى بين يدىّ » . ومضى يقلب الأوراق ، ويفحص توائم الحساب ، ويتحدث بالتلفون .

وقف الفتى ينتظر أن تلقى عليه موعظة ، فقد جرّب هذا من قبل وصار يحفظ هذه المواعظ عن ظهر قلب . لقد ظلّ طيلة حياته لايسمع سوى التوبيخ والتعنيف والوعظ ، وقد حاولت أمه أن تنشئه فتى قويماً فعجزت ، ثم توالى عليه من بعد رجال الشرطة ، حتى مَثَل بين يدى القاضى .

كان حقاً فتىً فاسداً — فقد ساقه رجال الشرطة إلى المحكمة مراراً لأنه كسر نافذة ، أو نشل مشتريات سيدة فى الشارع ، أو سرق أشياء من مخزن . وكان القاضى إذا جاءوه بالفتى يعنفه ويعظه ، ثم يخلى سبيله على أن يظل

تحت الراقبة . وقد دأب القاضى على ذلك حتى عيل صبره ، فأوشك صباح اليوم أن يحكم على الفتى بإرساله إلى إصلاحية الأحداث لولا قائل يقول : « لِمَ لا تسألون كال فارلي فلعلَّهُ يرضى أن يقبله فى مزرعة الأحداث ؟ »

وقف الفتى فى مكتب فارلى يجيل عينيه القلقتين فى الصور التى تغطى الجدران — فهذه صور جماعة من أشهر أبطال الرياضة من أمثال دمسى وتنى بطلى الملاكمة ، وهى تمثلهم يبتسمون ابتسامة عريضة ويصافحون رجلا ، وجعل يطيل النظر فى هذا الرجل الذى يصافحونه ، ثم يحوّله إلى هذا الرجل الجالس أمامه وراءَ المكتب : إنهما رجلٌ واحدٌ ، ما فى ذلك شكٌّ .

فيسأله : « هل كان جاك دمسى صديقك حقاً ، ياسيِّد ؟ »

فقال فارلى : « بلا ريب ، هو صديق ، فقد عرفته منذ عشرين سنة » . ثم يأخذ يقصُّ عليه شيئاً فشيئاً أنه كان بطلا من أبطال المصارعة فى الجيش الأمريكى ، وأنه جاب الأقطار مع تنى بعد أن ظفر بلقب بطل الملاكمة فى الجيش الأمريكى ، وأنه احترف المصارعة بعد ذلك زمناً طويلا حتى استقر به المطاف فى ولاية تكساس ، فانصرف عن المصارعة إلى التجارة .

فخفف هذا الحديث من جفاء الفتى وجهامته ، وحلّ عقدة لسانه ، فإذا به وهو لا يدرى ، يروى قصته . وكان فارلى يعرفها قبل أن يقصها عليه : فقد كان فتى لا أب له فى الكوخ الرث الذى يسميه بيتاً ، وكانت مدرسته شارعاً حقيراً فى الحى الفقير الذى يقيم فيه ، ومقهى للمقامرة ، وأكواخاً قائمة على جانبى السكة الحديدية . وكان معلموه فتياناً على غراره ، ولكنهم كانوا أكبر منه سنًّا وأكثر تمرساً بأسباب العيش المريرة القاسية .

وإذا فارلى يفاجئه بسؤال : « أسمعت فى حياتك عن أولد تاسكوزا ؟ » فهذه بلدة حطّمها الدهر ، واقعة إلى الشمال الغربى على مسيرة أربعين ميلا . وقد اعتاد تجار قطعان الماشية الغفيرة التى تحشد كل عام للبيع ، أن يقفوا بقطعانهم فيها طلباً للماء من ينابيعها ، وفيها دار محكمة قديمة ، ومقبرة دفن فيها طرداء القانون .

قال فارلى : « لقد أنشأنا فى تلك البلدة مزرعة لا نسمح لأحد بأن ينزلها سوى الغلمان ، فهم يحلبون البقر ، ويعنون بالماشية والدواجن ، ويتعلمون فى مدرسة ، كل ذلك متاحٌ لهم فى المزرعة نفسها . فإذا ذهبت إلى هذه المزرعة أتيح لك أن تأكل

طعاماً ريفيًّا جيداً وافراً ، وأن تتعلم أن تمتطى صهوات الجياد ، وأن تردّ الشارد من الماشـية بالحبال ، وأن تلعب الكرة ، وأن تمرّن عضلاتك حتى تقوى وتشتدّ . ولن تجد أحـداً يصيح فى وجهك صياح المعنِّف ، وما عليك إلا أن تؤدى عملك ، وتراعى بضع قواعد قليلة ،وأن ترعى قطعان الماشية . فهل يروقك أن تفعل ذلك ؟ »

إن ذلك يروق الفتى ولا ريب ، فأى شيء يعمله خير من أن يرسل إلى إصلاحية الأحداث !

أنشأ فارلى « مزرعة الأحداث » منذ تسع سنوات ، لأن رجال الشرطة دأبوا على أن يذهبوا إليه بصغار جياع فى ثياب رثة ، عسى أن يجود عليهم بطعام يشبعهم ، أو بزوج من الأحذية يقيهم الحفاء . بيد أن هـذا الجود فى الحين بعد الحين لم يجدهم جدوى دائمة . وظل الفريق المهمل من غلمان البلدة أكبر مصدر للمجرمين الذين يقدمون إلى محاكم الجنايات .

وأخيراً انتهى فارلى إلى الرأى بأن « ما يحتاج إليه هؤلاء الأحداث ، إنما هو مكان فى الريف يتوفر لهم فيه الطعام الجيد والهواء النقى » ، فأقنع صاحب الأرض التى تحيط ببلدة « أولد تاسكوزا » ، بأن يهب أرضه ومئة وعشرين فداناً لهذا المشروع ، وافتتح مزرعة الأحداث فى أول مارس ١٩٣٨ ، فكان فيها الناظر وزوجته وستة من غلمان الشوارع جمعوا من البلدة التى يقطنها فارلى .

وأنت تزور هذه المزرعة اليوم فترى فيها منشآت تبلغ قيمتها ربع مليون ريال، ويقيم فيها سبعون غلاماً . وهى مفخرة المنطقة التى أنشئت فيها ، وإليها يفد المعنيون بتربية الصغار من كل حدب ، ومنذ عهد قريب اتخذتها إحدى شركات هوليوود موضوعاً لفلم رائع نافع .

وقد أنشئت « مزرعة الأحـداث » وأديرت وكفلت نفقاتها بفضل فارلى وغيره من رجال الأعمال ، دون أن تسـتندى أكفّ الجمهور للتبرع لها بالمـال . وهى لاتتلقى العون المالىّ من رجل بعينه ، بل تقوم دليلاً شاهداً يثلج الصدر على أريحية قوم فعلوا الخير تلبية لنداء الخير فى نفوسهم .

كان أول بناء شيِّد فى المزرعة بناء يضم غرف التدريس وحجرة الرياضة البدنية ، فجمع له ١٢٫٠٠٠ ريال من هنا وهناك ، وتبرعت له جماعة الحطَّابين بالخشب ، وتبرعت نقابتا السباكين والكهربائيـين بالعمل . وتلاه بناء فسيح للاجتماع يضمّ مطعماً ومكتبة ومَقِيلاً ، فجمع له نادى

روتارى خمسة عشر ألف ريال ، وأمر مديرا شركتين من شركات الزيت بمد أنبوب طوله ثمانية أميال لينقل إلى هذا البناء الزيت والغاز للطبخ والتدفئة، فكلفهما مده سبعة وعشرين ألف ريال .

وجاد أفراد من الفلاحين على المزرعة بالعجول والبقر الحلوب والخيل ، ووهبه سروجى عدداً من السروج ثمنها ألف ريال ، وتبرع طبيبان من أطباء الأسنان والعيون بعلاج الغلمان مجاناً ، وعرضت إحدى شركات الغسل والكى أن تغسل ملابس غلمان المزرعة دون مقابل ، وعنيت رابطة تجار الأثاث بمبانى المزرعة فزودتها بكل ماتحتاج إليه من أثاث ، وقدم الفلاحون مقادير كبيرة من علف المواشى . وتعهد عشرات من الأهلين — من الكتبة إلى مديرى البنوك — بأن يدفعوا أقساطاً من المال ، لتغطية نفقات المزرعة التى تبلغ ٢٧٠٠ ريال كل شهر .

وفى العام الماضى تلقت المزرعة أكبر هبة جاد بها فرد واحد من الناس . فقد أشرف رجل يدعى دوايت أكستل على سن التقاعد، فوهب لمزرعة الأحداث مزرعة له ثمنها ١٢٥٠٠٠ ريال ، وهى على مسيرة ١٠٠ ميل إلى الجنوب الغربى من تاسكوزا . وسوف تستخدم هذه المزرعة لتخريج كبار الأحداث، فيتمون تعليمهم فيها ويعطون أجراً على عملهم .

فلِمَ وفِّقت مزرعة الأحداث هذا التوفيق العظيم ؟ إنك تجد الجواب فى زيارة واحدة إلى هذه المزرعة ، أما أهل الولاية فيحجُّون إلى هذه المزرعة كل عام .

فحين تصل إلى المزرعة يخفُّ إلى استقبالك غلام مهذَّب يحتفى بك ويرجوك أن توقع اسمك فى سجل الزوَّار . ثم تقابل جاك هاردن ناظر المدرسة العملاق وزوجته الحسناء . وقد تلتقى أيضاً بماجنولد المدرِّب الرياضى وزوجته ، وينهض ماجنولد والزوجتان والمسز إڤلين كار بعبء التعليم كله فى مدرسة المزرعة التى اعتمدتها إدارة التعليم فى الولاية .

وأنت ترى حين نطوِّف فى أرجاء المزرعة أن كلَّ غلام من الغلمان « يشعر ويعمل كأنه مدير المزرعة المسئول عنها » ، فيدهشك ماتراه من تحوُّل عصبة من أشقياء الشوارع ، إلى صبية مهذبين يقدرون التبعة ويحملونها ، ولايداخلهم غرور فيما يفعلون .

والأسلوب الذى أفضى إلى هذا التحوُّل ليس فى رأى هاردن ، معجزاً ولا معقداً ، فهو يقول : « كل ما نصنعه إنما هو أن نتيح لهؤلاء الأحداث لوناً من العيشة

البيتية لم يُتح لهم فى طفولتهم ، وأن نرشدهم بعض الإرشاد ، وأن نبذل لهم شيئاً من العناية والحب ، لم يبذله لهم أحد من قبل » .

وكل غلام يطرأ على المزرعـة فى حاجة إلى أن يذوق طرفاً من « نظام » المزرعة الذى ليس كمثله نظام ، فإذا أصرّ الغـلام على التدخين ، حرص هاردن على أن يقدم له سيجارة مشتعلة بعد أخرى ، حتى يضيق بالتدخين ذرعاً . وإذا كان بذىء اللسان دعاه أحد الصبية إلى لبس قفازى الملاكمة ، فيؤدبه تأديبـــاً . وإذا أهمل حلب البقر أو غسل الصحاف ، اصطف غلمان المزرعة جمياً فى صفين وأذاقوا الغلام المسىء عذاب التشهير . ولن تجد فتى مهما كان شـديد المراس ، قادراً على أن يحتمل وحشة العزلة التى يفرضها عليه سخط زملائه وأقرانه .

ولا يزال كال فارلى هو مرشد المزرعة ، وقد أجمل مبدأها فى قوله : « إذا أتحت بيتـــاً لأى غلام من غلمـان الشوارع ، ووفّـرت له بعض الهواء النقى ، وفرصة ليرفع مستوى معيشته بمراعاة قواعد قليلة لازمة لحياة الجماعة ، فلن تراه مرتدًا برضاه إلى مألوف حياته القديمة ، بل يصير من أخيار النـاس وأحفظهم للجميل . فنى نفس كل غلام عزة كامنة ، ولسنا نفعل سوى أننا نحاول أن نهتدى إليها » .

حقائق من خرافات

حذارِ من أن تحلق على جناحى عدوّك .

[إيسوب فى خرافة « السلحفاة والطير »]

حذارِ أن تركن إلى صديق خذلك فى ساعة ضيق .

[إيسوب فى خرافة « الصاحبان والدب »]

يسير عليك أن تزدرى ما يعجزك أن تنالهُ .

[إيسوب فى خرافة « الثعلب والعنب »]

لن تجد سوى الجبان يحتقر الجلالَ وهو يحتضر .

[إيسوب فى خرافة « الأسد المريض »]

لن يصدّق الناس كذاباً ولو قال الحقّ .

[إيسوب فى خرافة « غـلام الراعى »]

دَين الحُرّ

وليم ف . ماك درموت

كانه يوم ١٧ فبراير ١٩١٥ يوماً كسائر الأيام فى « مصرف التوفير الغربى » بمدينة شيكاغو — إلى أن كانت الساعة الواحدة والثلث بعد الظهر .

كان المصرف بناءً صغيراً فى الحى الإيطالى، وكان صرافه فى تلك الساعة يتناول طعام الغداء، ولم يكن فيه سوى فرنسسكو روتى مؤسسه، الذى كان فيما سلف من الأيام سقّاءً لجماعة من عمال السكة الحديدية ثم صار قصّاباً.

فاقتحم دار المصرف عليه ثلاثة رجال ، فسدّد اثنان منهم مسدسيهما إلى عنق روتى ، وسارا به إلى حجرة المرحاض وأوصدا بابها عليه . أما ثالثهم فقد جمع كل النقد الذى نالته يداه ، ثم ولوا الأدبار لا يلوون على شىء .

ولو وازنت بين هذه السرقة وسائر سرقات المصارف، لوجدتها سرقة صغيرة لا تتجاوز ٢٢٠٠ ريال ، ولكن هذه السرقة أخرجت لنا قصة من أروع قصص الأمانة والشرف ، تلاحقت حوادثها فاستغرقت واحداً وثلاثين عاماً.

كان مصرف التوفير الغربى مؤسسة من تلك المؤسسات التى كانت تمتاز بها الجاليات الأجنبية فى المدن الأمريكية فى مستهلّ هذا القرن . ذلك أن الشعور بالوحشة وثّق الآصرة بين جماهير المهاجرين ، وكتبت عليهم الفاقة أن يعيشوا عيش الاكتفاء والصَّغار ، وكان أعزّ مناهم وهم يكدحون الساعات الطوال ، أن يوفروا بعض المال ماوسعهم التوفير، ليدفعوه قسطاً من ثمن بيت يتوقون إليه . وكان يخبئون ما يدخرونه من المال فى طوايا الفرش أو فى الخزائن ،



أو يودعونه عند صديق يأتمنونه من أبناء وطنهم الأول ، وكثيراً ما كان هذا الرجل ينشىء مصرفاً خاصًّا صغيراً ليدير حركة الودائع .

ولقد نشأ روتى نشأة الشظف والعسر كما نشأ جيرانه الذين اشتغلوا فى المصانع ، فكان يدرك قيمة الريال الذى يكسبه المرء بكده وعرق جبينه . فلذلك شقّ عليه وثقل على نفسه أن يستهين بالحوادث التى توالت بعد أن سرق مصرفه .

فلما أقبل رجال الشرطة للتحقيق ، حتى جاء فى أثرهم مخبرو الصحف والمصوّرون ، ولم تكد تنقضى ساعات حتى خرج باعة الصحف ينادون على ملاحق صحفهم ، وإذا أصحاب الودائع فى المصرف يهرعون إليه ليستردوا ودائعهم .

واقترح رجال الشرطة على روتى أن يغلق المصرف أبوابه ، فقال لهم : « إن ذلك يزيد الطين بلة ، فنحن إذن خليقون أن نفقد ثقتهم » . وقد كان يعلم أن المصرف سليم وأن التأمين كفيل بتعويض المال المسروق . فوقف هو والصراف يدفعون للمودعين أموالهم ، حتى إذا حان موعــد إغلاق المصرف ، ارتقى روتى مقعداً وأعلن للجمهور أن الأبواب ستبقى مفتوحة حتى ينجز لكل من كان يعامله ما يريد .

وفى صباح اليوم التالى فتح المصرف أبوابه على مألوف عادته ، ولكن الضربة التى أصابته كانت ضربة قاضـية . وكان فى وسع شركة التأمين أن تعوّض المصرف ماله المسروق ولكنها كانت عاجزة عن تهدئة النفوس الثائرة ، فصفى روتى كل الممتلكات التى استطاع أن يصفيها ، وأضاف إليها كل ريال يملكه ، بل اقترض من أقربائه ما وسعه الاقتراض ، باذلاً جهد اليائس ليصدّ حركة سحب الودائع ، ثم أعقب ذلك تصفية المصرف وإعلان الإفلاس ، فلما تمّ ذلك ظهر أن مئتين وخمسين من أصحاب الودائع قد خسروا ١٨ ألف ريال .

وكذلك قضت السرقة التى لم تستغرق سوى ثلاث دقائق على عمل روتى وبيته ومدخراته وكل ما تملكه يداه تقريباً ، وتركته وهو وزوجته وأطفاله الخمسة بغير عمل يرتزق منه ، ولم يبق لهم من حطام هذه الدنيا سوى قطع قليلة من الأثاث واثنى عشر ريالا . وجاء رجل فنقل ما تبقى لروتى من متاع بيته إلى شقة ضيقة رثة تبرع له بها أحد أصدقائه إلى حين ، وتقاضى منه أجرا للنقل أحسن سجادة بقيت عنده وكل ما يملكه من نقد .

بيد أن روتى سبق له أن قهر الفاقة ، ففى وسعه أن يقهرها مرة أخرى . فعاد

قصّاباً كما كان وجعل يتقاضى ١٩ ريالا فى الأسبوع ، ورمّم دراجة قديمة فصار يركبها بين بيته ومقر عمله حتى يوفر على نفسه أجر الانتقال بالترام .

ولكن الشىء الذى نغّص على روتى حياته وأقضّ مضجعه، كان شبح الدين البالغ ١٨ ألف ريال !

وقال له صاحب مصرف آخر : « لست أنت الملوم يا روتى ، فقد كانت السرقة أشبه بمصيبة من مصائب القدر ، واللوم واقع على الناس أنفسهم لأنهم هرعوا إلى سحب ودائعهم فأفضى ذلك إلى إفلاس المصرف » .

فردّ روتى : « قد لا يكون هذا الدين ديناً فى عرف القانون ، ولكنه دين فى عرفى أنا ، إنه دين شرف » .

وقد كان الشرف سجية ورثها جيل عن جيل من أسرة روتى . ومن ذكرياته التى لم يبلها الزمان ، ذكرى غارة شنتها الذئاب على مزرعة صغيرة مجدبة فى إيطاليا ، كانت أسرة روتى قد استأجرتها من صاحبها ، وكان الرزق الذى ينتزعونه من الأرض بشق النفس ، رزقاً ضئيلا . ولكنهم كانوا أهل هناءة وسعادة بما يصيبونه من خبز وخضر ، وما يتهيّأ لهم فى الحين بعد الحين من صيد ، وما يعمر نفوسهم من إيمان دينىّ راسخ . وقد كان بيتهم حظيرة يسكنون أحد جانبيها ، ويحفظون ماشيتهم فى الجانب الآخر .

وذات ليلةٍ اقتحمت الذئاب مرعى المزرعة ومضت تفتك بغنم صاحب الأرض ؛ فلما بلغه نبأ ما حدث ، أمر أسرة روتى أن تغادر الضيعة قبل أن يحل الليل ، وطلب منهم أيضاً أن يوفّوه قيمة ما خسر كاملا غير منقوص .

فقال الأب فورتوناتو روتى : « سوف أوفّيّ ، فقد كانت الغنم فى عهدتى ، فشرفى يقضى بأن أوفى عنها » .

وفى تلك الليلة حملت الأسرة أمتعتها القليلة ومضت تتسكع إلى القرية حيث آواها بعض الأقارب فى منزلهم ، ولكن ماذا عساهم يفعلون ؟ بل لو قدر لفورتوناتو أن يستأجر مزرعة أخرى لكان جلّ ما يستطيعه أن يعول أسرته وحسب . فكيف يستطيع إذن أن يفعل ذلك ، وأن يسدّد ما عليه من الدين فى الوقت نفسه ؟

فيومئذ خطر له حلّ واحد لا ثانى له ــ أن يهاجر إلى أمريكا ، فراح فورتوناتو يلتمس من المال سؤالا واقتراضاً ، مبلغاً يكفيه حتى يسافر هو وابنه الأكبر إلى أمريكا فى عنبر سفينة من السفن . وفى أمريكا اشتغلا خمس سنين عمالا فى السكك الحديدية ، فكان أجرهما معاً لا يزيد على

ثلاثين قرشاً فى اليوم . فلما توفر عندها أربعمئة ريال عادا إلى إيطاليا ودفعا ثمن الغنم ، ثم رحلت الأسرة كلها إلى أمريكا .

وقد جال كل هذا فى ذهن روتى حين فكر فى دين الشرف الذى آلى على نفسه أن يوفيه ، فأرسل إلى أصحاب الودائع الكلمة الآتية : « أتعهد لكم بأن أسدد لكم مالكم كاملا متى صار ذلك فى وسعى ، فأرجوكم أن تثقوا بى » .

ولو كان هذا الدين الذى أخذه روتى على نفسه ١٨ مليون ريال لما كان جمعه أصعب منالا من ١٨ ألف ريال ! وقد قضى السنوات العشر الأولى وهو فى كفاح للظفر بأسباب العيش وحسب ، فترا كمت عليه النفقات ، ورزق بطفل خامس ولم تكد تمضى أربع سنوات حتى أصيبت زوجته الودود المخلصة بمرض عضال أودى بحياتها .

وقد حرص روتى فى خلال هذه الشدائد على «صندوق دين الشرف» أعظم حرص ، فكان يودع فيه القروش والملاليم حتى صارت مبلغاً غير يسير . وكان يركب دراجته كل يوم إلى حانوت القصاب مسافة ثلاثة أميال ، فإذا تراكم الثلج على الطريق كان يذهب إليه راجلا ، فإذا جنّ الليل كان يرقع أحذية جيرانه ، وكان أولاده الكبار يبيعون الصحف أو يحملون الرسائل والطرود ، ويودعون المال القليل الذى يكسبونه فى « صندوق الدين » .

وقد مضى زمن طويل حتى جمعوا المئة الأولى من الريالات ، ولكن جمع المئة الثانية والمئة الثالثة استغرق زمناً أقل . ثم كان لزاماً على روتى أن يتدبر كيف يوزع المال الذى بدأ يتجمع عنده ، وما يكون نصيب كل من الدائنين وعددهم ٢٥٠ دائناً ، لو وزّع المال عليهم جميعاً . وما لبث حتى تبيّن له ذات ليلة ما ينبغى أن يفعل ، فحسم الأمر .

فقد جاءه فى تلك الليلة نبأ دائن أصيب بمرض خطير ، وزوجته وأولاده لا يملكون شروى نقير . وكان مصرف روتى المفلس مديناً لهذا الرجل بمبلغ ١٧١ ريالا ، فهرع روتى إلى صاحبه المريض وسدّد له دينه كاملا . وما إن فعل حتى قبض المريض على ذراعيه بيدين ضعيفتين وجعلت الدموع تنهمر من عينيه معبرة عن شكرانه تعبيراً يعجز عنه لسانه . فاتضح لروتى المنهج الذى ينبغى أن ينهجه ــ أن يبادر بسداد المال إلى أشدّ المودعين حاجة إليه .

وبعد أشهر قليلة تناهى إلى روتى خبر أم أرملةٍ غدت عاجزة عن كفالة أولادها ، فقد طغى عليها المرض حتى ضعفت ثقتها بقدرتها على النهوض بهذا العبء أو رجع ،

روتى أوراقه ، فتبين أن مصرفه مدين لها بمبلغ ٣٩٠ ريالا ، فزارها وأعطاها مئة ريال من جملة المستحق لها ، واتفق معها على توفية الباقى أقساطاً شهرية كل قسط منها ١٠ ريالات — وهو مبلغ يكفى لسداد إيجار شقتها فى قبو منزلٍ من المنازل .

وحدث أن ربّ أسرة ضئيل المرتب قد شاع اليأس فى نفسه لأن بيته أوشك أن يباع سداداً لمال مصلحة الضرائب ، فتذكر أنه كان قد أودع مالا فى « مصرف التوفير العربى » وأن روتى قد تعهد بأن يسدّد ما عليه ، بيد أن ذلك كان منذ عشرين سنة ! وقد بحث عن عنوانه حتى اهتدى إليه، فكتب إليه يستنجزه ؛ فلم تكد تنقضى أربع وعشرون ساعة حتى كانت الضريبة قد أُدّيت ، وأنقذ البيت من الضياع .

وبعد زمن عرضت على روتى صفقة فى سوق اللحم فعقدها ، وأخذ من ربحه فيها ما يلزم للعيش ، وأودع بقيته فى « صندوق الدين » . وكذلك صار يملك بعد هذا الزمن الطويل ما يكفى من المال لتوفية كل ما عليه .

وقد صارت مهمته يومئذ أن يبحث عن المودعين القلائل الذين لم يسدّد لهم مالهم ، أو عن ورثتهم . وقد توسل روتى إلى ذلك بمكاتب سماسرة العقارات ، ورجال شركات التأمين ، وسجلات المواليد والوفيات ، وكشوف المدارس والمعاهد ، بل أخذ يعلن فى الصحف طلباً للعنوانات التى لم يوفق إليها . وما لبث حتى جاءته رسالة فى نشرة إحدى شركات الأخبار هدته إلى ثلاثة فى كاليفورنيا طال بحثه عنهم ، فلما استوثق من أشخاصهم ومن المبالغ التى يستحقونها ، أرسل إليهم المال . وقد أرسل إلى أول الثلاثة تحويلا بمبلغ ١٢٩ ريالا ، فردّ عليه الرجل شاكراً له فضله . وأرسل إلى الثانى مبلغ ١٥٠ ريالا فردّه إليه شاكراً وطلب منه أن يوزعه على الفقراء . وأرسل إلى الثالث ١٣٠ ريالا فردها هذا أيضاً وطلب أن تعطى لأبناء روتى .

وقد عمد قسيس الحىّ إلى ذكر البحث الذى يقوم به روتى، وطلب من رواد كنيسته أن يبلغوا روتى بالتلفون اسم أى إنسان لا يزال له على روتى دين لم يسدّد . وفى أصيل ذلك اليوم زارته سيدة فأنبأته بخبر زوجين بلغ منهما الكبر يقطنان بلدة على مسيرة تسعين ميلا ، وقالت الزائرة : « لقد قالا لى مرة أنهما لم يستردّا ما خسراه فى مصرفك، وهما الآن فى أشد البؤس والفاقة » .

كان ركام الثلج يغطى الطريق ، ولكن روتى ركب سيارته إلى تلك البلدة البعيدة، فوجد الزوجين العجوزين البائسين . كان

الرجل لا يكاد يبصر شيئاً ، والمرأة مريضة طريحة الفراش ، ولم يكن فى البيت من فحم الوقد سوى قدر يكفى يومين وحسب. قال لهما إنه جار قديم من جيرانهم ، فأخذوا يتذاكرون الماضى البعيد ، ويستعيدون فى مخيلتهم صورة الحزن على ناصية الطريق ، وحانوت السلع القديمة ودكان الحداد والكنيسة وغيرها من معالم البلدة ، حتى استوثق روتى من أن الرجل هو الرجل الذى يريد ، فكاشفهما بالغرض من زيارته.

فتنفس الرجل الصعداء وقال : « كأنك هبطت علينا من السماء . وقد كان لى بعض المال فى مصرفك ، ولكننى حسبت أننى قد فقدته إلى الأبد . بيد أنى ... » وتقطعت أنفاسه وخفت صوته — « بيد أنى لا أملك مستندات تثبت حقى ، فما عندى دفتر أو سجل » . فطمأنه روتى وقال : « لست فى حاجة إلى مستندات » .

وفى آخر السنة الماضية، انقضت إحدى وثلاثون سنة على سرقة مصرفه ، والتأم شمل أسرته بعد أن فرقتها الحرب . وقد وجدوا فى «صندوق الدين» مبلغاً يربى على ما بقى من ديونهم. فاقترح أحدهم : «لنرسل إلى كل فرد من المودعين الباقين بطاقة معايدة مع تحويل بالمبلغ المستحق له » ، وشرعوا من فورهم ينشئون الرسالة التالية :

« تحية من أسرة روتى ، ١٩١٥ — ١٩٤٦ . ففى سنة ١٩١٥ اضطر أبونا فرنسسكو روتى أن يغلق مصرف التوفير الغربى ، بعد حادثه السطو عليه ، ولكنه وعد المودعين أن يردّ إليهم مالهم يوما ما ، وقد كانت رغبته الصادقة ورغبتنا فى بحر هذه السنين ، أن ينجز هذا الوعد . فيسرنا أننا قد وفينا بعهدنا، فنهنئكم بالعيد ونتمنى لكم أن تعود عليكم الأعوام بالعافية والسعادة » .

فلما أرسلت البطاقة الأخيرة ، تنهد فرنسسكو وقال : « أنا الآن حر طليق » .

نهاية مغامرة

وقع أحد التجار فى حب فتاة تعمل فى ملهى ، فاستعان بوكالة لاستطلاع الأخبار على تعقبها وتقديم تقرير له عنها ، فجاءه التقرير التالى : « سمعة الفتاة حسنة ، وصفحة ماضيها نقية ، ولها أصدقاء كثيرون ، ومنزلة اجتماعية عالية . بيد أن الوصمة الوحيدة المقرونة باسمها ، هى أنها شوهدت فى الأيام الأخيرة فى صحبة تاجر متهم فى أخلاقه ! »

روسى مشهور يفضح أسطورة
ذائعة من أساطير الدعاية

الديمقراطية الأولى التى دمرتها الشيوعية

ألكسندر كرنسكى
رئيس الوزارة سابقاً ، ورئيس
الحكومة الروسية المؤقتة الثانية سنة ١٩١٧

مختصرة من مجلة « الحديث الصريح »

منذ عهد قريب طوّفت فى المدن الأمريكية ألقى سلسلة من المحاضرات ، فكان الناس يسألوننى عن أسطورة من أكبر أساطير الدعاية فى عصرنا هذا ، ومؤدى هذه الأسطورة أن الشيوعيين هم الذين قضوا على الاستبداد القيصرى فى روسيا .

والحقيقة أنهم لم يفعلوا شيئاً من هذا . فالحكم الذى قضى عليه البلاشفة بالقوة والخداع ، لم يكن الحكم الملكىّ أو القيصرى ، بل كان الحكم الديمقراطىّ الجديد ، المعروف بحكم كرنسكى .

فى اليوم الثانى عشر من شهر مارس سنة ١٩١٧ انهار الحكم القيصرى فى روسيا ، فكان ذلك بدء الثورة الروسية العظيمة .

ويومئذ قام الحكم الديمقراطىُّ الوحيد الذى عرفتهُ بلادى فى تاريخها المحزن .

ولم يشترك فى هذا الحادث الفاصل أحدٌ من زعماء الشيوعية الذين قبضوا على زمام الحكم فيما بعد ، فقد كانوا جميعهم تقريباً — لنين وتروتسكى وستالين — خارج البلاد أو فى السجن أو فى المنفى . ثم إن هذا الانقلاب الهائل أخذهم على غرّة ، فما كانوا يعتقدون أن وقوعهُ مستطاع بمثل هذه السرعة . وكان لنين قد كتب من زوريخ إلى أصدقائه يقول إنه لا يرى لجيله أملاً فى أن يشهد قيام ثورة فى روسيا . وقد قال لى أتباعه فى بتروغراد قبل حدوث الانفجار ببضع ساعات : « ليس ثمة دلائل تدلُّ على ثورة ، فنحن اليوم فى مستهل عهد طويل من الرجعية القيصرية » .

ولم يبدأ البلاشفة فى التجمع فى العاصمة الروسية إلا بعد العفو السياسىّ الشامل الذى أصدرته الحكومة الديمقراطية المؤقتة . وقد وصل لنين وزينوفيف بعد سقوط آل رومانوف بشهر كامل — وكان ذلك فى القطار « المختوم » المشهور الذى هيأه لهما القيصر الألمانىّ .

فكيف كانت روسيا التى عاد إليها هؤلاء الزعماء ؟ إليك شهادة لنين ، قال : « إن روسيا اليوم هى أكثر البلاد المحاربة حرية ، فلست تجد فيها استبداداً

بجماهير النـاس » ، وقد قال ذلك فى بيان أصدره قبـل الثورة البلشفية التى وقعت فى ٧ نوفمبر ١٩١٧ ببضعة أيام،فقضت الثورة على الحكم الديمقراطىّ فى الشهر الثـامن من حياته .

وقد نشر الشيوعيون أسطورة قضائهم على القيصرية ، ليسـتروا وراء نشرها جريمتهم فى خنق الديمقراطية الروسية الأولى. وترى جماعات الشيوعية تحاول اليوم فى كل مكان أن تقبض على زمام السلطان بالأسلوب نفسه : يتظاهرون بأنهم «حماة الديمقراطية» وينضوون تحت أعلام الحرية، لكى يهيئوا لها الضربات التى تدمرها . ولينن نفسه لم يعترف إلا بعد انتصاره ، بأن العبارات التى أعرب فيها عن حب الحرية لم تـكن سوى خداع مقصود .

وليس فى وسعك أن تلوم الشعب الروسى لوقوعه فى شرك البلاشفة يومئذ ، فالعالم كان حديث عهـد بأساليب الحـكم الجامع الحديث . ولـكنك لن تجد عـذراً اليوم للملايين من العمال والفلاحين ورجال الفكر فى الغرب الديمقراطى ، إذا هم وقعوا فيه . فالمحنة التى تعانيها بلادى ينبغى أن تكون لهم إنذاراً يخيفهم من شر العواقب .

المرأة دائماً ...

منذ عهد قريب زار مدينة نيويورك محافظ مدينة فرنسية ، فطوّفوا به ليشاهد أشهر معالمها ، فلما صعد إلى أكبر ناطحات السحاب ، وقف أمام برجها قليلا ، وأجال نظره فيما حوله ، وجعل يضع يده على فمه ثم يومىء بها كأنه يوزع القبلات وهو فى نشوةٍ مما يرى ، ثم جعل يقول : « آه إن هذا يذكرنى بمفاتن المرأة » .

فقال مضيفه متحيراً : « ولِمَ يذكرك هذا المشهد بمفاتن المرأة ؟ »

فقال المحافظ : « كلُّ شيء يا سيدى ، يذكرنى بمفاتن المرأة » .

[لنرد ليونز]

● إن كان مِمّا يثقل على نفسك أن تنتقد أصدقاءك ، فلا بأس بأن تفعل ذلك . أما إذا كان هذا مما يسرُّك ، فيومئذ ينبغى لك أن تمسك لسانك .

[أليس ديور ميلر]

طريقة صالحة تنقذ ألوفاً من الناس من زواج كتب عليه أن يخيب

حل جديد لمشكلة الطلاق

جريتا پالمر

مختصرة من مجلة « يور لايف »

كان من الممكن اتقاء كثير من حوادث الطلاق ، لو تولىّ رجل من عقلاء الرجال مناقشة الفتى والفتاة فى أمر زواجهما قبل عقد الزواج . وعسى أن تكون خير نصيحة هو باذلها لكثير منهم: أن « تمهّل ! » أو « لا تتزوج » .

وفى أمريكا معهد يعدّ الفتيات لممارسة الحياة التى يحياها كافة الزوجات فى بيوتهن ، وقد نصح كثيراً من فتياته بمثل هذه النصيحة ، فكانت عاقبة ذلك أن كانت نسبة اللواتى لم تنفصم عروة زواجهن من طالبات هذا المعهد، ستة أضعاف النساء اللواتى بقين فى عصمة أزواجهن من غير طالباته ، وذلك مع اطراد الزيادة فى نسبة الطلاق عامة فى أمريكا . وقد دل إحصاء أجرى منذ عهد قريب على أنه لم يطلق من طالبات المعهد سوى واحدة من كل عشرين امرأة .

وقد وضع مناهج الدراسة فى هذا المعهد الدكتور هنرى بومان . فالفتيات هناك يستمعن إلى محاضرات عن الزواج ، فإذا غزا الحب قلب إحداهن ، وجدت أيضا من تستشيره وتستنصحه من الأساتذة ذوى الرأى . ولن يفوتك أن تسمع الدكتور بومان وهو يردد هذه النصيحة لكثير من الفتيات حين يطلبن مشورته : « إنك إذا أردت أن تكونى محامية أو ممثلة ، كان عليك أن تتمهلى حتى يتم استعدادك لممارسة ما تؤثرين . ومثل هذا التأنى لاغنى عنه أحيانا فى أمر الزواج . انتظرى سنة ، فذلك أحرى بأن يكون أنفع وأجدى فى عشرتك لهذا الرجل » .

وتستند نصائح المستشارين إلى عبَر مستخلصة من حوادث وقعت . وإليك عشرة ضروب من الزواج يحذرون الفتيات منها :

١ — أن الزواج الذى يتم بعد تعارف قصير المدى ، خليق أن يفضى إلى المتاعب . وإذا كان إعجاب كل منهما بصاحبه فتنة طارئة ، فهو لا محالة صائر إلى الضعف

والزوال . وتدل الإحصاءات على أن الأزواج الذين نشأت بينهما معرفة استمرت خمس سنوات قبل الزواج ، يتاح لهم من السعادة فى حياتهم ، مالا يتاح قليل منه للذين لم يمض على تعارفهم قبل الزواج أقل من ستة أشهر . ونسبة الطلاق بين الذين يتزوجون بعد خِطبة لا تدوم إلا ثلاثة أشهر أو أقل ، تبلغ ثلاثة أضعاف نسبة الطلاق بين الذين تدوم خِطبتهم سنتين أو أكثر.

هذه فتاة أرادت أن تتزوج رجلا لم تعرفه إلا منذ ستة أيام . وقد كان مما حفزها إشفاقها من أن لا تجد زوجاً بعد الحرب لقلة عدد الرجال ، وزادها عجلة فى أمرها أن خطيبها كان قد أمر بالسفر إلى ميادين القتال خارج بلاده ، وهذا بلا ريب حجة عليها لا حجة لها ، فاستطاع المستشارون أن يقنعوها أن مثل هذا الزواج المستعجل ، كان خليقاً أن يكون موفقاً لو أتيح للزوجين وقت كافٍ لحسن التعارف بعد الزواج ، غير أن الفراق الطويل بعد زواجه بها ، يضعف الأمل فى بقاء زواجهما . فرضيت الفتاة أن تتمهل . فلم تكد تمضى سنة حتى سلا كل منهما صاحبه .

وفى أيام السلام أيضاً يجد المقدمون على الزواج ما يدفعهم إلى العجلة . أما الذين يسرعون إلى الزواج لغير داع سوى شدة الصبابة ، فمقضىّ على زواجهم بالإخفاق

ويحرص الدكتور بومان على أن يبين للفتيان والفتيات : « أن كل زواج لا يقوم على أساس من العقل والروية ينهار كأنه بنى على رمل » .

٢ — أن الزواج الذى يتم بالمراسلة محفوف بالخطر . فقد ظل فتى وفتاة سنتين يتراسلان كل يوم ، فاشتد الحب بينهما ، ولم يجدا ما يدعوهما إلى إرجاء زواجهما أكثر من أسبوع بعد عودة الفتى من ميادين القتال . فلما التقيا استولى عليهما الحياء والارتباك ، ولكنهما تجاهلا ذلك كله : ألا تدل الرسائل التى تبادلاها على أن كلا منهما يعرف صاحبه معرفة وثيقة ؟

هكذا ظنّا ، أما الدكتور بومان فقال : « كلا ، فإن كلا منهما لا يعرف إلا صورة صاحبه التى أرسلها إليه، وكلاهما توهم لنفسه شخصاً فأحبه . فلما التقيا وجهاً لوجه لقاء لا يتيح للحديث بينهما أن يكون منمّقاً مختاراً كما تعوّدا فى رسائلهما ، أحس كل منهما أنه غريب عن صاحبه لم يلقه إلا الساعة . فالرسائل التى دارت بينهما لم تنفع فى تعريف كل منهما بصاحبه » .

٣ — ومثل هذا أيضاً خليق أن يقع بين فتى وفتاة يكثر لقاؤهما ، ولكن هذا اللقاء يتم فى أحوال تختلف اختلافاً كبيراً

عن الأحوال التى سوف يعيشان فيها بعد زواجهما . فقد نشأ بين طالب وطالبة حب شديد ، وقد كان أهل الطالبة ممن ألفوا الحياة فى الفنادق ، فنشأت وهى لا تهتم بإنشاء بيت لنفسها. وأما الفتى فكان يظن أن جميع النساء كأمه التى تفخر بحسن إدارتها لشئون بيتها . وكان ثمة فروق أخرى بين نشأة الفتى ونشأة الفتاة .

فلما عملا بالنصيحة فتمهلا ، أتيح لهما أن يتزاورا ويعرف كل منهما كيف يعيش أهل صاحبه ، وأتيح لهما أن يتبينا كثرة ما يحتاجان إلى تغييره حتى يوافق كل منهما صاحبه ، وأتيح لهما أيضاً أن يدركا ما الذى يتمنى كل منهما فى زواجه . فلما تزوجا بعدئذ صارا بمنجاة من كل مفاجأة كانت خليقة أن تقوض زواجهما ، لو كانا تزوجا قبل ذلك بسنة واحدة .

٤ — وهذه فتاة حارت بين اثنتين : أن تتزوج أو أن تختار لنفسها عملا تزاوله مدى الحياة ، فلما لقيت فتاها نفت الحيرة من قلبها وقالت لنفسها : « هذا أمر ندبره بعد زواجنا ، أما الآن فأهم شىء هو أن تتزوج أولا » .

قال لها المستشارون : « إذا لم تؤخرى هذا الزواج ظللت حائرة بين زوجك وعملك ، فتعمدين إلى عمل يستغرق بعض وقتك ليكون ملاذاً لك إذا منيت بالخيبة فى زواجك . نعم إن فى وسع النساء أن يجمعن جمعاً موفقاً بين العمل والزواج ، ولكن ذلك لا يتم إلا إذا حزمن رأيهن على أيهما يضحين به يوم تأتى ساعة الفصل » .

٥ — ولعل من أكثر ضروب الخطبة شيوعاً وأجدرها بأن ينهى الشبان عنها ، هى الخطبة التى يعتمد فيها الخطيبان الشابان على تدبير يبدو حسناً موافقاً ، فإذا هبت عليه نسمة من حقائق الحياة تفرق بَدَداً .

فهذان فتى وفتاة لم يكن عندهما سوى قليل من المال فدبرا أمرهما أن يمارس كل منهما عملا بعد الزواج ، وكانا يظنان أنه حسبهما من الحياة حجرة واحدة يأكلان فيها وينامان ، فسألهما المستشار : « وماذا تصنعان إذا رزقتما بولد ؟ » . إن من الواضح أن الولد سوف يرهقهما عسراً ، ويجعل الحجرة ضيقة كل الضيق .

لقد نسيا أن أكثر المتزوجين يرزقون بأولاد ، وأن كل زواج يبنى على تأجيل زمن الأمومة عرضة للخطر ، فإن ثلاثة أرباع الأزواج الذين لم يرزقوا بأولاد ، ينتهى بهم الأمر إلى الطلاق — أى تسعة أضعاف الطلاق بين من رزقوا بأولاد .

يقول الدكتور بومان : « إنه لخير للمرء

أن يطيـل زمن الخطبة حتى إذا ما تزوج كان فى سعة تجعله يعدّ الطفل نعمة عليه لا نقمة » .

٦ — كل زواج فيه بين الزوجين فروق لا يصلحها مرُّ الأيام، خليق أن يكون وخيم العواقب ، وذلك كالزواج بين المختلفين فى الجنس أو الدين .

٧ — أحبت فتاة فتى عرفته دون أن تلق بالاً إلى أنه كان منـذ عهد قريب قد خطب لنفسه فتاة أخرى . وقد أكد لها الفتى أنه قد سلا تلك كل السلوان، والحقيقة أنه كان مدفوعاً إلى خِطبة أى فتاة يلقاها من جراء خيبته فى خطبته الأولى ، فهو لذلك خاطب خطر .

وقد تزوجت الفتاة برغم تحذير مَن استشارتهم ، وسرعان ما حملت منه . وقبل أن يأتى ميعاد ولادتها ، تأجّج حب الفتى للفتاة التى كان قد خطبها أولا، فطلق زوجته لـكى يتزوجها ، ولم يقع بصره على ولده قط . يقـول الدكتور بومان : « كانت أسباب الخيبة فى هـذا الزواج ماثلة منذ يوم العرس » .

٨ — كل زواج يكون الدافع إليه رغبة المرء فى أن يفرّ من حالة لا يطيقها ، مقضى عليه بالخيبة . فهذه فتاة نالت عملا فى مدينة كبيرة ، ولـكنها كانت غير راضية عن هذا العمل ، ولم يكن لها سوى قليل من الأصدقاء . ثم لقيت فتى ظنت أن الحياة معه فى شقة صغيرة أبهج من سهرها وحدها فى غرفة موحشة بالفندق. فلم يكن لزواجها أساس من الحب أو التوافق ، فلم تمض سنة حتى انفصمت عروة هذا الزواج .

يقول الدكتور بومان : « لا يسعد بعد الزواج إلا من وجد حظًّا من السعادة قبل زواجه . فالزواج لا يداوى علة فى النفس قد أعياك دواؤها » .

٩ — وهذا فتى نشأ فى مزرعة ، فهو لا يرى السعادة إلا فى حيـاة المزرعة ، وكانت الفتاة التى لقها ممن ألفن العيش فى المدينة . وكان زواجهما خليقاً أن يكون محفوفاً بالنـكد ، لاختلاف نشأتهما ، بيد أن الدكتور بومان وافق على زواجهما ، فلِمَ فعل ذلك ؟

ذلك لأن الزوجين كليهما أدركا أن عليهما أن يبدّلا من أخلاقهما تبديلا كبيراً، وأخذا يحتالان على إحداث هذا التبديل بكل ما استطاعا . فقضت الفتاة صيفاً كاملا فى ضيافة أسرة الفتى ، فكانت تهبّ من نومها فى الساعة السادسة كل صباح، فتحلب البقر وتعمل عمل نساء الفلاحين . وأخذ الفتى يبحث عن مزرعة فى جوار ناس تحمد عشرتهم ممن ألفوا العيش فى المدن .

وخصص من ماله نصيباً لشراء الكتب والمجلات حتى تظل زوجته على صلة بحياة المدينة . وهما اليوم زوجان موفقان .

١٠ — وهذه فتاة قد أولعت بحب أبويها ولوعاً شديداً، فكان أعظم ما تتمناه أن ينتقل فتاها فيسكن معها فى بيت أهلها، ويشاركها حياتها التى ألفتها وهى فتاة صغيرة. فلما اقترح عليها المستشار أن تنتقل مع زوجها إلى مدينة بعيدة عن أهلها جن جنونها . فالفتيات والفتيان الذين يرتبطون بآبائهم ارتباطاً وثيقاً، لا يزالون فى قيد يمنعهم من أن يوفقوا فى الزواج . ولو تزوجت هذه الفتاة قبل أن يتم نضجها، لمنيت فى زواجها بالخيبة. فلما أطاعت رأى المستشار وتمهلت سنتين نضجت وعاشت زوجة سعيدة .

ولا يرجى التوفيق فى هذه الضروب العشرة من الزواج ، إلا إذا كان الزوجان على خلق عظيم ، حتى يتيسر لهما أن ينجحا فيما هو مظنة الإخفاق . بيد أننا نرى أن كل إخفاق يمنى به زواج منها ، يُرَدُّ دائماً إلى أخطاء وقعت بعد عقد القران ، كأنْ يقول أحدهما : « إنه شديد الغيرة » أو « إنها كثيرة النقار » أو « لشد ما تغيرنا جميعاً » .

وأكثر هذا الزواج مكتوب عليه الإخفاق قبل أن تطبع رقاع الدعوة إلى حفلة العرس .

ويقول الدكتور بومان : « إن النصيحة التى تسديها إلى المتزوجين ، لا تجدى نصف ما تجديه هذه النصيحة إذا أسديتها للمقدمين على زواج لا يكاد يرجى له توفيق » .

كان الأستاذ بلاك رجلاً وسيماً ولكنه كان يهمل هندامه ويدع شعرهُ يطول حتى ينسدل على رقبته وكتفيه ، حتى صار منظره وهو يمشى فى شوارع إدنبره شيئاً مألوفاً يغرى بالسخرية . وذات يوم استوقفهُ صبىٌّ من مسَّاحى الأحذية ، وكان رث الثياب قذر الوجه ، وقال : « أأمسح حذاءك يا سيدى ؟ »

فالتفت الأستاذ، فراعه ما رأى من رثاثة وقذر فقال : « لا يابنى ، ولكننى أمنحك ثلاثة قروش إذا غسلت وجهك » .

فقال الفتى : « حسناً ياسيدى » وعدا إلى السبيل القريب فغسل وجهه وعاد فانبسطت أسارير الأستاذ ، وقال : « أحسنت يابنىَّ ، إليك القروش الثلاثة ».

فردَّ الفتى عليه كالرجل الكريم وقال : « احتفظ بها ياسيدى ، وقصَّ بها شعرك » .

[كتاب « حديث فكه »]

هذه طبائع البشر

كانت فترة انتظار بين قطارين فى مدينة صغيرة ، فرحت أتجول فى شوارعها حتى بلغت حانوت الزهر، فدخلته فلم أجد فيه سوى غلام يتأنى فى اختيار بعض الورود الحمر الجميلة . فقالت بائعة الأزهار : « أرجوك أن تكتب على هذه البطاقة الاسم والعنوان، حتى نرسل الورود إلى من تريد » .

فقال الغلام : « سوف آخذها بنفسى ، وأرجوك أن تكتبي لى على البطاقة هذه الكلمة : عيد سعيد يا ماما » .

وخرج الغلام منزهوا بما حمل ، فنظرت إلىّ البائعة ونظرت إليها فابتسمنا . وبعد ثلث ساعة كان القطار يسير بى الهوينا فى ضواحى المدينة ، وكنت أنظر من النافذة، فتبيَّنت الغلام سائراً على قدميه ومعه العلبة التى تضم الورود — فقد كان داخلا بوابة مقبرة ريفية صغيرة . [جانيت جالو]

● عدت منذ أيام إلى مسقط رأسى فدهشت حين رأيت هنرى الشيال يرفع حقيبتى الضخمة ، ورجلا من كبار تجار البلدة (ولنسمه براون) يرفع الحقيبة الخفيفة . فاستبد بى الفضول ، فعدت إلى المحطة فى صباح اليوم التالى لأستقصى ، فوجدت المستر براون يعاون هنرى فى حمل أمتعة الركاب وتحميلها على عربة النقل . ولاحظت أنه لا يحمل سوى الحقائب الصغيرة ، وأنه يحملها بذراع ممدودة أمامه ويسير بها ، فسألت هنرى : « بربك قل لى ماسر ما أراه من معاونة المستر براون لك فى عملك ؟ »

فقال : « انكسر مرفقه منذ أسابيع ، فلما رفعت الجبيرة عنه أمره الطبيب أن يمشى ساعة كل يوم وهو يحمل بيده شيئاً ثقيلا — قطعة حديد أو ما كان من قبيلها . وقد ظل المستر براون يفعل ذلك فى بيته حتى كاد يجن جنونه ، وقال إنه صار يرى هذا حمقاً وغفلة . وذات يوم قال لى وهو يهزل : « ينبغى لى يا هنرى أن أجىء إلى المحطه فأساعدك فى حمل الأمتعة ، بدلا من أحمل الحديد فى البيت » ، فقلت له : « تجىء أيام أحتاج فيها إلى المعونة » ، فما كان منه إلا أن فعل . وقد مضى عليه أسبوعان وهو يساعدنى فى عملى ساعةً كل يوم، وقد أخذت ذراعه تستقيم » .

[هيلين هنجوفورد]

● عنيت وأنا ممرضة بغلام مقعد فى الثامنة من عمره ، وذات يوم طلب منى أن أقرأ له رسالة جاءته من العمة سو ، فكانت كأنها مذكرات تكتب كل يوم وإليك نص بعضها :

«عزيزي فرانكي: سوف نذهب كلانا اليوم إلى الحقل لننفض الحشرات عن نبات البطاطس. فنأخذ عصا ووعاء، ونمسك الوعاء تحت الحشرات العالقة بالنبات، ثم نسقطها بالعصا، وقد كان في وسعنا أن نميت الحشرات بسم من السموم، فلو فعلنا وجاءت البقر وأكلت ورق النبات لأصيبت بالتسمم. ومتى امتلأ الوعاء بالحشرات، يبت لك ما ينبغي أن نفعل».

وقد تحدثت الرسالة أيضاً عن كلب، ووصفت نزهة في الخلاء عند غدير القرية، وانتهت بقصة عن جنية ترسم صوراً ملونة لأجنحة الفراش.

أما فرانكي فلم تقع عينه في حياته على العمة سو، ولكنه كان دائم التطلع إلى رسائلها، وكان يعيش في هذه الرسائل عيشة غلام من أبناء الفلاحين الأصحاء، يقفز فوق حواجز المزارع، ويتسلق أشجار التفاح، ويعدو في الحقول وكلبه يعدو في أثره.

وكنت ذات يوم قرب القرية التي ترسل العمة سو رسائلها منها، فدخلتها وسألت ناظر مكتب البريد عن العمة سو وهل يعرفها. فقال: «عندنا امرأة اسمها مس سو ريد، ترسل كل يوم رسائل إلى صغار في المستشفيات» ثم التفت وقال: «ها هي ذي مقبلة».

فنظرت فرأيت سيدة في كرسي يتحرك على عجلات، وهي تحرك العجلتين بيديها وتتقدم في بطء نحو مكتب البريد. فقال ناظر البريد: «لم تزل مس ريد مقعدة منذ كانت في الثانية عشرة من عمرها. وليس لها عمل سوى أن تكتب هذه الرسائل. ووالله لا أدري أين تجد كل ما تكتبه فيها». [إرين دريل]

● كنت واقفاً أمام حانوت القرية ساعة رأيت دراجة مقبلة بسرعة، وكان على الدراجة سيدة عجوز شمطاء، وسرعان ما وقفت أمام الحانوت، وترجلت عنها وجلست على حافة الشرفة وأخرجت ورقة كبيرة وأكبت على قراءتها بعناية. وكنت أفكر في سؤال أطرحه عليها دون أن يكشف عن فضولي، وإذا بها قد التفتت إلي وأشارت إلى الكتابة الكثيرة التي على الورقة، وقالت:

«مرضت مرضاً شديداً في الشتاء الماضي، فصارحني الطبيب بالحقيقة وقال إنه يخشى أن لا يمتد بي العمر إلى الربيع المقبل. فوضعت لساعتي كشفاً بالأشياء التي ينبغي أن أصنعها قبل أن أموت». ثم ابتسمت ابتسامة عريضة وهي تلوح بورقتها وقالت: «وهذا الكشف يزداد يوماً بعد يوم، حتى ليخيل إلي أني سوف أعمر إلى المئة».

وقد كان ركوب الدراجات أحد تلك الأشياء، وها هي ذي قد أتقنته فأخذت قلماً، وخطت خطاً عريضاً أسود، فشطبت «ركوب الدراجات» من كشفها!

[م. ج. ادوردز]

« أهم فرد فى الدنيا هو الطفل الرضيع »

ينبغى للأطفال أن يحيوا

حلم لويس موركيو الذى صار حقيقة

ميشيل سكالى

مختصرة من مجلة « ذى پان أميريكان »

أقيم منذ عهد قريب فى منتيفيديو عاصمة أوروجواى، تمثال من البرونز يمثل شيخاً جالساً ، فى وجهه صرامة وجدّ ، وعلى منكبيه وشاح الجرّاح ، وبين يديه طفل ضاحك يحاول أن يخطو خطواته الأولى فى الحياة ، فترشده يدا الرجل إلى سواء السبيل . بيد أن رأسه القوى مستوٍ على كتفيه، وعينيه المغرقتين فى التفكير شاخصتان إلى الأفق البعيد .

ولا يسعك أن تدرك ما قصد إليه المثال فى تمثيله، إلا إذا عرفت قصة لويس موركيو. فقد كان الأطفال بين يديه كالصلصال بين يدى المثّال ، فلما جعل يصوغهم كما يريد ، رأى صورة بعيدة — صورة سلالة جديدة من الناس . وكان موركيو إذا ألقى نظره على طفل وليد ، يرى أباً من آباء الجيل التالى ، وفرصة تتيح له أن يزيد قوة شعبه ويقضى على بعض أسباب ضعفهم .

وأهل أوروجواى اليوم من أقوى شعوب البشر وأصحها ، وأكبر الفضل فى ذلك لهذا الرجل — لويس موركيو . فمعدّل الوفيات بينهم هو أقل معدل للوفيات فى شِقّ الكرة الغربى ، وهو أقل من مثيله فى الولايات المتحدة . ومعدل وفيات الأطفال الرضّع عندهم أقلّ من ٨٠ فى الألف من المواليد ، أما فى جمهوريات أمريكا اللاتينية فيفوق هذا المعدل ٢٠٠ فى الألف على تفاوت بينها . فالطفل الذى يولد فى أسرة فقيرة فى أوروجواى الصغيرة ،أدنى إلى بلوغ الشباب

السليم من أى طفل آخر فى العالم كله .

بيد أن الإحصاءات تدلُّ على أن حظ موركيو نفسه فى الحياة كان حظاً تافهاً يوم ولد فى سنة ١٨٧٦ من أب إيطالىّ مهاجر كان إسكافاً ، فقد كانت الحمى الصفراء والجدرى والكولرا والطاعون تجتاح جمهورية أوروجواى ، وكان معدل العمر المتوقع للطفل الوليد يومئذ لا يتجاوز ٢٥ سنة ، وكان الغالب أن تفقد كل أسرة ربع أبنائها قبل أن يبلغوا سن المدرسة .

وكان المرض لا يفتـأ يصيب الأطفال العشرة الذين أنجبهم موركيو وزوجته ، وكان الطبيب لا يبرح يتردد على بيتهم ، ففتن الفتى لويس بأسرار الطب ، وآلى على نفسه أن يصير طبيباً ، ولكن الأسرة فقيرة ويعوزه المال ، فاختط لنفسه خطة تفضى به إلى ما يريد ، فصار أولا محاسباً خبيراً ، ثم جعل يشتغل بالمحاسبة لطائفة من التجار فى الليل ، ويحضر دروس الطب فى النهار .

كانت مدرسة الطب فى منتيفيديو لا تضم فى العقد التاسع من القرن الماضى سوى حجرتين اثنتين للدراسة ، ومكتبة صغيرة على رفوفها كتب مضى زمانها ، ومدرّج رثّ يختلف إليه الأطباء فى الحين بعد الحين ليعرضوا مشاهداتهم على الطلاب . ولم يكن فيها معمل للأبحاث ، ولا غرفة للجراحة . وكان موركيو وزملاؤه التسعة فى الدراسة يتلقون العلم عن الأطباء فى أثناء مرورهم على المرضى فى المستشفيات والملاجىء ، فكأنهم « صبيان » يأخذون صناعة عن كبارهم .

وفى هذه البيئة تخرج لويس موركيو الشاب النحيل الرث الثياب ، فصار الدكتور موركيو فى سنة ١٨٩٢ ، وكان من أوائل مرضاه طفل فى الثانية من عمره ، بلغت منه علة لم يرها الدكتور موركيو من قبل إلا فى الكبار من الناس ، فوصف للطفل جرعة مخففة من الدواء الذى درجوا على وصفه للكبار ، فلما عاد إلى عيادته وراجع كتبه ، اتضح له أن هذا الدواء خليق أن يقتل الطفل ، فعاد أدراجه يعدو فى الشوارع ، فأدركه واستطاع أن ينقذه من الهلاك ، ولكن المحنة هزّته هزّاً عنيفاً .

ومن ثم أخذ الشكُّ يساور موركيو فى الطريقة الشائعة لعلاج الأطفال على أنهم رجال صغار ، وجعل يفكر فى وجوه الفرق بين أبدان الصغار وأبدان الكبار . وحدث نفسه فقال : لعل السنوات الأولى فى حياة المرء هى التى تقرر مصير صحته . وانتهى من ذلك إلى الرأى بأن الطفولة هى أهم ميادين الطب جميعاً . ثم قرأ عن طائفة من الأطباء فى باريس كان يستكشفون هذه المسائل ، فأخذ يقتر على نفسه ويقترض ما وسعه

حتى جمع ما يكفيه للعيش سنتين ، ثم هجر عيادته وهو فى الخامسة والعشرين ، وأبحر إلى فرنسا راكباً من ركاب الدرجة الثالثة .

وفى «مستشفى الأطفال المرضى» بباريس، أصاب موركيو ما يريد . فدأب على الاستماع لمحاضرات الباتولوجيا التى يلقيها الأستاذ شاركو المشهور ، وملأ مئات الصفحات بأقوال فورنييه أكبر بحاثة فى مرض الزهرى فى ذلك الحين ، وفتح له معهد باستير أبواب أحسن معامل الأبحاث فى ذلك العهد.

ثم عاد إلى منتيفيديو وهو المتخصص الفرد فى أمراض الأطفال . وكان فى وسعه أن ينشىء عيادة خاصة تدر عليه مالا وفيراً، ولكنه آثر أن يكون مدرساً فى مدرسة الطب وطبيباً زائراً لملجأ الأيتام . وكان يعالج من ٣٠ مريضاً إلى ٤٠ مريضاً كل يوم من أبناء الفقراء ، ثم يعود إلى طلابه بصفوة ما خرج به من تجاربه ، ثم يختار نخبة من الطلاب ويعهد إليهم بدراسة حالات معينة أوفى دراسة وأدقها ، فكان ذلك أول نظام من نوعه فى أوروجواى .

وسرعان ما اكتشف موركيو أن أكثر من ٥٠ فى المئة من وفيات الأطفال الرضّع مردُّها إلى ضرب من ضروب « المغص » — كالدوسنطاريا وسواها من حالات التسمم بالبكتريا . وكان الأطباء يعالجون هذه الحالات عادة بإعطاء المصابين قليلا من المسكنات لتهدئة الطفل المصاب. فعلّم موركيو تلاميذه أنه ينبغى لهم أن يبحثوا عن أصل العلة — أهو القــذارة ، أم الطعام الذى لا يلائم الطفل، أم التعرض لضروب العدوى

وفى ملجأ الأيتام شنّ حرباً على الأساليب القــديمة المتبعة التى جعلت الملجأ بؤرة للأمراض . فكان الأطفال اللقطاء مثلا يرسلون إلى المراضع فى بيوتهن فيرضعنهم لقاء أجر معين ، فكان ذلك يفضى فى أكثر الأحيان إلى انتقال الزهرى الموروث من الأطفال إلى المرضعة ، ثم منها إلى ابنها . وقد حطم موركيو حلقات هذه السلسلة الأثيمة ، بالحرص على فحص اللقطاء فحصاً دقيقــاً ، وإرضاعهم من زجاجات اللبن ، إذا لم يكن بدٌّ من ذلك . وقد أسفر فحص المرضعات وبيوتهن ، عن إقصاء المرضعات اللواتى كنّ يحملن الجراثيم . وقضى على ما عهد من تفشى الأوبئة فى الملجأ بعزل الأطفال الطارئين على الملجأ زمناً معيناً .

وقد أثار موركيو عاصفة من الاستياء والمعارضة حين اقترح أن يلغَى « المهد » ، وهو وعاء أسطوانىّ الشكل ينشئونه فى جدار الملجأ من ناحية الشــارع ، فتلقى فيه الأم وليدها إذا أرادت أن تخلص منه ، ثم تدق جرس الباب ، وتهرع فتختفى عن الأبصار .

وكان أهل أوروجواى يرون أن هـذا « المهد » أفضل من إلقاء المواليد عند الباب أو قتلهم، وأرحم بهم . بيد أن موركيو أقام الحجة على أن « المهد » يغرى بالسفاح ، وبيّن أن كثيرين من الأطفال يقضون نحبهم لأن أطباءهم كانوا تعوزهم حقائق عنهم لا يعرفها غير أمهاتهم .

على أن هذه الحملة ظلت تتعثر زمناً بلا طائل ، فتوسل بخطة جديدة . فقد وجد أن كثيرات من الأمهات اللواتى لم يتزوّجن ، يؤثرن أن يكفلن أولادهن لو أتيح لهنّ عمل يرتزقن منه فاتفق معهن على أن يتولين عمل المرضعات وأنشأ مكتباً جديداً لقبول الأطفال فى الملجأ بعيداً عن أعين الناس ، وأغرى كثيرات بالالتجاء إليه ، ويسّر لهنّ الظفر بعمل يعملنه ، وحثهنّ على زيارة أطفالهنّ . ودعا الآباء المترددين كذلك ليزوروا فى الخفاء أبناءهم الذين تحدروا من صلبهم بغير زواج . فكان جزاء موركيو أن زاد عدد الأطفال الذين ينقذون من وصمة اللقيط والتشرد ، ويعدّون للحياة فى الأسرة حياة صحيحة . وبعد زمن صار الناس يزدرون « المهد » وقلّ أيضاً عدد الذين يولدون سفاحاً .

وقد تمّ لموركيو الظفر بتأييد طائفة كبيرة من كبار القوم لرأيه : « إن الطفل هو أهم فرد فى الوجود » ، وأقنع الحكومة بأن تنشىء مدرسة لطب الأطفال ، ثم نظم لخريجيها جمعية لأطباء الأطفال كانت فى منزلة دراسة عليا دائمة . وقد ظل بعض تلاميذه يعملون تحت إشرافه حتى جاء أجلهم . فلما ذاعت شهرته صار المتخصصون فى طب الأطفال يشدون الرحال إليه ليأخذوا عنه ، بيد أنه لم يفتأ يصف نفسه بأنه « أقدم التلاميذ عهداً فى هذه الدراسة » ، وكان لا ينى يحذر تلاميذه الذين وخط الشيب رؤوسهم فيقول : « إذا لم تتعلموا شيئاً جديداً كل يوم ، فتلك بداية الموت » .

والطفل فى أوروجواى اليوم طفل لا ندّ له بفضل جهود موركيو . فالقانون لا يعترف بوجود طفل ولد من سفاح ، ولكل وليد حقه فى أن يأخذ اسم أبيه ونصيبه من ميراثه . وصار مجلس الأطفال القومى ، الذى يعد وصيًّا شرعياً على كل طفل فى أوروجواى ، يمحص أبوة كل مولود ، وينفذ القوانين التى تضمن لكل طفل أن يبدأ الحياة دون عائق شرعىّ يعوقه ، ويكفل للأم المعسرة طعاماً صحياً وافياً فى أثناء الحمل، وللجنين أن يولد فى دار « المهد » تحت إشراف الدولة . أما الأم العامل فتتاح لها إجازة من عملها : شهر قبل الولادة وشهر بعدها . وتتولى المرضات زيارة

الأطفـال فى بيوتهم للإشراف على نموهم إذا كان يشق على أهل الطفل أن يلتمسوا معونة الأطبـاء . وقد أنشئت دور خاصة لرعاية أطفال الأمهات العاملات فى ساعات العمل ، حتى يبلغ الصغار السنة الثالثة .

فإذا ما أشرف الطفل على سن المدرسة الابتدائية طُعِّم بالطعوم الواقية من الجدرى والتيفوس والدفتريا والسل . أما الأطفـال الذين بلغ منهم الهزال لسوء تغذيتهم ، والذين يعدون عرضة لعلل الرئة والقلب والروماتزم، فيرسلون إلى واحدة من المدارس العشرين التى أنشئت فى الهواء الطلق فى أرجاء البلاد ، فيتاح لهم فيها نظام دقيق من الطعام واللعب والراحة . وفى الصيف ينقل ألوف من ضعاف الأطفـال ذكورا وإناثا ، إلى ساحل البحر ، فيقضون أسبوعين كاملين بغير مقابل ، فتحسن صحتهم وتقوى أبدانهم باللعب المنظم والطعام المغذى .

وقد جاوز أثر الجهود التى بذلها موركيو حدود بلاده ، ففى سنة ١٩٢٧ دعا موركيو إلى إنشاء معهد دولى أمريكى لحماية الأطفال، وذاع يومئذ أثره النـافع حتى شمل الشق الغربى كله من كرة الأرض . ومقر هــذا المعهد فى منتيفيديو عاصمة أوروجواى، وهو يمد بالحقائق النافعة كل متخصص فى طب الأطفال ، وكل هيئة لرعاية الأطفال ، وكل مصلحة للصحة فى حكومات أمريكا اللاتينية. وهو أبداً متأهب لكى يجيب على كل سؤال يوجه إليه عن شئون الطفل الصحية من أصغر طبيب ، ولكى يبدى الرأى فى كل تشريع ، أو فى إنشاء هيئات حماية الأطفال ووسائل تدبير المال اللازم لها .

ودسـتور القوانين الصحية الذى دعا موركيو إلى سَنِّه فى أوروجواى لحماية حقوق الأطفال ومعالجتهم ، صار اليوم متبعا بعد تعــديلات يسيرة فى معظم دول أمريكا اللاتينية . وأنت تجد اسمه قد أطلق اليوم على مراكز متعددة لرعاية الطفل ، من جمهورية بيرو إلى جمهورية المكسيك .

ويوم مات موركيو فى سنة ١٩٣٥ كان قد صار فى عداد العظماء من رجال الطب . وقد كان أحد القلائل من الأجانب الذين انتخبوا أعضاء فى أكاديمية الطب الفرنسية. وقد عنيت روما وغيرها من المدن العظيمة بتكريمه ، وشيعت أوروجواى جثمانه إلى القبر فى احتفال يليق بوزير خطير ، وأقيمت الحفلات لتكريم ذكره فى طائفة كثيرة من الجمهوريات الأمريكية .

وقليل من الأطباء من خلّف مثل هذا الإرث الضخم لمثل هذا العدد من الناس !

صور غريبة من حياة شعب عجيب

بلاد الصقيع والنار



بليك كلارك

البرد فى أيسلندة بالقدر الذى يوهمه لبس اسمها (أرض الثلوج) ، فمع أن المنطقة المتجمدة الشمالية هى أقصى حدود البلاد من جهة الشمال ، فإن التيار الدافىء المعروف بمجرى الخليج ، يجعل جو أيسلندة أشبه بجو المناطق الواقعة على بعد ٢٥٠٠ ميل إلى الجنوب . وأشد درجات البرد التى عرفتها ريكجافيك عاصمة البلاد ، هى السبع تحت الصفر ، وفى العالم أنحاء كثيرة فى المناطق المعتدلة أشد منها برداً فى فصل الشتاء. ولما كانت الغدران فى أيسلندة لا يجمد ماؤها ، فقد اضطر ولاة الأمور فى العاصمة أن ينشئوا ساحة من الثلج الصناعى حتى ينزلق عليها الأولاد ليتقنوا رياضة الانزلاق.

وأول مكان رأى فيه الأوربيون ماء ساخناً وبخاراً ينبثقان من جوف الأرض ، هو نقطة تبعد مئة ميل عن مدينة ريكجافيك حيث توجد فوّارة تقذف ماء ساخناً إلى ارتفاع ٢٢٠ قدماً فى الهواء ، وهى تقذفه طول اليوم بلا انقطاع منذ عدة قرون .

ويستدفىء عامة أهل مدينة ريكجافيك بالماء الساخن المستمد من الينابيع الحارة. وقد كانت هذه التدفئة تقتضى قديماً ثلاثين ألف طن كل سنة من الفحم الغالى المستورد من الخارج. وهذه الينابيع الحارة تستعمل اليوم أيضاً لتدفئة ٧٩ حوضاً من أحواض السباحة التابعة للمجالس البلدية . وهنالك برنامج للانتفاع بالينابيع الحارة فى جميع أنحاء الجزيرة ، ومتى أنجز هذا البرنامج فستكون أيسلندة هى البلاد الوحيدة التى

يصبح ثمن الحرارة فيها رخيصاً كثمن الماء .

والماء الساخن الذى يفيض من سخانات البيوت يحول إلى أنابيب المستنبتات الزجاجية وراء مدينة ريكجافيك ، فيساعد ذلك على نمو الطماطم والفلفل والخيار والشمام ، فضلا عن أزهار الخزامى والقرنفل والسوسن وغيرها فى جميع فصول السنة .

وقد استطاع صيادو السمك من أهل أيسلندة منذ عصور متطاولة، أن يستخرجوا وهم فى البحر ماء الشرب من جوف المحيط ، ذلك بأن فى بطن المحيط على كثب من الساحل ، ينابيع ماء عذب ساخن ، وسخونته ناشئة عن نيران البراكين . ومن السهل أن يتجه المرء إلى النقطة التى يتدفق منها ذلك الينبوع ويدلى دلوه فى الماء الفائر ويستقى ماء عذباً .

ويصطاد الصيادون ما لا يقل عن ألف برميل من سمك « الرنجة » كلما خرجوا للصيد . ففى منتصف الصيف يصبح ماء البحر أحمر ، إذ يطفو على سطح الماء عدد هائل من سرطان البحر ، وإذ ذاك تندفع بلايين لا تحصى من أسماك الرنجة إلى حيث تجد الغذاء الوافر . وتتكاثف تلك الأسماك فى الأماكن الضحلة من السواحل ، حتى ليدفع بعضها بعضاً صعداً حتى تراها تصبح ظاهرة على وجه الماء . ويبلغ متوسط ما يصطاده أهل أيسلندة من السمك فى العام تسعمائة مليون رطل ، وهو ما يعادل سبعة آلاف رطل لكل فرد منهم .

وفى أثناء الحرب أمدت أيسلندة بريطانيا العظمى بنحو ٣٥ فى المئة من حاجتها من السمك، وهو يعادل تسعة أعشار صادرات أيسلندة من السمك .

ومنـذ وضعت الحرب أوزارها أخذ ما تصطاده السفن البريطانية من السمك يزداد بالتدريج ، وأخذ ما يستورد من أيسلندة ينقص . أما روسيا فقد صارت من أهم عملاء أيسلندة . والأرجح أنها ستشترى فى هذا العام نصف ما تصطاده أيسلندة من السمك. واتساع نطاق التجارة بينها وبين روسيا قد أفضى إلى نمو نفوذ الحزب الأيسلندى الشيوعى ، فقد أصبح عدد أعضائه فى مجلس النواب عشرة من مجموع عدد الأعضاء وهو اثنان وخمسون .

ويستطيع المرء فى أيسلندة أن يصطاد سمكا مطبوخاً معداً للأكل، ذلك أن بجوار مكان فى البحر يعرف باسم « لوجار » نبع ماء غال يتدفق فوق ماء بارد من جدول

يجرى من أحد الجبال . فيصطاد الصياد سمكة من الماء البارد ثم يغطسها فى الماء الغالى ، ثم يخرجها مطبوخة معدة للأكل وهى لا تزال عالقة بالصنارة .

وأيسلندة من أصح بلاد العالم ، ففى سنة ١٩٤٤ هبطت نسبة الوفيات فيها إلى ٩ر٤ فى الألف ، وهو الرقم القياسى فى ذلك العام . وفى سنة ١٩٣٨ سجل الأيسلنديون نسبة منخفضة لوفيات الأطفال بلغت ٨ر٢٧ فى الألف فى السنة الأولى من حياة أولئك الأطفال . ومع أن مرض السل هو فى مقدمة الأمراض التى تودى بحياتهم ، فإن ظله قد أخذ يتقلص بفضل البرنامج الهائل الذى يحرص الأهالى على تنفيذه لمحاربة ذلك المرض فى أدواره الأولى. أما ثانى أسباب الوفاة فهو الشيخوخة .

وأهل أيسلندة من أوائل الشعوب الغربية التى استعملت الطباعة ، وذلك فى سنة ١٥٣٠. وقد بلغ عدد الكتب المطبوعة التى ظهرت فى أيسلندة قبل سنة ١٦٠٠ أكثر من أربعين كتاباً . وقد اتفق النقاد على أنه ما من بلاد ، سوى اليونان قديماً ، بلغت فيها الآداب هذا المستوى الرفيع الذى بلغته فى أيسلندة . ففى قرن واحد اشتهر فيها ثمانية وعشرون رجلا من أعلام الأدب الذين ترجمت مؤلفاتهم إلى اللغة الإنجليزية . وحامل لواء الأدب فى الوقت الحاضر هو « هالدور لاكسنس » ، وقد كانت رواية «الشعب المستقل» من أروج الكتب فى الولايات المتحدة فى سنة ١٩٤٦.

وليس للأمية أثر فى أيسلندة ، فكل شخص بالغ قادر على القراءة والكتابة ، والقوانين الخاصة بالتعليم تنفذ بكل شدة . والأولاد الذين يسكنون فى جهات نائية فى الأرياف ، يجتمعون معاً فى أحد الحقول بضعة أسابيع ، ثم ينتقلون بكتبهم وأقلامهم إلى حقل آخر ، ويتولى أحد المعلمين الإشراف على تعليمهم .

ولو عاد تشوسر (الشاعر الإنجليزى الذى عاش فى النصف الثانى من القرن الرابع عشر) إلى لندن اليوم ، لما فهم الإنجليز كلمة مما يقول ، ولكن لو عاد « إريك الأحمر » — شاعر أيسلندة الذى عاش قبل تشوسر بخمسمئة سنة — لاستطاع أهل ريكجافيك أن يفهموا عنه بكل سهولة . ذلك لأن لغة الأيسلنديين لم تتغير إلا قليلا ، بحيث يستطيع طلبة المدارس العالية أن يفهموا مخطوطات القرن الثالث عشر كما يفهمون أى صحيفة تنشر فى الوقت الحاضر.

أما جامعة أيسلندة فقد أنشأها طائفة من المقامرين وبنوها بأموال جمعوها من بيع أوراق اليانصيب الوطنى ، وكان ثمن الورقة نحو ١٨ قرشاً ، وكان الأهالى يتخاطفون هذه الأوراق ، ولا يزال ذلك إلى اليوم ، فيتم السحب مرة كل شهر . وتختلف الجوائز من ٢٥ ريالا إلى ١٥٠٠٠ ريال . وقد أنشىء هذا اليانصيب سنة ١٩٣٣ ، وبلغ دخله فى سبع سنوات ٥٠٠٠٠٠ ريال . وللجامعة ريع آخر من أرباح مسرح للسينما بمدينة ريكجافيك .

إن أيسلندة هى فردوس الفنانين ، ففى كل منزل من منازل أهلها صورة من صور المناظر الطبيعية من تصوير أحد رجال الفن الأحياء . وهنالك لجنة برلمانية تدفع أجوراً مقررة لمشهورى المصورين والنحاتين والكتّاب والمؤلفين ، كما تدفع إعانات لغيرهم ، وقد اشترت نحو ٤٠٠ صورة للمتحف الوطنى من عمل كبار المصورين المعاصرين . وكل شخص — حتى جماعة السكيرين — مجبر على مساعدة الفن .

والغرامات التى تفرض على الذين يخالفون قانون المسكرات ، تضاف إلى الأموال الموقوفة على الفنون .

ومنذ أكثر من ألف سنة ، أيام كان الاستبداد هو نظام الحكم الوحيد فى العالم ، كان لأهل أيسلندة مجالس محلية ومجلس نيابى كبير يسمى آلتنج . وقد ظلت أيسلندة هى الجمهورية الوحيدة المستقلة فى العالم نحو ٣٠٠ سنة ، ثم دخلت الجزيرة تحت حكم النرويج ثم الدنمرك . ولما غزت ألمانيا الدنمرك فى الحرب العالمية الثانية ، عادت أيسلندة جمهورية مستقلة مرة أخرى .

وفى سنة ألف بعد الميلاد دان أهل أيسلندة بالمسيحية بعد مناقشة عظيمة فى المفاضلة بين المسيحية والوثنية ، فى اجتماع عام عقده المجلس النيابى وحضره كل فرد من أهل الجزيرة تقريباً .

ولما وصل الفريقان المتناقشان إلى مقطع الخلاف بينهما ، اتفقا على تحكيم «ثورجير» أحد الزعماء الشيوخ . فظل هذا الزعيم يومين متواليين يدرس المسألة فى خيمته ، ثم حكم بوجوب اتخاذ ديانة واحدة هى المسيحية ، على أن يؤذن للذين يأبون قبول هذه الديانة بأن يعبدوا آلهة الشعوب الشمالية سرًّا فى خلواتهم . وقد أعلن أحد الزعماء أنه سيدين بالنصرانية وهو على البر ، أما إذا كان فى البحر فعبادة « أودين » (كبير الآلهة فى أساطير الشمال) هى التى تجعله يشعر بالطمأنينة والأمن .



إن منطق الحيوان يملأ نواحى الغاب ، ومن أمتع الأشياء أن يحرص المرء على دراستها وفهمها .



لغة الحيوان فى الغاب

آلن ديفو
من "نيتشر مجازين"

وقفت مستتراً ببعض الشجر أرقب ثلاثة من صغار الثعالب تلعب ، وأمهن على باب الوجار تتبعهن البصر راضية مطمئنة ، وإذا بصغير من الثلاثة يعدو موغلاً فى المرج ، وكان أصغرَ من أن يباح له أن يخرج وحيداً يطوف فى أرجاء هذا العالم . فاستوت الأم قائمة ، و « سددت » أنفها إلى الناحية التى ذهب فيها — وبقيت على هذه الهيئة ساكنة صامتة لاتتزحزح . ولم يند عنها صوت يسمع ، ولكن لم ألبث قليلاً حتى رأيت الصغير عائداً أدراجه ، فتلفت يمنة ويسرة ثم سدد بصره إلى أمه ، فلم تحول بصرها عنه ، وإذا الصغير يسرع إلى وجاره كأنما كانت تجذبه بخيط لاتراه العين .

ومضت سنوات فعثرت على قصة مثلها رواها عالم مشهور من علماء الحيوان ، ثم لاحظت أيضاً أشياء شبيهة بهذا الذى رأيت ، فكان مثل هذا التفاهم بحديث لايسمع له صوت ، حافزاً لى إلى تقصى تلك الأعجوبة التى لاينقضى منها عجب — ألا وهى لغة الحيوان فى الغاب .

يتفاهم بعض الحيوان بأسلوب شبيه بأسلوب البرق (التلغراف) ، وقد أتيح لى مرة أن أتسمع محادثة جرت دون صوت يسمع أو إشارة ترى . وبعض الحيوان يبين عن نفسه بالإشارة والحركات .

فالنحلة العاملة إذا وجدت زهرة حافلة بالرحيق ، عادت طائرة إلى الخلية ، ثم تشرع ترقص محومة فى الفضاء رقصاً غريباً خاصاً يدل دلالة واضحة على معنى رسالتها المستعجلة . فيفهم سائر النحل فحوى هذا العمل ، فإذا به ينضم إليها واحدة فى إثر واحدة ، ثم لايلبث الجمع أن يندفع كله قاصداً ينبوع هذا الرحيق .

والأرانب إذا أرادت التعبير عن الغضب والهلع ، ضربت وجه الأرض بأرجلها

ضرباً شديداً . وللفأر الضئيل الجسم الأبيض القــدمين أسلوب كهذا فى التعبير عما فى نفسه ، ومن عادة هذا الفأر أن يحوز لنفسه قطعة من أرض الغابة يجعلها حمىً محرّماً على سواه ، فإذا اعتــدى على أرضه معتدٍ من فئران أخرى غازية ، أرسل هذا الفأر صوتاً ينهاها عن انتهاك حماه .

وإذا وطىء عالم الحيوان مخلوقٌ يُخشى شرُّه ، كالإنسان مثلاً ، فللحيوان عشرات من الأســاليب فى تناقل الإنذار بمجيئه . فربما كان الغراب مثلاً أول من يلمح هذا الخطر ، فإذا به ينعبُ محذّراً منذراً ، فلا يلبث سائر الطــير والسناجيب أن تتناقل هذه الرسالة وتذيعها فى كل مكان .

وأنثى البط البرىّ ترسل النذير بالخطر إلى قومها ، بأن ترسل صــوتاً أجش ثم تنطلق مسرعة فى الجوّ . أما الحَجَل فيطير مسرعاً مسافة قصيرة متنقلاً من شجرة إلى شجرة وهــو يصفق بجناحيــه تصفيقاً شديداً . وأنثى الدببة إذا أرادت أن يسرع إليها ولدها نازلاً من أعلى شجرة تسلّقها ، ضربت بكفها جذع الشجرة . أما القُنْدس ساكن الماء ، فهــو إذا فزع ضرب وجه الماء ضرباً شديداً بذنبه الضخم .

ويذكر علماء الحيوان أن الذئب إذا زاد طعامه عن حاجته ، دفن جزءاً منه فى التراب وخلّفَ هناك شيئاً من رائحته عالقاً بالمكان ، فيفهم سائر الذئاب فحوى رسالته حق الفهمّ . والذئب « يفصح عن نفسه » مرّةً بعد أخرى بأن يخلف رائحته حيث يريد ، فتفهمها الذئاب أجــود الفهم ، كما يفهم الرحالة من الناس إذا قرأ مذكرات كتبها رجل سبقه إلى هذه الرحلة .

والذئاب والثعالب — وهى فى الحقيقة من فصيلة الكلاب — تعيش فى عالم لا تعدّ أرضــه أرضاً وحسب ، بل هى « أرضٌ مفعمة بالرائحة المعبِّرة » . ويقول الأستاذ ف . بايتندجك الهولنـــدى الذى تولى التجارب الشهيرة فى دراسة نفسية الكلاب إن الكلب مشغولٌ أبداً « بحديث » لا ينقطع بينــه وبين سائر الكلاب التى فى ناحيته ، وذلك بأن يحرص كل الحرص على التشمُّم والتنقل من شجرة إلى شجرة .

وليس « الكلام » قاصراً على الحيوانات السامية ، فالسرطان الذكَرُ يتكلم بكلام الحبّ بأســلوب يروعك قرب شبهه من أسلوب البشر . فهو إذا أراد أن يتودد إلى الأنثى رفع مخلبه الضخم ولوّح لها به ، فإذا اقتربت منه أخذ يرقص حولها على أطراف أصابعه وهو يضرب الهواء بالمخلب الضخم مشيراً بإشارات متتابعة كأنه يعــبر عن عواطف ثائرة لا يطيق الإفصاح عنها ،

وقلما يخفق فى أفهامها معنى ما يريد .

والأساليب التى يلجأ إليها الحيوان فى التعبير عن نفسه كثيرة مختلفة كاختلاف هذه المخلوقات نفسها وكثرتها . فأنثى الظباء إذا أرادت أن تقول لخشفها : « اتبعنى » ، شالت بذيلها الكثّ مرةً واحدةً ، حتى يُرى بياضه الباطن . والخنفساء إذا أرادت أن تعبر عن المخافة ضربت جدار جحرها فى الشجرة برأسها حتى يُسمع له صوت . وأنثى الحُباحب (حشرة مضيئة فى الليل) تصعد عند الغسق إلى رأس ورقة من العشب وترسل من مؤخر بدنها بريقاً متتابعاً ، إذا رآه الذكر علم أنها تدعوه إلى نفسها .

والطائر الطنان الذكر يعبر عن حبه للأنثى بلغة هى شعر محضٌ وعاطفة ، فهو يستقلّ فى الهواء على جناحين يرتعشان ، ثم يظل يترجح أمام عينى الأنثى كأنه رقاص ساعة ، ثم يشتدُّ مبعداً فى ترجّحه من طرف إلى طرف ، ولا يزال يعلو ثم يعلو حتى تراه ينقذف فجأة إلى أعلى مصعداً إلى أكثر من ٦٠ قدماً . ويحوم لحظة فى أجواز الفضاء ، وإذا به ينقضُّ فجأة فيحوم أمامها وهو معلق يلمع كأنه درة متلألئة .

ومن أعجب أساليب التفاهم بين الحيوان ، هو أسلوب الحديث بين الطائر الذى يسمى « الهادى إلى العسل » والحيوان المعروف باسم « أبو كعب » أو آكل العسل . فهذا الطائر يحب أكل يرقات النحل حتى تكون كالدود ، وآكل العسل منهومٌ بحب العسل . والطائر الهادى إلى العسل لا قِبَل له بالتغلب على جماعات النحل الثائرة الساخطة ، أما آكل العسل فهو قصير الرجلين فلا يستطيع أن يقطع المسافات الطويلة بحثاً عن خلايا النحل ، فترى الهادى إلى العسل يطير مطوّفاً فى أنحاء الغابة باحثاً عن شجرة فيها خلية نحل ، ثم يرتد مسرعاً إلى ذلك القابع الصابر فيحوم فوق رأسه وهو « يقول » له بصوت رفيع عال : « شِرْ ، شِرْ » ، ويدلفُ آكل العسل متثاقل الخطو على أثر الطائر المرفرف بجناحيه . ولما كان هذا الحيوان فى وقاءٍ من جلده الكثيف الشعر فلا يضره لسع النحل ، فهو يهجم على الخلية ويمزقها إرباً إرباً ، ثم يجتمع هو والطائر على المائدة الشهية .

ونمل الشجر فى المناطق الاستوائية « يتكلم » فينتقل كلامه من شجرة إلى شجرة ، وذلك بأن يدقّ دقاً شديداً على لحاء الشجر وورقه حتى يسمع لدقه صوتٌ كأنه صوت انهمار رَذاذ من مطر . أما أسراب الفيلة فلا تكفُّ لحظة عن غمغمة تسمع من حديث وإشارة : وهى لغة أداتها الإشارة بالآذان والخراطيم . وفى أمريكا رجل اسمه

حاك ماينر متخصص فى دراسة الإوز البرى، وبلغ من علمه بلغتها أن أصحابه يزعمون أنه يستطيع أن يدعو سرباً طائراً من الإوز إلى النزول حيث يختفى ، بأن « يخـبر » الإوز، على طريقتها ، بأن ههنا بركة صالحة وطعاماً وافراً .

وقد استطاع بعض علماء الحيـوان أن « يحادثوا » الدببة والأيايل والبوم . وقد عرفت رجلاً من قدماء الحطابين ، وهو اليوم يسكن المدينة ، يتسلى فى الحين بعد الحين بأن يطل من النافذة ويتكلم بكلام الذئاب ، فما هو إلا أن ترى الكلاب التى ظلت أليفة قروناً متطاولة ، قد نسيت هذا الإلْفَ ، ووقفت شاخصـة متحفـزة قد ثارت واستجابت للغـة أسلافها القدماء فى الغابات .

وأغرب كلام الحيوان هو مايكاد يكون تفاهما بغير صوت أو رائحة أو إشارة أو أى حركة أخرى . وقد ذهب بعض علمـــاء الحيوان إلى أنه ضربٌ من الاستشفاف « تلبثى » ، وذهب آخرون إلى أنه ليس إلا ضرباً من الحواس اللطيفة التى بلغ لطفها مبلغاً تعجز عن إدراكه حواس الإنسان . وينكر آخرون ذلك كله إنكاراً باتاً . وأستطيع أنا أن أروى ، غير متحيّز إلى فئة ، خبر هرتين عندى هما « سيم » و « سام » بينهما علاقة لاتنفصم من الأخـوة والودّ . وهما لا يختلفان أو يفترقان إلا فى شىء واحد : فإن « سيم » يحب الخروج إلى الصيد ، أما « سام » فيحب الكسل ، فيقضى الساعات قابعاً فى البيت ، ولكن بعد الشُّقة بينهما حين يفترقان ، لا يمنع فيما يظهر أن يظل بينهما ضرب من التفاهم والاتصال .

فقد يخرج «سيم» أحياناً يتصيَّد فيغيب نصف يوم ، وإذا بى أرى « ســام » يهب من مضجعه على مكتبى يقظان فزعاً ، ويرفع أذنيه متلهفاً ، ويميل برأسه كالمنصت المصغى، وماهو إلا أن يعدو نحو الباب ، فإذا فتحت له الباب انطلق كأنه سهم مقـذوف ، إلى الحقول تارة وإلى الغابة تارة أخرى .

ولو بدا لى أن أخرج فى أثره، لما خامرنى ريبٌ فيما سوف أجد . فهذا الصياد «سيم» قد ولى وجهه شطر البيت ومعه صيد صاده لساعته ، فعرف « سام » خبر صاحبه ، وإن كنت لاأدرى كيف عرف .

قد تقول إنه عجبٌ لايصدق . نعم ربما كان كما تقول ، ولكن ما أكثر مانجهـل مما يدور فى طوايا حواس الحيوان ونفوسها ، حتى لترى أن أكثر العلمـاء علماً وتجربة لايصر إصرار العنيد على إنكار اللغة الصامتة التى يتفاهم بها حيوان الغاب ، أيـًا كانت طبيعة تلك اللغة .

فى الدفاع عن طابع مسكين ، صدم الاستبداد صدمة لا تزال أصداؤها ترن إلى يوم الناس هذا .

قضية زنجر

[illegible] أمام القضاء [illegible]

دونالد كلروس پيتي

أن صحيفة « نيويورك جورنال » نشرت على قرائها أن حاكم نيويورك رجل مرتش ، ثم افرض أن محرر الصحيفة ألقى بعد أيام فى غياهب السجن ، وأن أعدادها جمعت من حيث تباع ، وأشعلت فيها النار ، فلم يبق فى البلد سوى صحيفة واحدة هى لسان الحكومة تأتمر بأمرها .

نعم كل هذا من باب الفرض فى أيامنا هذه ، ولكنه كان حقيقة واقعة قبل أن تقررت فى أمريكا حرية الصحافة . وقد كان الموظف المرتشى هو وليم كوسبي حاكم مستعمرة نيويورك البريطانية باسم ملك الإنجليز ، وكان مشهوراً بقسوته ، وبأنه يمد يده إلى خزينة المستعمرة ، ولا يتحرج من ابتزاز المال من أفراد الشعب . أما محرر صحيفة « الجورنال » ، أو بالحرى طابعها ، فقد كان جون بيتر زنجر ، وقد كان ذلك فى سنة ١٧٣٥ فى اليوم الرابع من شهر أغسطس ازدحمت غرفة المحكمة بجمهور متلهف — أو بتلك الفئة من الشعب التى أدركت أن قضية هذا الطابع المجهول هى قضية الشعب كله . وكان الرجال الذين جلسوا على منصة القضاء من أتباع الحاكم ، وكان الحاكم نفسه قد أقال رئيس المحكمة الأمين النزيه ، حتى يخلو له الجو ليضطهد الناس كما يشاء ، ثم حظر على أبرع محاميين فى المستعمرة أن يترافعا حين تقدما للدفاع عن المتهم . وإذن فمن يجرؤ الساعة على الدفاع عنه ؟

ذلك بأن حرية المرء فى أن يطبع ما يراه ، لم تكن يومئذ سوى شعاع خابٍ من الضوء ، مع أن أهل الدول الديمقراطية اليوم يعدونها شيئاً مألوفاً . وقد فرض الملك هنرى الثامن نظام الرقابة على الكلام المطبوع قبل انقضاء زمن طويل على دخول الطباعة فى إنجلترا . بل انظر إلى هؤلاء الرجال الأحرار الذين هجروا أوربة إلى أمريكا لينشئوا فيها دولة

حرة ، إنهم كانوا لايفهمون الحرية إلا فى نطاق ضيق — أن يكون المرء حرًّا فى نشر ماترضى عنه الأقلية الحاكمة، ومايوافق آراءها . ولم يكن فى مستعمرة نيويورك فى عهد حاكمها كوسبى سوى صحيفة واحدة اسمها « الجازيت » ، وكان يصدرها رجل كان محتكراً لمطبوعات الحكومة . أى أن الحاكم كان يقبض على زمام الصحافة والقضاء بيده القاسية الملوثة .

فلذلك عمد فريق من الأحرار إلى إنشاء صحيفة «الجورنال» لكى يفضحوا فى صفحاتها فساد الحكم ، وجعلوا مقرّها فى مطبعة زنجر، وكان زنجر نفسه يكتب بعض مقالاتها اللاذعة . نعم إن زنجر لم يكن كاتباً مجيداً ، ولامحدثاً يقيم الكلام على أصوله الصحيحة ، ولكنه كان رجلاً كريم النفس أبياً على الظلم. وكان قد رحل إلى نيويورك من ألمانيا وهو فى الثالثة عشرة من عمره ، وكان حظه من الثقافة قليلاً ، ولكنه تجرأ على طبع الأصول التى جاءه بها أصدقاؤه الأباة ، فلما طبعها وقعت تبعة طبعها على كاهله دون غيره . فلما أمر الحاكم بأن تشعل النار فى نسخ « الجورنال » أبى زنجر أن يكفّ .

ذلك بأن الحق لا ينقلب رماداً ، وقد كان الجمهور يقف أمام النيران المتأججة ، ويقرأ على ضوئها الطبعات الثالثة والرابعة من صحيفتهم التى لاتخاف فى الحق شيئاً . وازداد مايباع من الصحيفة كل أسبوع ازدياداً مطرداً ، فضاق الحاكم بها ذرعاً ، وقررّ فى آخر الأمر أن يودع زنجر غياهب السجن ، وجعل مبلغ الكفالة لخروجه منه باهظاً يُعجز أغنى الناس ، ولاسيما بعد أن حظر عليه أن يتصل بالمحامين ، أو أن يكلم أحداً من الناس سوى زوجته ، وذلك من خلال ثقب فى الباب .

كانت أنة زنجر زوجة تضاهى زوجها شجاعة وإباء ، فمضت فى إصدار الصحيفة تلبية لطلب زوجها ، ولم ينقطع عن الظهور سوى عدد واحد منها . ولكن زنجر واقف اليوم فى المحكمة وعليه عيون القضاة التى لاترحم ، وهو متهم بجريمة كبرى ، وليس له وسيلة للدفاع عن نفسه .

أو هكذا ظن الحاكم ، ولكن الجمهور المحتشد فى غرفة المحكمة الحارّة ، انشقّ ليفسح الطريق لشيخ أشيب الشعر، منحنى الظهر ، يسير بخطىً وئيدة . هذا محامى الدفاع — آندرو هملتون ، أشهر المحامين فى المستعمرات . فقد سمع بمأساة الطابع المسكين ، فرحل على الرغم من الآلام التى تنتابه رحلة شاقة مسافة مئة ميل من مدينة فلادلفيا إلى نيويورك . وقد ظلّ وجوده فى غرفة المحكمة سراً مكتوماً ، ولعل ظهوره

فيا ذلك الظهور الرائع أذهل القضـاة ، وإذا بالوجوه المتغطرسـة قد انقلبت حمراً تحت الشعور العارية البيضاء ، وإذا المحلفون، وهم من عامة الناس ، قد أخذ بعضهم ينظر إلى بعض نظرات تنبيء باهتمام متجدد .

وقد كان آندرو هملتون مهندساً بنّاء، وهو الذى وضع تصميم « دار الاستقلال » المشهورة فى تاريخ أمريكا ، ولـكنه وضع أمتن بناء وأبقاه يوم وضع الأساس لحق من أعز الحقوق على البشر وأثمنها .

ومع ذلك كان النائب العام برادلى لايزال مقتنعاً كل الاقتناع بأن القضية التى أعدها لايأتيها الباطل ، ساعة وقف وقال للمحكمين قول المتعالى إن الموضوع المعروض عليهم للفصل فيه هو هـذا ولاشىء غيره : هل تولى زنجر طبع الأشياء الـكاذبة التى تحتوى على قذف فى الحاكم الملكى ؟ أما هل تنطوى هذه الأقوال على صدق وحق ، فشىء لايسمح للمحكمين أن ينظروا فيـه .

كان هملتون الشيـخ خبيراً بأساليب المحاكم، فوقف وفى وقفته عزة ووداعة وقال : « حضرات القضاة ، إننى أوافق النائب العام على أن الحكومة مقدسة ، ولـكننى أخالفه فى أن الشكاوى العادلة التى يتقدم بها شعب يعانى حكومة فاسدة ، تعدّ قذفاً » .

فصاحت النيابة : « هذا كلام سخيف ، والقوانين التى أصدرها الملك تشارلز الأول تقضى بأن كل نقـد يوجه إلى موظف فى الحكومة قذف، سواء أصدق أم لم يصدق » .

فردّ هملتون فى لهجة الرجل الرزين : « إن ذلك لا يمكن أن يكون ، فالاتهـام الذى صـــدر فى حق زنجر ذكر أنه نشر مطاعن كاذبة ، فكلمة « كاذبة » لم تكتب عبثاً فى قرار الاتهام » قال : « فإذا دعيت الحقيقة قذفاً ، كان ذلك سيفاً فى يد ملك شرير ، أو جبان فاسد ، يهلك به الأبرياء » .

فهاج النائب العام وقال : « كن حذراً يامستر هملتون فيما تقول ، إياك والشطط »

فقال هملتون وهو يبتسم : « حقاً ، حقاً إن رجال الحـكم لا يُعْـفون من الأخذ بأصول العدالة . وقد يكون فى وسعنا أن نقنع الحاكم بأن مصلحته تقتضيه أن يكون عادلاً . ولـكن ماقيمة هذا كله إذا فرض السكوت على كل رجل يتظلم ، أو إذا اتهمنا بالقذف كلّ رجل يبث شكواه ومظالمه لجاره ؟ »

فقاطعه أحد القضاة منتهراً وقال : « إن القانون واضح لا لبس فيه ، فالقـذف قد يكون قذفاً ولو كان صحيحاً ، والصدق يزيد من فظاعة الجريمة متى قيل الصدق فى حق موظف من موظفى الملك . فليلزم هملتون الصمت فى هذه المسألة . ولن يصغى القضاة إلى حجته » .

فانحنى هملتون وقال : « أشكر لحضرة القاضى ماقل» . ثم تحول حتى واجه المحكمين وصاح: « ياحضرات المحكمين، إليكم نلتفت الآن للظفر بشهود على صحـة الحقائق التى عرضناها ، ثم حُظرت علينا حرية إقامة الدليل عليها . إن الحقائق التى نحن على أهبة إقامة الدليل عليها ذائعة مشهورة ، فلا مَلاذ لسلامتنا سوى عدلكم . ولما كانوا قد أنكروا علينا حرية إقامة الدليل على صحة مانشرنا ، فإننى أستأذنكم فى أن أقرر أن منع الدليل ينبغى أن يعدّ أقوى دليل » .

وفى وسعنا اليوم ، وقد انقضى قرنان من الزمان ، أن نسمع صوته الرنان ونحس السكوت اللهوف المخيِّم على المستمعين . كانوا قد أصغوا إلى النائب المتعجرف بشعره المستعار، وألفاظه القانونية ، وثيابه الموشاة، فلم يغلبهم مارأوا وماسمعوا على عقـولهم . ولكن هذا الشيخ قد استأثر بعنايتهم ساعة قدح الحقائق بالحق فطارت شرارة الحرية .

صاح هملتون: «إن المسألة المعروضة عليكم ليست مسألة قليلة الخطر أو مسألة خاصة ، وهى ليست قضـية طابع مسكين تحاكمونه الآن. كلاّ ! بل هى مسألة قد يكون لعواقبها أثرٌ فى حياة كل إنسان. إنها لأكرم قضية ، إنها قضية الحرية ؛ وكل رجل يؤثر الحرية على الاستعباد سوف يجلكم ويكرمكم ، لأنكم رددتم عدوان الاستبداد بحكم نزيه ، ولأنكم وضعتم أساساً نبيلاً يضمن لنا ولذريتنا ولجيرتنا ذلك الحق الذى منحتنا إياه الطبيعة وأقرته لنا الشرائع ، حق فضح السلطة المستبدة ومقاومتها بقول الحق وكتابته » !

تأججت النار فى صدور القضاة ، وإذا رئيس المحكمة يجمل فى عبارات مثقلة بالتهديد ، خلاصة التهمة للمحكمين ـ فكأنه يوجههم إلى الحكم على زنجر بأنه مذنب .

وخرج المحكمون من مقصورتهم ، فلم تكد تنقضى دقائق حتى عادوا وأصـدروا قرارهم بالبراءة . فهز الهتاف أرجاء المحكمة حتى عجز القضاة عن إقامة النظام . وفى اليوم التالى أطلق سراح زنجر، أما الحاكم كوسبى فقد هاله أن تفسد خطته، وأن يهان ، فمرض ومالبث طويلاً حتى مات . وطبعت خطبة هملتـــون ووزعت فى جميع المستعمرات الأمريكية ، وقرأها أحرار إنجلترا باهتمام عظيم ، وكان لها أثر كبير فى بلاد كثيرة .

وهذا المجهود الذى بذله شيخ شجاع منذ زمن طويل آتى ثمره ، فلما وضع الدستور الأمريكى نص فيه على حرية الصحافة فى التعديل الأول لبيان حقوق الإنسان. ومنذ ذلك اليوم إلى يومنا هذا ، لم يستطع أحد من أهل الحكم أن يقضى على حق الصحافة الأمريكية فى نقد الحكومة مهما كان النقد مرًّا لاذعاً .



ذكرى خالدة

ماري هاريسون سـكلز

لم يكد ينقضى يومان على مأتم أمى حتى ذهبتُ لزيارة صديقتها الأثيرة عندها السيدة ميبل بارتون . وقد خلفت أمى عند وفاتها شيئاً قليلا لا يذكر من المـال ، ولكنها خلفت ثروة عظيمة من الذكريات المحبَّبة والصداقات الكريمة والأثر الطيِّب النافع ، فصحَّ عزمى على أن أصنع شيئاً خاصًّا لتخليد ذكرها .

وقالت ميبل فى لهجتها الهادئة : « أودُّ أن أروى لك قصة عساها أن تعينك على ما تريدين :

« مات أبواى فى بحر أسبوع واحد ، فقد قتل أبى فى حادثة سيارة ، وقضت أمى نحبها على أثر نوبة قلبية ، فجزعت أعظم الجزع ، وألحَّ علىّ الشعور بالوحشة وبالنقمة على الحياة . فقد كانا فى الستين من العمر ، وكانا كما كانت أمك زوجين ترفُّ السعادة عليهما ، ولا يبرحان يسديان الخير لمن يحيط بهما من الناس .

« وكنت أعرف شيوخاً وعجائز فى السبعين والثمانين لا يتصفون بهذه السجايا ، فجعلت أسأل نفسى لِمَ تبقى الحياة على أهل الأثرة والعجز الذين لا يسدون يداً إلى أحدٍ من الناس ، ولا يفيضون البهجة على أنفسهم ، ثم تقضى على أبوىَّ المحبوبين فى إبَّان نفعهما والحاجة إليهما ؟

« وذات يوم طلب منى أحدهم أن أزور مسز فاريدى ، وهى عجوز مشلولة فى الرابعة والثمانين من عمرها لا تبرح سريرها ، فقد كانت أحد المرضى الذين تولى أبى علاجهم فحملتنى تلك الزيارة على أن أبدِّل نظرتى إلى الحياة .

« وقد أخبرتنى مسز فاريدى عن عيادة أبى لها ، وما كان لها من قيمة فى نظرها ومن أثر فى حياتها ، فألفيت فى كلامها نشوة الزهو ووقع التوبيخ فى وقت واحد .

« فقالت : ونحن إذا تقدم بنا العمر يا عزيزتى ، كنا خليقين أن نحسَّ بالوحدة والوحشة . وقد سبقنى إلى الدار الآخرة

معظم أصدقائى وأقربائى منذ زمن بعيد ، فما خطر لى ببال أن أجد فى الحياة صداقة كالصداقة التى أنعم بها علىّ أبوك وأمك .

«كان أبوك يزورنى مرة فى الأسبوع ، مع أن بدنى المتهدم لم يكن فيه مكان لعلاج طبيب، وأنت تعلمين كيف كان طبيباً مرهفاً. ثم كانت أمك تعرّج علىّ فى يوم الثلاثاء من كلّ أسبوع ، فتلبث عندى هنيهة يفيض منها النور المشرق على حياتى ، حتى يكون موعد زيارتها التالية . وكانت تجيئنى بكتاب فى كل مرة ، وكنت أحب القراءة كما تعلمين . وكانت فى أكثر الأحيان تقرأ لى بضع دقائق ، فإن لم تفعل اقتصرت زيارتها على الحديث ، فكانت تنقل إلىّ أخبارك وأخبار الأسرة جميعاً ، حتى صرت أجدنى أعرفك يا بنيتى حق المعرفة .

« فلذلك أريد أن أعطيك هدية صغيرة ولما كان أبوك قد امتنع عن أن يطلب منى ما يستحق له عندى من أتعاب ، فإننى أريد أن أعطيك ما وفرته وادخرته من المال فى الأشهر الستة الأخيرة ، حتى يكون لى نصيب يسير فى أى عمل تقدمين على عمله باسمهما . »، وإذا بها تدس لى فى يدى بضع أوراق وقليلا من النقد — وكان مجموعها ٤٧٥ قرشاً .

« وقد أطلعت صديقة لى على هذا الحادث الذى يثلج الصدر ، فاقترحت علىّ ما ينبغى أن يكون التذكار الذى أقيمه لأبوىّ . إنها لم تقترح أن أقيم نصباً لهما ، ولا أن أتولى الإنفاق على غرفة فى المستشفى باسمهما ، ولا أن أنشىء نافذة من الزجاج الملون فى بيعةٍ فيكون ضوءها المتوهج مذكراً بحياتهما المشرقة. فقد كان أبواى لا يقصران زيارتهما على مسز فاريدى من أجل الترفيه عنها ، بل كانا يزوران جميع الشيوخ والعجائز الذين ينتهى خبرهم إليهما ، فعزمت أن أقف عصر يوم الثلاثاء من كل أسبوع على زيارة الشيوخ والعجائز الذين تستبد بهم الوحشة ، وأن تكون هذه الزيارات تذكاراً أقيمه فى دخيلة نفسى لأبوىّ المحبوبين .

«وقد ذهبتُ فى أول الأمر لزيارة بعض أصدقائهما ، فوجدت من ترحيبهم بى ما أفاض الإشراق والسكينة على حياتى التى أقضى معظمها بين أولادى ولداتى . ثم أضفت إلى كشف زياراتى أسماء آباء ثلاثة من صديقاتى هُصِر غصن حياتهنّ فى ميعة صباهنّ ، فكان يسرُّهم أن يستقبلوا سيدة كانت صديقة لبناتهم .

« وقد صار لى اليوم أصدقاء فى ملجأ العجزة ، وهم كمثل مسز فاريدى رجالٌ ونساء تستبدُّ بهم الوحشة ، وقلّ فى الدنيا

ما يستأثر باهتمامهم ، حتى لتراهم يقدرون أحسن تقدير من يذكرهم. ومنذ أيام ذهبت شقيقتى لزيارة سيدة فى الحادية والثمانين ، فأطلعتها كالمزهوّة على بطاقة تحية كنت قد أرسلتها إليها منذ ست سنوات يوم كنت فى إجازة . وقد احتفظت بها هذه السنوات الطوال .

« وقد أحمل أحياناً بعض الهدايا الصغيرة إلى من أزورهم ، وقد يكون ذلك مجلة تحتوى مقالا فى موضوع يهمهم ، أو قصاصة من صحيفة فيها ذكر لأبناء صديق من أصدقائهم . وأنا أضيف إلى المال الذى أعطتنى إياه مسز فاريدى بعض ما أستطيع ادخاره فى الحين بعد الحين ، ثم أقترض منه لأشترى هدايا أحملها إلى من أزورهم ، كطاقة من الورد ، أو بعض الصوف لأشغال الحبك ، أو سترة من صوف تلبسها السيدة التى لا تبرح فراشها ، أو دفتراً للصق القصاصات المختارة من الصحف أو ما يشبه ذلك .

« ولكننى فى أكثر الأحيان لا أصنع شيئاً سوى الإصغاء إلى حديثهم ، وبعضهم يحدثنى حديثاً فيه متعة ونفع ، وبعضهم لا يفتأ يُعرِّج على ماضيه . وحين أنظر فى عيونهم الخابية ، وكيف تتألق ساعة أدخل عليهم ، أحسُّ أن فرحتهم بلقائى هى نعمة تدخل العزاء على نفسى ، وتجدد فيها ذكر أبوىَّ الحبيبين تخليداً يرضيان عنه » .

فلما فرغت ميبل بارتون من حديثها تطلعتُ من خلال الدموع المتحيرة فى عينىَّ فرأيت وجهها الحلو المطمئن .

وقلت : « ما أجمل أن يصنع المرء ما صنعت ، ويخيَّل إلىَّ أنه شىء كان خليقاً بأمى أن تصنعه » .

فقالت : « هو ما تقولين . فالسيدة التى اقترحت علىَّ أن أصنع ما صنعت لم تكن سوى أمك أنت » .



ليست أعظم تحية يستطيع الكاتب أن يظفر بها ، هى أن نستغرق فى قراءة صفحاته حتى ننسى كل شىء آخر ، بل هى ما يقع أحياناً من توقفنا عن القراءة عن غير وعى ، وإلقاء الكتاب جانباً والاسترسال فى التطلع إلى آفاق بعيدة بعيون زال عنها بعض ما كان يغشاها . [تشارلز مورجن]

بريطانيا بين العسر واليسر

فلتون أورسلر
مقتطفات من مذكرات مسافر

في صباح هذا اليوم ، وهو أول يوم أزور فيه لندن بعد الحرب ، سألت عاملة الفندق بالتلفون قائلا :

« هل أستطيع أن أطلب فطورى ؟ »

« نعم ياسيدى . ماذا تحب ؟ »

« أريد بيضتين مقليَّتين » .

« وهل عندك هاتان البيضتان ؟ سأصعد إليك لآخذها » .

« ولكن لا بيض عندى » .

« آه ياسيدى ، ولا بيض عندنا نحن أيضاً » .

وكان ينبغى أن أدرك أن البريطانيين وهم فى السنة الثانية من السلم ، يعانون نقصاً كبيراً فى الطعام والملبس والدفء ، ولكن من الصعب إدراك هذه الحقائق إلا إذا خبرها المرء بنفسه . فما هو إلا حين جلست لتناول فطورى من الخبز الأسمر والمربى الصناعية ، حتى بدأت أدرك ماأنا معرّض له من الجوع والبرد والظلام .

حصة الفرد فى إنجلترا من الطعام : ثلاثة أرباع رطل من لحم البقر فى الأسبوع إذا وفق للظفر به ، وثلث هذا المقدار من اللحم المحفوظ ، وله أن يشترى ثلاث أوقيات من الخبز فى اليوم ، وثلاث أوقيات من الزبد فى الأسبوع ، ومثلها من الزبدة الصناعية ، وبيضة واحدة إن اهتدى إلى من يبيعها له .

ويصرف للفرد ٣٢ بطاقة للملابس : للحذاء تسع بطاقات ، وللجورب ثلاث ، وللقميص من الصوف سبع ، وللبذلة الكاملة ست وعشرون .

قال لى مرة أحد سائق السيارات :

«لقد ضقنا ذرعاً،فإن بطاقاتى أنا وزوجتى تضيع فى شراء ما يلزم لأولادنا ، فأنت تعلم كيف يبلى الصبيان ملابسهم . وهــذه القيود قاسية حتى على من كان لديه كفايته من الملابس منذ سبع سنوات،أما عامة الناس فلا يملكون عادة إلا بذلتين واحدة للعمل وأخرى للأعياد . وقد بليت بذلة العمل منذ مدة طويلة ، فلم تبق لى إلا بذلة الأعياد ألبسها كل يوم.هذا والسير ستافورد كريبس المشرف على نظام البطاقات، ينبئنا بأن البطاقات الجديدة لن تعطى لنا إلا بعد شهرين » .

ولا يضاء النور الكهربائى إلا بضع ساعات فى اليـوم . وقد تناولت الغذاء مع ناتالى كالموس الخبيرة الفذة فى صناعة تلوين أفلام السينما ، فأخبرتنى أنها حين تستيقظ قبيل الفجر لتلحق ميعاد عملها فى معامل أرثر رانك، وهو أكبر ممول للأفلام فى إنجلترا ، تضطر إلى التزين على ضوء قداحة سجائر .

وقد حدثتنى سيدة وهى فى غضب شديد ، بل قل إنها كادت تصرخ فى وجهى ، وهى من أشهر الأديبات المعروفات فى إنجلترا وأمريكا ، ولهذا فإنى أعفيها من ذكر اسمها قالت :

« إننى أقف فى صف من الناس ساعتين إن أردت شراء خبز أو سمك أو خضر ، ثم إذا عدت إلى الدار لأطبخها لا أجد لبناً ولا بيضاً ولا زبداً، وأغسل الصحون بلا ماء ساخن وبلا صابون .

أما أنتم أيها الأمريكيون المتخمون، فإنكم تأتون إلينا لتجسسوا أخبارنا . وها نحن أولاء بعد مضى سنتين أصبحنا لا نبالى بمس الجوع أو البرد .

ومن السهل أن يضل المرء فى فهم مدلول الانفجار بمثل هذه الشكوى ، وأنا واثق أنها غير عامة بين أفراد الشعب . حقاً إن البيوت لا تزال فى بلاء من القُرّ والمطر المتسرب والرياح الباردة فى هـذا الشتاء القارس الذى لم تشهد بريطانيا مثيلا له فى شدته . وقد سمعت مستخدما فى محل لى يتمتم وهو يلف لى ربطة :

« لو أسقطنا خطر الموت وبلاء الرعب، فإن حالنا أيام الغارات الجوية كانت أسعد من حالنا اليوم ، فقد كنا نجد حينئذ مقداراً أوفى من الطعام » .

ولكنى حرت فى أمرى،فهذه دور لندن الكئيبة على نوافذها الزهريات بأزهارها الناضرة تنبىء بأن الربيع وشيك القدوم ، وها هى ذى فرق من الجند تسير فى الطريق تعزف الموسيقى ويلتف حولها الصبيان ، فقلت لسائق سيارتى :

« إنني أرى هؤلاء الصبيان في عافيــة وقوة »،فأجابني : « إن خير الطعام مخصص للصبيان ، وهكذا تظل إنجلترا باقية دائماً أبداً كما يقولون » .

ثم أشرق وجهه بابتسامة حزينة وقال : « وهــذا هو سبب ندرة الخمر وارتفاع سعرها وفساد مذاقها ، ولكنها تضحية لها قيمتها » .

ذهبت إلى المسرح برفقة سـيدة جميلة بارعة في فن الرسم ومعها زوجها وهو محام، وبدأ التمثيل في الساعة السـابعة بالتوقيت الصيفي ، أي في الساعة الخامسة من النهار، والجمهور لا يرتاح لحضور التمثيل في مثل هذه السـاعة المبكرة ، وقد رأيته يصفق لممثل هزلي يقول موجهاً الخطـاب إلى الحاضرين :

«إنكم تأتون هنا قبل أن يتاح لكم وقت تأكلون فيه أو تغسلون فيه وجوهكم . فأنتم تشاهدون الفصل الأول في ضيق ، والثاني في عجلة ، وتستسـلمون للنوم في الفصل الثالث » .

ورأيت الحاضرين وقد ارتدوا المعاطف وفي أيديهم القفازات . وهذا بطل المسرحية يتوالى سعاله ، أما البطلة فلا تنقطع عن العطاس ، ولكن تطلع علينا في الاستراحة بين الفصول خادمة رشيقة تقدم إلينا كعكا وقهوة ساخنة .

وقالت مضيفتي وأنا أتناول لديها طعام العشاء في الساعة العاشرة :

« إننا نضيق ذرعاً بالحياة أحيانا ، وقد تهيج أعصابي حتى لا يغمض لي جفن بالليل، ولكنني أحتال على النوم بان أعد أسماء أصدقائي ، فإذا بي أجد أنني قد اكتسبت في أوقات الشدة عدداً من الأصدقاء يزيد على عدد أصدقائي في أوقات الرخاء . وقد تم نجاتنا بفضل حرصنا على تنمية هــذه الروابط من الصداقة ، كما يحرص المرء على تنمية زهوره » .

وكنت بعيداً عن اللباقة في مبدأ حديثي مع تشرشل ، كنت أسير معه وهو يريني حجرات داره ، فقادني إلى حجرة يغمرها ضوء النهار وقد امتلأت بالصور ، ففي تلك الحجرة ينصرف السياسي الكبير إلى إشباع هوايته للتصوير ، فاستلفتت نظري لوحة تمثل تساقط ثلوج الشتاء فقلت له : « هذه أبدع لوحة في مجموعتك » .

فحدجني بنظرة ذات مغزى وقال لي بصوته الجهوري الواضح الرنان الذي ذكرني بنبراته القوية في خطبه الشهيرة أثنـاء الحرب — قال : «هذه اللوحة رسمها إنسان غيري !»،

فأدركت مع الأسف أنها كانت هفوة من لسانى ، ولكنه قال لى بود :

« أصبت ، إن خير لوحاتى ليست هنا » .

وكان تشرشل يرتدى بذلته التى يحبها ويتندر بخبرها مواطنوه من وراء ظهره ، تلك البذلة الفضفاضة المتهدلة التى عرف بها أيام الغارات الجوية . لقيته مبتهجاً محتقن الوجه من أثر سيره على الأقدام ثلاثة أميال ، ثم صعدنا إلى حجرة الاستقبال فى قصره المعروف باسم شارتويل مانور وألقى نفسه مسترخيا فى مقعد بجوار المدفأة ، وقفزت إلى كتفه قطة سوداء وأخذت تراقبنى بعينين تتبدل أضواؤها . هذا هو قصر أجداده الأمجاد ، وقد نام فيه هنرى الثامن ليلة . ويقيم تشرشل فى هذا القصر ضيفاً على الحكومة ، إذ سيأتى يوم يصبح فيه هذا القصر ومحتوياته وكتبه من الأملاك العامة، تخليداً لذكرى جهاد هذا البطل العظيم .

ولقد حدثنى الرئيس روزفلت مراراً عن إعجابه الفائق بتشرشل ، فلما ذكرت له ذلك قادنى إلى إطار معلق يضم رسالة كتبها الرئيس روزفلت فى يوم الذكرى السنوية لرحلتهما إلى طهران ، يقول فيها : « إننى لا أتأخر عن القيام برحلة أطول لأسعد بلقائك » .

وقلت له : « يامستر تشرشل ! إن العلل والأمراض قد حاقت بإنجلترا ، فهل تراها تسترد يوماً ما صحتها وعافيتها ؟ ومن كلام الناس أن لا مخرج من ورطتها الحالية إلا بإخضاع مرافق الأمة كلها لسلطان الحكومة » .

فصرخ قائلاً : « هذا كلام الناس ! فليس الإنجليز شعباً تضعضع قواه إذا مالحقته ضائقة تصديقاً لكلام الناس . عندى لوحات أخرى أريد أن أريكها » .

ثم قدم لى مجموعة من الصور تمثل تصميم الموانىء الطافية التى جاء اختراعها مفاجأة مريرة للنازيين ، وأعانت على تحقيق نزول الحلفاء فى شواطىء نورمندى .

وضمت هذه المجموعة أيضاً عدداً من الرسائل ، أولاها رسالة من كبار المهندسين ينبئون فيها رئيس الوزراء بغضب أنهم عاجزون عن وضع تصميم هذه الموانىء الطافية التى يريدها هو ، والرسالة الثانية كتبها تشرشل بخط يدل على القوة والعزم : « فليكن جدالكم مع المصاعب التى تواجهكم لا معى ! » .

وبفضل هذا الأمر الصريح وفق المهندسون إلى وضع التصميم الذى كان يبدو لهم من قبيل المستحيلات ، فكأنه يكرر هذا الأمر للإنجليز وهم يواجهون محنتهم الراهنة .

وأخذت وأنا أفارق القصر ألقى آخر نظرة على هذا الرجل العسكرى فى بذلة الغارات الفضفاضة ، وهو واقف فى الشرفة يحيينى باليد الرشيقة يد الفنان ، وإنها ليد قادت الجيوش والأساطيل إلى النصر .

وحملتنى السيارة فى عودتى إلى لندن وسط حقول فاح عبيرها فى المساء ، فغمرنى اليقين بأن النصر لا ينعقد لواؤه إلا بمثل ما تحلى به تشرشل من الشجاعة والإيمان .

ولكن ما هى العوائق التى تحول دون استعادة إنجلترا لقواها ؟

وجهت هذا السؤال إلى رجل من أقدر أعضاء وزارة العمال وأسحرهم شخصية ، وهو الدكتور ماك نيل وزير الدولة ، والمساعد الأول لمستر بيفن وزير الخارجية .

ذكرت له ماسمعته من انتقادات المحافظين من أن سرعة نفـــاد القرض الأمريكى وضرورة طلب مبلغ آخر من الدولارات ، عوامل تبدد أمل حكومة العمال فى تنفيذ برنامجها ، وذكرت له أيضا قولهم إن الحكومة لم تلجأ مرة إلى تأميم بعض مرافق الدولة إلا باءت بالخسران . بل إن أحد النواب العمال ، وهو مستر إيفانز ، وقف فى مجلس العموم ينتقد طلب إنقاص ساعات العمل فقال:

« إن مطلب زملائى العمال هو إطالة الراحة ليتسع من الوقت ما يتيح لهم أن يأكلوا طعاماً أقل مما كانوا يأكلون، ويشربوا جعة أقل مما كانوا يشربون، ويدخنوا سجائر أقل مما كانوا يدخنون » .

وكتب النائب روبرت بوثبي وهو من العمال يقول : « لقد اجتمع علينا بلاء الغارات والبرد والجوع والإعياء ، واحتمل شعبنا من المصاعب وصنوف الحرمان وقلة البهجة والراحة ، ومن فداحة الضرائب سبع سنين كاملة ، فإذا طلب إلى هـذا الشعب أن يصبر زمناً آخر لاتعلم نهايته ، فإنهم لن يثوروا ، بل سيسقطون صرعى من الإعياء » .

والتفت إلىّ فيكتور ماك نيـل وهو هادىء كأنه يستريب فى كلامى، فأضفت قائلا: « فى باطن أرضكم من الفحم ما يكفى لتدفئة الشعب كله ولإدارة مصانعكم، فلماذا لاتعملون يامستر ماك نيل على استخراجه ؟ »

فأجابنى بنبراته الاسكتلندية التى يفخر بهـا :

« إن عدد عمـال المناجم قد أخذ فى الازدياد ، وكان العمال قد هجروا المناجم لما يلقونه فيها من عناء لتأخر وسائل العمل فيها . أما اليوم وقد قررت الحكومة تأميمها فإنهم يعودون إليها . وأعتقد أن وسائل العمل ستتحسن ، وإن كنت أعترف بأن مقدار الفحم الناتج لايزال قليلا ، وأن بعض العمال يتغيبون عن المناجم » .

« وما الذى يدعوهم إلى ذلك ؟ »

« من أسباب ذلك أن الحوافز إلى العمل معدومة ، فلو ربح العامل بضعة شلنات إضافية ، فأين يصرفها إلا فى ميادين سباق الخيل أو السينما ؟ ذلك لأن متاجرنا خاوية خالية » .

« ألا يكون السبب الأول هو أن العمال قد أصابهم الإعياء ؟ »

« لقد مرت علينا سبع سنين ونحن فى جهاد مرير ، وطعامنا نزر يسير . هذا حق ، ولكن انظر إلى المصاعب التى واجهتنا فى الشتاء الماضى ، إنها نكبات تعجز كل حكومة عن منعها . فقد خسرنا من جراء شدة البرد والفيضان مليون رأس من الأغنام ، وهذا ضياع للحم والصوف ، كما هلك من الماشية ثلاثون ألف رأس ، وغمرت ماء الفيضان نصف مليون فدان ، وخسرنا محصول سبعين ألف فدان من القمح ، وثمانين ألف طن من البطاطس » .

وكل هذا قد حدث فى بلد قد عضه الجوع بنابه . ولقد عجبت كيف لم تستعر الثورة فى البلاد ، وأعربت عن هذا العجب ، ومع ذلك فلم تنهزم الحكومة فى انتخاب فرعى واحد . ومن أجل ذلك يثق ماك نيل بأن الأمة لا تلوم وزارة العمال على ما يحدث .

فقلت له : « يقول خصومكم إنكم وعدتم الشعب بالجنة ، وأنتم اليوم تخشون مصارحته بعجزكم عن تحقيق ما وعدتموه » .

« لقد قدم حزب العمال للناخبين برنامجاً تستطيع أن تقرأه ، فهو مطبوع ويباع بثمن زهيد ، ولم نقطع فيه على أنفسنا سوى عهد واحد : هو تيسير المساكن ، ولم نستطع الوفاء بهذا العهد بسبب تلك الأحوال التى اجتمعت علينا . ولا يزال أمامنا جهاد طويل ، وينبغى أن نصارح الشعب بحقيقة الأمور . وإذا كان لامفر من تخفيض مستوى المعيشة مرة أخرى ، ففى استطاعتنا أن نصبر ، وسنفعل ، فإن لدينا من قوة الخلق مايعيننا على ذلك » .

وذهبت اليوم لزيارة جون ماسفيلد شاعر البلاط ، وسرت إليه فى أصيل عطر ، والشمس لا تزال تغمر الأفق ، فإذا بى أجتاز إلى بيته منطقة غنية بالحقول الجميلة والدور الهادئة ، وقد عرف أصحابها بحب الحدائق والأزهار ، وأخذت أقول لنفسى : لاجرم أن ينبت الجمال حيث تنبت الشجاعة.

ثم وصلت إلى درب ضيق طويل لا يبعد كثيراً عن أكسفورد ، ورأيت فى آخر الدرب داراً ريفية متوسطة الحجم قد خف الشاعر إلى بابها ليستقبلنى . وقد ألف الشاعر ٧٥ كتاباً يتجلى فيها حب الإنجليز

للمغامرة فى البحار ، ولكن الشاعر قد شاخ اليوم فانحنى ظهره وابيض شعره . وأدخلنى حجرة وجدت فيها زوجته واقفة وإلى جانبها إبريق من الشاى تسطع منه رائحة ذكية . وهى سيدة رقيقة يقظة ، وقد ألفيتها ترتدى معطفها وقبعتها ، فالبرد شديد داخل الدار رغم سطوع الشمس . وأخذت أسأل نفسى متعجباً كيف استطاع هذا الشاعر وزوجته مقاومة صعاب السنوات السبع الماضية .

وقد اختار جون ماسفيلد سكنى الريف طلباً للعزلة والدعة ، فلما نشبت الحرب أنشىء بجوار داره مطار تقوم منه الطائرات الأمريكية للإغارة على ألمانيا ، فربما لاحقتها الطائرات النازية حتى يصطخب فوق دار الشاعر ضجيج المعارك الجوية .

وبلغ من معاناة الشاعر لشدة البرد سنة بعد سـنة أنْ يبست أصابع يديه بحيث أصبحت لا تقوى على إمساك القلم ، فلم يبق له إلا أن يكتب أغانيه على الآلة الكاتبة .

ولما نظرنا من خلال النافذة رأينا عنفوان فيضان النهر القريب من الدار ، ومع ذلك أخذ الشاعر يتحدث عن تلألىء الماء فوق الأعشاب الخضر ، وعن جمال وجه السماء . وتبينت أن إيمانه اليوم لا يقلّ ثباتاً عن اليوم الذى كتب فيه أغنيته الشهيرة التى يقول فيها إن شجاعة إنجلترا تتجلى عند الشدائد .

وذهبت اليوم لزيارة أسقف كنتربرى، فاستقبلنى بمودة وبشاشة فى قصر لامبث بلندن ، ووجدته قريب الشبه بأبطال الرومان القدماء تنسدل عليه ثيابه فى زهو وخُيَلاء، وأخذ يقول لى: «إن هناك كثيراً من الناس يعتقدون — ووراءهم من يشجعهم على هذا الاعتقاد — أنهم ليسوا إلا قطعاً صمًّا فى آلة كبيرة هى الدولة، وبذلك ارتضوا الرأى الفاسد القائل بأن الفرد لا قيمة له ولا خطر . وهيهات لإنجلترا، بل للعالم كله، أن يأمل النجاة إلا إذا أدرك جميع البشر قيمة التبعة الملقاة على كاهل الإنسان. وضرورة التمسك بالمبادىء الأخلاقية السامية. إن الدين يوصى بالتعاطف والتآزر بين الناس ، وينبغى لنا اليوم أن نجاهد كل الجهاد حتى نقضى على الأنانية وشهوة السلطان » .

وتحدثت فى أكسفورد إلى كبير من رجال بريطانيا هو الأستاذ لويس مدرس الآداب الإنجليزية فى كلية ماجدالين ، وصاحب المؤلفات العديدة فى الأخلاق الدينية . ولا شك أنه لن يشكرنى لأننى نقلت هنا ما يقوله عنه الناس جميعاً : إن أمه مريضة مقعدَة ، ولا خادم عنده ، ولذلك يضطر

أستاذ الجامعة أن يقف فى الصفوف لشراء طعامه كأنه خادم، وهو لا يستريح من الخدمة يوم عطلة ، وعليه بعد ذلك كله أن يلقى دروسه على طلبته، وأن يصحح لهم ما كلفهم به.

جلسنا على مقعد من الخشب تحت ظلال أشجار عتيقة على شاطىء النهر، وأخذ الأستاذ يحدثنى عن شبان الجيل الحاضر وميلهم إلى البحث فى الدين ، وليس هذا بدليل على علو كلمة الدين فى قلوبهم، وإنما الذى يدفعهم إلى البحث هو ما رأوه من إخفاق العقل المجرّد مرتين فى إنقاذ آبائهم وأجدادهم من حربين متتاليتين . أما اليوم فقد أصبح المرء لا يخجل من الاعتراف بأنه من المؤمنين ، وينطوى هذا على أمل كبير .

ودارت خواطر كثيرة فى رأسى وأنا عائد إلى وطنى على الباخرة ، فتذكرت كيف منحتُ رجلا فى لندن ثلاث بذلات من الصوف ، فأخذها وقد غمرته الدهشة وطفله يبكى . وجعلت أفكر فى كثير من الآباء والأمهات يكتفون برث الثياب لتوفير البطاقات لملابس أطفالهم . وأفكر فى تلك السيدة التى تحتال على النوم بعدّ أسماء أصدقائها ، وأستاذ الجامعة الذى وقف نفسه على خدمة أمه المقعدة ، فوثقت بأن بريطانيا ستنجو من الأزمة بفضل شجاعة شعبها .

رأى صريح

● قالت امرأة تولستوى الأديب والفيلسوف الروسى : كان لطفه ينبع من « مبادئه » لا من قلبه . وسوف تقرأ فى تراجمه كيف كان يبذل العون للعمال فيحمل عنهم صفائح الماء ، ولكنّ أحداً من القراء لن يعلم أنهُ لم يُتح لزوجته فرصة للراحة خلال ٣٢ سنة ، أو أنهُ لم يعط ابنه شربة ماء ، أو أنهُ لم يلازم سرير ابنهِ خمس دقائق ليهوّن علىّ أنا أن أنال قسطاً من الراحة .

● قالت امرأة أرنولد بنيت الأديب والروائى الإنجليزى : لم أثُرْ لأنى كنت أكرهُ أن أصنع ما يطلب منى أن أصنع ، بل للهجة التحكُّم التى كان يؤثرها فى طلب ما يريد ، وفى التعبير عن نفسه . وما كان يدور فى خلدى أن الزوج الذى يحبُّ زوجتهُ يستطيع أن يكون جافياً غليظ الكلام ، ولكننى كنت يومئذ غريرة حمقاء .

صغار

لن يخطئهم التوفيق

كنت أتنزه مع أسرتي في حديقة عامة فلاحظت أن جميع الصور الشمسية التي نصورها ينقصها أحدنا على الدوام، هو الذي تولى التقاط الصورة. فرجا زوجي صبياً زري الثياب في العاشرة أو الحادية عشرة من عمره كان يراقبنا كالملهوف، أن يتولى هو التقاط عدد من الصور لجماعتنا، وفرح الصبي بالأجر الذي تقاضاه، فراح يبحث عن سوانا.

وزرنا الحديقة نفسها بعد أسابيع، فوجدنا الصبي نفسه في ثوب أنيق، وقد وضع على صدره شريطا كتب عليه بخط كبير: « لا تحطموا كيان الأسرة، دعوني ألتقط لكم الصور، كل صورة بقرشين » ولقد كان عمله يدر عليه ربحاً وفيراً.

رأيت مائدة على إفريز شارع في نيويورك رصّت فوقها مجلات فكاهية قديمة، ووضعت فوقها لوحة كتب عليها بخط طفل: « المجلة بسبعة مليمات » . ووقف خلف المائدة صبي في الثانية عشرة من عمره أكلف الوجه، على قسماته سام، فقد كانت تجارته كاسدة. ومررت بعد أيام فألفيته قد استبدل بالمجلات إناء فيه شراب، وعدة أكواب، ورأيت اللوحة مكتوباً عليها «عصير الليمون . الكوب بسبعة مليمات» . ولكن تجارته ظلت كاسدة .

وفي الأسبوع التالي رأيت هذه البقعة تموج بالصبيان، في يد كل منهم كوبة من عصير الليمون ومجلة فكاهية في الأخرى، ورأيت على الرصيف رفا صفت عليه المجلات، ومعها إناء شراب وأكواب، ووجدت اللوحة مكتوباً عليها « اشتر كأساً من عصير الليمون باثني عشر مليما تقرأ كل المجلات بالمجان » . سألت الصبي الأكلف : « أهي تجارة رابحة ؟ » فأشرق وجهه وهو يجيب : «نعم يا سيدي، إنها لصفقة رابحة !»

كان لبائع الصحف الذي أشترى منه قليل من الزبائن في الحي، ولكني دهشت إذ رأيته في أصيل أحد الأيام يضع صحيفة على كل باب في الحي، فلما جاء لتحصيل ماله سألته كيف وفق إلى هذا العدد الضخم من الزبائن فأجاب : « لقد وفرت ٢٥ ريالا من عملي في توزيع الصحف خمسة أشهر. ومن هذا المبلغ أخذت أوزع نسخاً مجانية على مئة أسرة طوال أيام الأسبوع، فقرر ٨٢ أسرة منها أن تواصل قراءة الصحيفة التي كنت أوزعها، وبذلك أصبح لدى ١٧٠ زبوناً كلهم يوفّي ما عليه» .

أعمى يعلم المبصرين

تشارلز ستيفنسون
مختصرة من مجلة "ذى روتيريان"




من أشهر المعلمين فى مدرسة سوث الثانوية القائمة فى جوار مجزرة مدينة أوماها، شاب اسمه، إدوارد كونسيل، وهو رئيس قسم الدراسات الاجتماعية الذى ينبذ الكتب المدرسية ليتسنى له أن يعدّ التلاميذ والتلميذات للحياة فى أمة ديمقراطية. وهو أسعد من أعرف.

وأغرب ما فى الدكتور كونسيل أنه أكمه، مكفوف البصر منذ ولادته، ومع ذلك ففى وسعك أن تراه فى أى يوم يمشى بخطى سريعة فى شوارع أوماها، بقامته المديدة، وصدره العريض، ورأسه المرفوع، وليس معه عصا يهتدى بها أو كلب يساعده. ولم يتخذ قط لا هذا ولا تلك، حتى حين اصطحب فرقة المناظرة وطوّف بهم فى أرجاء ولاية نبراسكا.

والدكتور كونسيل هو آخر من يزعم أن هذا أمر طبيعى أو سهل على كل أعمى. وقد قال لى: « لست أحب أن أجازف بحياتى، ولكن الأعمى الذى يحاول أن يكون جزءاً من العالم البصير، لا بد له أن يفعل أشياء كثيرة ينفر منها بغريزته. وعليه أن يحاول أن يُنسى المبصرين عماه، والعصا الوحيدة التى يجوز له أن يتخذها هى الثقة بالنفس، فإذا فقدها فقد كل شىء. ولو أنى تصرفت كما ينتظر من الأعمى أن يتصرف، لفزت بالرعاية التى يُمنَحها العميان، ولكنى كنت حينئذ خليقاً أن أصبح منبوذاً موصوماً

بالعمى فى كل نواحى الحيـاة » . وقد ظل طول حياته يأخذ بهـذه الفلسفة ويتوسع فيها ، وفى بدنه من الندوب ما يثبت ذلك .

وإلى أبويه يرجع الفضل فى جلادته. وقد كان أبوه جزاراً فى مجزرة ، وكان يتقصى أخبار ابنه كل ليلة : « وهكذا حملتك عجوز على العودة إلى البيت، وخوفتك أن يصيبك أذى مع الصبية غيرك ، ولكنك مثلهم جسامة ! فانهض إذا وقعت ! »

وتضيف أمه إلى ذلك : « كل إنسان يقع ــ ما عاش ــ والأقوياء وحدهم هم الذين يبلغون القمـة ، لأن فيهم شجاعة تجعلهم يتشددون وينهضون مرة أخرى » .

وهكذا راح يلعب ويقفـز كل يوم ، ويصطدم بالشجر ، ويعود إلى البيت وهو يظلع وفى جلده خدوش . ولم يعرّفه أبواه ــ قبل أن يبلغ السادسة ــ ما بينه وبين غيره من الصبيـان من الاختلاف ، وأن هؤلاء حين « يرون » عصفوراً يفوزون بأكثر من سماع صوته. ثم بعثا به إلى مدرسة داخلية للعميان .

ولم تكن السنوات السبع التالية محتملة إلا من أجل إجازات آخر الأسبوع ، إذ يستقل القطـــار عائداً إلى أوماها ، ويصغى إلى حركته على القضبان ، ويركب سيارة النقل بلا معين ، ويسرع إلى البيت وإلى الروائح المنبعثة من المجزرة .

ولما بلغ الثالثـة عشرة بدأ يدرك أن مدرسة العميان تزيده تحرُّزاً .

ولهذا قصد مدرسة سوث الثانوية وناشد ناظرها أن يقبله فيها وقال له : « لا أستطيع أن أعود إلى مدرسة العميان ، لأنى إن فعلت سأتعلم الخوف من المشى فى الشوارع وحدى، فأرجو أن تتيح لى فرصة فى مدرستك » .

وحاول الناظر أن يصرفه عن مبتغاه ، لأنه كان يخشى على الصبى التعثر .

فقال كونسيل : « لقد اعتدت الوقوع على درجات السلم » . وقد صار يقع فى المدرسة فعلا ، ولكنه كان يذهب إلى المدرسة ماراً بسبع عمارات بغير مرشد ، وكان فى العصر يوزع الصحف فى أربعة من ميادين المدينة التسعة مستعيناً بما يتذكرهُ من لمس بوابة حديدية أو درجة سلم مبرية ، أو انحدار فى رصيف . وكان يزاول التزحلق على الثلج أو بالقبقاب لا لأنه كان يشتهى ذلك دائماً ، بل ليقنع نفسه بأنه غير خائف .

وأتم فى ثلاث سنوات برنامج السنوات الأربع وفاز بأعلى الدرجات، ولم يبزّه فى ذلك أحد إلى اليوم .

واستطاع بفضل جائزة مدرسية قدرها مئتا ريال أن يلتحق بجامعة كريتون بأوماها،

وكان يستقل الترام ذهاباً وإياباً ويقطع به اثني عشر ميلا ، ويعيش بما يكسبه من تفريغ سيارات الشحن ، والنسخ على الآلة الكاتبة والتدريس .

وحمله نجاحه فى التدريس على ما اعتزم من أن يكون معلما ، وبعد أن جربه ناظر المدرسة مرتين ، قال لمفتش المدارس: « أظنه يصلح، إذا أوتيتَ الشجاعة اللازمة لتعيينه » .

وهكذا عاد كونسيل فى ١٩٣٥ إلى مدرسة سوث الثانوية فى الثالثة والعشرين من عمره ، ونال درجة أستاذ والدكتوراه فى التاريخ الأمريكى فى فترات الصيف من جامعتى كريتون وكاليفورنيا بلوس أنجليس .

ولما خلا منصب مدير لقسم الدراسات الاجتماعية بمدرسة سوث ، ترك المسئولون عنها للمعلمين أن يختاروا مديراً مؤقتاً ، فاختاروا الدكتور كونسيل ، فقام بالأمر خير قيام ، فعين فى العام التالى فى هذا المنصب .

وقد أهمل كونسيل الكتب المدرسية لأن ما يريد تعليمه مرتبط بالحياة اليومية للبلاد ، والمدينة ، والجيرة ، والبيئة . أما الحقائق عن نظام الحكومة ، فيذهب التلاميذ فى طلبها إلى مستشفى المقاطعة ، وإصلاحية الرجال فى عاصمة الولاية ، وإلى المجلس البلدى ، ليسألوا عما تجنيه أسرهم فى مقابل الضرائب التى تدفعها .

ويقول كونسيل « إن الأطفال لا يستطيعون أن يفهموا علاقة المعلومات التى يتضمنها كثير من الكتب المدرسية بحياتهم اليومية . وإنه لأفضل عندى أن أعتاض عنها بالمجلات والصحف . وإذا استطعت أن أغرى الطالب بقراءتها بانتظام ، فإنى أكون قد أفدته أكثر مما يفيده أى منهج متبع » .

لما دخلت على أطراف أصابعى فى أحد فصول الدكتور كونسيل كان الطلبة مستغرقين فى الدرس حتى إنهم لم يشعروا بوجود زائر . وكان كونسيل واقفاً يبتسم لهم ، ويسح بفيض من الآراء ، وكان يواجه هذا ثم ذاك ، ويشير بسرعة إلى كل واحد بإصبعه الممدودة . ويحاور الطلبة الخمسة والثلاثين — من بنين وبنات — بحذق ليشركهم جميعاً فى المناقشة .

« حسن يا هارى . أصبت ... وأنت يا هوجو ألا توافق على ما قال ؟ فما رأيك ؟ وأنت يا مارى فتاة ، فهل لك رأى آخر ؟ » لقد كان يلقى بالتلاميذ بعضهم على بعض ويغريهم بالمجادلة ، ويثير الاهتمام ، ويوجه ويرشد ، ومع ذلك اتقى أن يجعل من الأجوبة فوضى محيرة . ثم التفت إلى الفتاة

التي كانت ملاحظتها هي التي أثارت المناقشة فقال : « والآن يا دوروثي . لقد ذكرت جزيرة جوام ، فعينيها لنا على خريطة الحائط » وضحك بعطف ثم قال : « كلا . آسف. أرنا موقعها يا جورج ... أصبت ».

وقد بين لي فيما بعد كيف يستطيع أن يفعل ذلك ، ذلك أنه يحفظ أسماء التلاميذ المئة والأربعين الذين يعلمهم في فصوله الأربعة ويحفظ أصواتهم ، ويربط في ذاكرته الأصوات بالأسماء وبالمقاعد .

أما دوروثي فقد عرف أنها أشارت إلى موقع غير موقع جوام ، لأنه لم يكن في حجرة الدرس حين قعدت غير صمت يشي بالتوتر — لا حركة أقدام تحدث عفواً ، ولا بشيء يدل على أن التلاميذ شعروا أنهم فرغوا من أمر هذه الجزيرة ، وأنهم يستطيعون أن ينتقلوا إلى سواها .

فقلت له على سبيل التذكير : « ولكن هذا الصمت أيضاً كان هناك لما أشار التلميذ إلى الموقع الصحيح » .

قال : «هذا هو الذي يدل على أنه أصاب. ولو كان أخطأ لحدث رد فعل خافت - ضحكة خافتة مثلا — كأنما يراد أن يقال : « إنه لايعرف أيضاً » ، ولكني أدركت أن جورج سيشير إلى موقع جوام بلا خطأ حتى قبل أن يصل إلى الخريطة ، فقد كانت خطواته متزنة تنبيء بالثقة » .

وقد شرح لي أحد تلاميذه السبب — من بعض الوجوه على الأقل — في حب التلاميذ للدكتور كونسيل : « إنه مخلص جداً ، وشديد الاهتمام بعمله ، وعطوف». والواقع أن كونسيل يبغي أن يكون جزءاً من العالم المبصر حتى أصبح معنياً بكل إنسان فيه . والاهتمام يثير الاهتمام ويولد الثقة .

وعالم المبصرين هو عالمه ، وزوجته من هذا العالم . وهما يتعاونان على الادّخار — فإنها متخصصة في الأشعة السينية — وفي نيتهما أن يبتاعا داراً صغيرة ذات فناء رحيب لطفلهما الذي ناهز الثانية . ويحب كونسيل السينما ، وإن كان يقول : « إنك لا تستطيع أن تدرك مبلغ ما في الحوار أحياناً من السخف إذا لم يقترن عندك بصور تلهيك عنه » .

ويقول كونسيل ناصحاً : « إذا أريد للعميان من الأطفال ان تتاح لهم فرصة، فإنه يجب أن يتلقوا على الأقل بعض التعليم في مدارس البصراء . شجعوهم على أن يكونوا كغيرهم من الأطفال ، ولا تقصوهم عن الحياة اليومية ، وأعينوهم على إفادة الجرأة وقوة الأعصاب ، وعلى الرغبة في تجربة كل شيء . ولا تدعوهم يحزنون على ما أصابهم ، فليست عاقبة الحزن سوى الإخفاق » .

هنا اكتشاف خليق أن يصير «أقوى ضربة سددت إلى علة السرطان منذ اكتشف الراديوم».

امتحان جديد للسرطان فى أوائله

وليم ل . لورنس

مختصرة من مجلة « ذى نيويورك تايمز »

أذاعت مجلة « سينس » ، لسان المجمع الأمريكى لترقية العلوم ، نبأ الكشف عن اختبار جديد يرجى أن يمهد لتبين سرطان الأحشاء فى أوائله . وقد يصبح هذا الاختبار ، الذى يشبه اختبار الحمل ، سلاحاً من أمضى الأسلحة فى الكفاح الدائر لاستئصال هذا المرض الفتاك ، فإن لم يوفق العلماء إلى الحد من شره أودى بحياة ملايين من الأحياء .

وعلاج السرطان فى بدايته أمر مستطاع ، بيد أن أكثر أنواعه الخطرة ، كسرطان المعدة وسواها من الأحشاء ، لا تنجلى أعراضها إلا بعد أن يستفحل المرض استفحالاً هيهات أن يقوى عليه الطبيب .

وهذا الاختبار هو ثمرة أبحاث لم تزل متصلة منذ زمن ، وقد تولاها طائفة من أهل البحث فى أمريكا وسواها ، حتى انتهت إلى هذا التقرير الذى قدمه للمجمع الأمريكى فريق من رجال قسم الكيمياء الحيوية فى مدرسة الطب بجامعة شيكاغو ، وهم الدكتور هوارد هـ . بيرد ، والدكتور برنارد هالبرن ، والدكتور صموئيل ليبرت .

وقد وفق هؤلاء العلماء إلى مشاهداتهم اتفاقاً ، فقد كانوا يحقنون الجرذان بخلاصة كحولية محضرة من بول المصابين بالسرطان ، وكان غرضهم أن يتبينوا : أفى وسع هذه الخلاصة أن تحدث السرطان فى الجرذان ؟

فأذهلهم أن يجدوا ، بعد انقضاء يومين إلى أربعة أيام على الحقن ، أن طحال الجرذ المحقون ، أو غدده التناسلية ، أو كليهما قد تضخم تضخماً كبيراً . وقد أجروا أربعين اختباراً فوجدوا أن معدل التضخم فى الجرذان المحقونة ، بالقياس إلى الجرذان التى لم تحقن ، قد زاد الزيادة التالية : تضخم الطحال ٣٩ فى المئة ، تضخم خصى الذكور ٥٥ فى المئة ، تضخم مبايض الإناث ٧٢ فى المئة . واقترن هذا التضخم باحتقان شديد فى الطحال ، وازدياد غير طبيعى فى خلايا الخصية ، يصحبه نشاط عظيم فى تكوين الحيوانات المنوية فيها .

ثم عمد هؤلاء الباحثون إلى إجراء الاختبارات عينها بخلاصات محضرة من

بول أناس غير مصابين بالسرطان ، وقد أجروا ٢٦ اختباراً فلم يحدث التضخم فيها .

وأعادوا التجربة بخلاصات محضرة من بول ٣٢ مريضاً ، لم يكن كنه مرضهم معروفاً لهم يومئـذ ، فانجلت ست من التجارب عن حصول التضخم ، فثبت بعد ذلك أن كل واحد من هؤلاء الستة كان مصاباً بنوع من أنواع السرطان . وأما بقية المرضى وعددهم ٢٦ فكانوا : إما أصحاء وإما مصابين بأورام قليلة الضرر ، وقد انجلى اختبارهم جميعاً عن عـدم وقوع التضخم فى طحال الجرذان أو غددهم التناسلية.

ويعتقد الأطباء الثلاثة الذين تولوا هذه التجارب أن فى دم المصابين بالسرطان وبولهم مادة مجهـولة ، وسموها بحرف « س » ، وأنها من طائفة المواد الكيميائية التى تعرف باسم « ستيرول ». وهم يعتقدون أيضاً تنبه الغدة النخامية فى الجرذان ، فتزيد ما تفرزه من مادة أخرى وسمـوها بحرف «ى» ، ولعلها هرّمون ينبه الغدد التناسلية، وأن هذا الهرمون هو « سر الاختبار البيولوجى للسرطان البشرى » .

فإذا اتضح أن لهذا الاختبار من القيمة مثل الذى تدل عليه التجارب الأولى ، كان أقوى ضربة سُدِّدت إلى السرطان منذ اكتشاف الراديوم والأشعة السينية ، وصار أسلوباً من الأساليب المتبعة فى كل فحص طبي. فإذا أجرى فى فترات قصيرة ، كان كفيلا بأن يكشف كل سرطان خفىّ فى أوائله حين يكون علاجه وشفاؤه أمراً مستطاعاً.



السكوت أبلغ تعبـــير عن الاحتقار . [برنارد شو]

نعرف محامياً من أهل مدينتنا اشتهر ببخله ، فلما برئ من مرض أصابه ، هاله أن يرى « الأتعاب » التى طلبها الطبيب فصاح فى وجهه : « أتطلب كلّ هذا من أجل علاج دام أسبوعاً وحسب ؟ »

فردّ الطبيب : « لو علمت يا صاحبى مبلغ اهتمامى العلمىّ بحالتك ، وكيف غالبتُ نفسى حتى رددتها عن السماح بدراسة حالتك على المشرحة ، لما برمت بما طلبته منك » .

[صحيفة الهيرالد فى كايبتاون]

لماذا أطلقوا على توسكانيني لقب « الأستاذ »

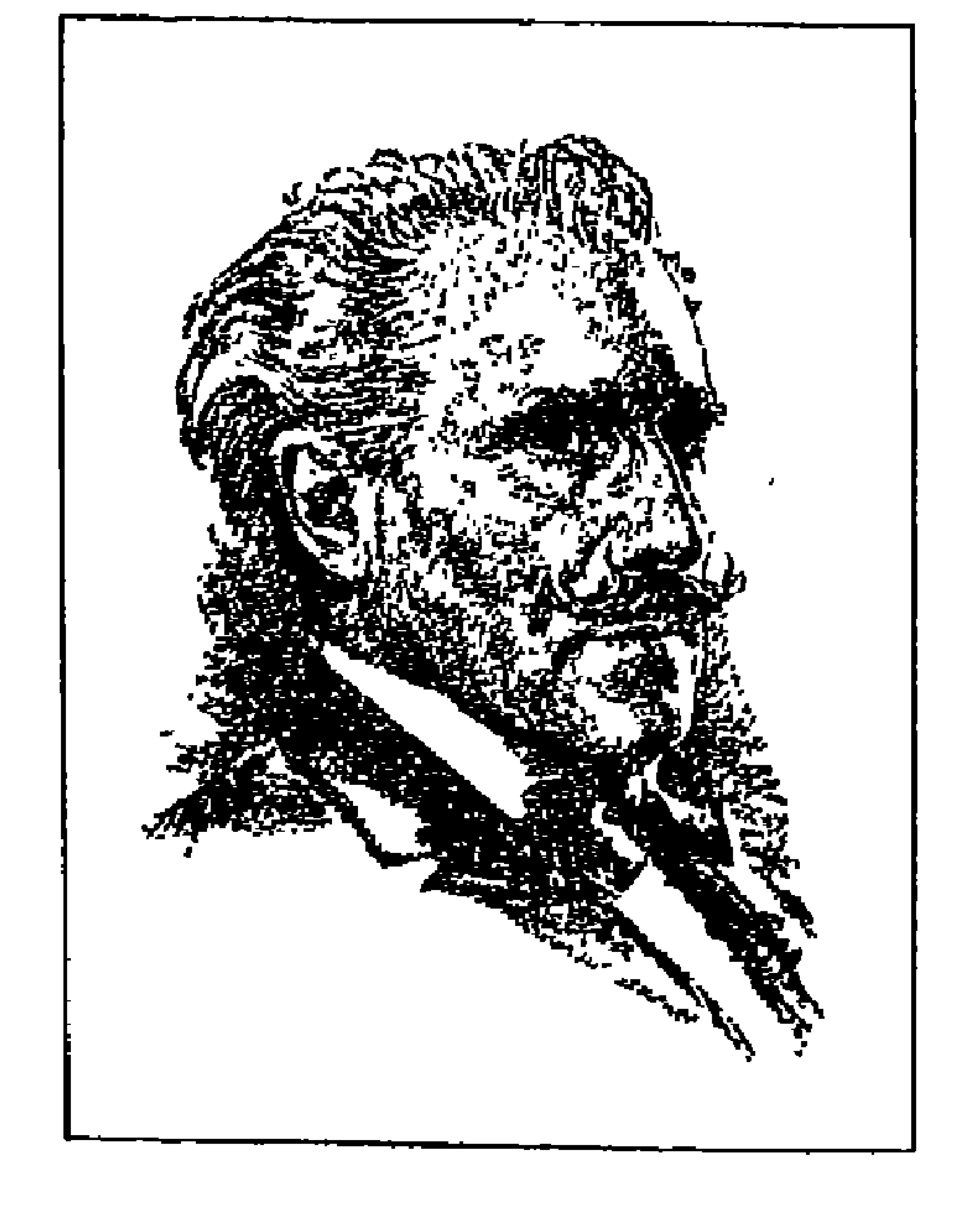
بلغ الثمانين ولا يزال إمام الموسيقيين

آن م. ليسنج — *مختصرة من مجلة "ليبرتي"*

ولتر توسكانيني ليلة عيد الثمانين لميلاد والده الموسيقار الشهير عما قد يعدّه أبوه أعظم أعماله وأهمها.

فقال الابن: « لا يمكن أن يكون هناك شيء من هذا القبيل في نظره، وكل ما يتفق أن يكون قائماً به، يكون أعظم شيء في حياته، سواء كان هذا الشيء عزف سيمفونية أو تقشير برتقالة ».

وأرتورو توسكانيني في الثمانين من عمره، ولا يزال كثيرون من المتمرسين بالفن يعدّونه الموسيقي الأول في العالم، وهو لا ينفك يفوز بهذا اللقب من جديد بعد كل حفلة. وقد اجتمعت له على نحو بديع كل الصفات اللازمة للقيادة الفنية، وتحلى بغيرة على الكمال في الموسيقى حتى إنه ما من عازف في أوركسترا — سواء كان متعباً أو قلقاً أو فاتراً — وما من مستمع لها كان شارد الذهن، يسلم من سحره. ولما كان هذا هو عصر الراديو والتسجيل، فقد امتدت شهرته إلى أقاصي الأرض. وقد طارت مرة امرأة ألفي ميل لتشهد حفلة موسيقية لتوسكانيني في بوينوس إيريس.



وتوسكانيني من أكبر الناس دخلا في تاريخ العزف الموسيقي، ففي حفلة الافتتاح في اوبرا لاسكالا في سنة ١٩٤٦ بلغ ثمن التذكرة ١٥٫٠٠٠ ليرة أي ما يعادل دخل شهر لأسرة من الطبقة الوسطى في إيطاليا اليوم. وكان المسرح يغص بالناس في كل حفلة، على حين احتشد في الميدان عشرة آلاف نفس يستمعون إلى مكبرات الصوت،

وقيل إن أجره عن إذاعة السيمفونيات فى شركة الإذاعة القوميـــة الأمريكية ، بدأ فى ١٩٣٧ بأربعة آلاف ريال بعد خصم الضرائب ، عن ساعة ونصف ساعة . ولا يزال يرفض ما تعرضه عليه هوليوود وهو ٢٥٠,٠٠٠ ريال عن شريط واحد (وإن كان قد تولى قيادة الأوركسترا التى عزفت أنشودة الأمم لفيردى بالمجان لشريط صنعته حكومة الولايات المتحدة أثناء الحرب) والمال لا يغريه إذا لم يكن ما يعرض عليه مما يوافق هواه .

والدعاية الشخصية بغيضة كل البغض إلى الأستاذ ، وهذا الشعور مرجعه إلى اقتناعه العميق بأنه هو نفسه لا قيمة له بالقياس إلى الموسيقى التى يقود عازفيها . ويضايقه جداً أن يُدعى إلى الظهور بعد انتهاء العزف ، وكثيراً ما يقول لكبير العازفين ، وهو يتراجع عن المسرح للمرة الثالثة : « اذهب إلى بيتك » ، وعلى الأثر ينهض العازفون وينصرفون حتى لا يضطر الأســـتاذ إلى الظهور تلبية لدعوات أخرى .

وهو شديد الحياء ، وأسعد ما يكون حين يتوارى عن أعين الجمهور فى مكان الأوركسترا المحجوب. ولم يلق قط فى حياته خطبة ، وهو يضيق صدراً بمندوبى الصحف ومصوريها ويقول لهم : « إنى رجل من الناس ، وماذا يعنيكم من منظرى ، وأين أعيش ، وماذا أحب من الألوان ؟ » وكثيراً جداً ما يصف نفسه بأنه فلاح ـ فما حاول قط أن يستر وضاعة نشأته .

وهو ابن خياط فقير فى شمالى إيطاليا ، ولما بلغ التاسعة التحق بمعهد بارما للموسيقى ، وسرعان ما أطلق عليه زملاؤه من التلاميذ وصف « العبقرى » ، وكانوا يتبعونه حين نظم خفية فرقة تعزف مالا يدخل فى البرنامج المدرسى ، وقد عوقبوا جميعاً على ذلك . ثم اشتغل بالعزف على الكمان فى فرق شتى للأوبرا ، إلى أن قُذِف به ذات ليلة فى يونية ١٨٨٦ فى ريودى جانيرو ، وهو فى التاسعة عشرة من عمره ، إلى قمة الشهرة .

وذلك أن فرقة الأوبرا الإيطالية التى كانت تزور البلاد ظلّت تناوئ مــدير العزف البرازيلى حتى استقال قبل افتتاح رواية عايدة ببضع ساعات، وحل محله على التعاقب إيطاليان طردهما الجمهور الوطنى بالصفير ، ثم تذكر بعضهم عازف الكمان الشـاب الذى درب المغنين على ظهر الباخرة والذى يبدو أنه يعرف بعض الشىء عن الأوبرا .

وقد وجم الجمهور ولزم الصمت حين رأى شابـاً أمرد فى مكان القيادة ، ولم يكد توسكانينى يشعر بهذا ، فطوى « نوتة » المدير وهو يعطى أول إشارة بالعزف ،

فذهل الجمهور. وما كاد الفصل الأول ينتهى حتى كان قد صار بطلا، وقد أدار عزف ثمانى عشرة أوبرا فى صيف ذلك العام فى ريودى جانيرو وذلك كله من الذاكرة .

وقد أريق مداد كثيرة على تسجيل عجائب توسكانينى فى قوة الذاكرة ، فإنه يستطيع أن يحفظ عدة أوبرات كاملة فى يومين ، ويظل ذاكراً لكل دقيقة فيها سنين طويلات . وحدث مرة أن زمّاراً قال له فى فترة الاستراحة بين فصلين ، إن خللا أصاب آلته فهى لا تخرج نغمة معينة، فقال توسكانينى بعد لحظة : « لا تقلق ، فإن البقية التى سنعزفها ليس فيها هذه النغمة » . وبينما كان يبحث عن قطعة مغمورة من الموسيقى المنزلية منذ عهد قريب ، قصد إلى البيانو وعزف الجزء الثانى منها، ولم يكن قد رأى « النوتة » منذ اثنين وستين عاماً .

وأذن توسكانينى آية أخرى ليست دون ذاكرته ، ففى وسعه وأمامه مئة شدق منتفخ وقوس تروح وتجىء على الأوتار ، أن يفطن إلى أهون فتور فى العناية من عازف كان بعيد ، أو مزمار مزدوج ، حتى يئس الموسيقيون من تفويت أضأل غلطة عليه . وقد يمتنع الأستاذ عن التنبيه إلى الخطأ على الفور، ولكنه يقول فيما بعد: « فى يوم الثلاثاء الماضى فاتتك وقفة قصيرة فى الدور الخامس »

أو « لقد وقعت فى نفس الخطأ فى العام الماضى . أ كنت تظن أنى لن أسمعه ؟ »

وقد دفعه طلبه للكمال الفنى من مسرح إلى مسرح ، ويكفى أن تقع حادثة تافهة لحمله على الاستقالة على الفور ، وعلى القول فى حدة إن هذا العصر لا يستطيع على ما يظهر أن ينجب موسيقيين قادرين على إنصاف عظماء المؤلفين . ومن العسير أن تجد فرقة تستطيع أن تسمعه تلك الموسيقى الصافية الخالية من الشوائب ، والتى تطن فى أذنه ولا ينفك ينشدها .

وإذا لم يرض عن تدريب أو أداء فى حفلة ، فإنه يركب إلى بيته فى صمت ويأبى أن يحتسى طعاماً . وإذا بلغ سخطه مبلغاً جسيما فإنه يتوقع من الأسرة أن تشاطره الصيام . وحدث أخيرا أن وصف فرقة السيمفونية بأنها جماعة من أطفال المدارس والمغفلين ، ووقف التدريب ، وانصرف من القاعة وهو يتصبب عرقاً ، فأصيب ببرد شديد . وقال أحد رجال الفرقة : « إن هذا الهرم لا يزال على العهد به . لقد كاد يجن ! »

وإذا واجه قلة احتفال أو إدراك ، أو وقاحة ، فإنه يكون فظاً جداً . كما حدث يوم كان يدرّب مغنية أولى ردت على تصحيحاته بقولها إنها هى ، لا هو ، نجم الحفلة . فنظر

إليها الأستاذ بازدراء شديد ، وقال : « أيتها السيدة ، إن النجوم في السماء ، أما هنا على الأرض ، فنحن موسيقيون مجيدون أو رديئون . وحسبي الله ، فأنت موسيقية رديئة ! »

على أنه من ناحية أخرى يتسامح إذا رأى نقصاً ،متى شعر بالروح الفنى الصحيح. حدث أن مغنية محبوبة من أجل صوتها الرخيم ، وقعت فى عدة أخطاء فى أول تدريب لها مع توسكانينى ، فصاح بها : « إنك أسوأ موسيقية فى العالم ! » وشفع ذلك بقوله بصوت رقيق : « ولكنك كالطائر الغريد » .

ومتى وطئت قدمه أرض المسرح فى تدريب ، فإن عينيه العميقتين القصيرتى النظر ، تومضان ، وتتحرك عصاه كأنها سوط ، ثم تتلو ذلك صرخة عالية . « لا . لا . لا . » وتقف النغمات الأولى من صوت يعتقدالعازفون أنهم يحفظونه طرداً وعكسا. ويؤثر توسكانينى التمثيل على الشرح ، فهو مثلا يقذف بمنديل فى الهواء ليعرب عن رغبته فى إخراج صوت خفيف هفاف، وإذا أراد نغمة مترنحة ، وقف وقفة أمّ تهز طفلا على يديها .

وإذا وقعت الفرقة فى غلطة ، فإنه يصبح كالذى به مس ، فيهز قبضة يديه ، ويكسر العصا ، ويمزق صفحات الموسيقى ، ويدوس ساعته او نظارته التى لاغنى له عنها. وقدحدث مرة بعد أن تحطمت ساعة جميلة كانت مهداة إليه ، أن قدم له العازفون ساعة رخيصة ضخمة كتب عليها : « لأوقات التدريب » .

وقد دون مهندسو المسرح ما يحدث فى أوقات تدريب توسكانينى بغير علمه ، وهى من أمتع ما تتسلى به المحافل الموسيقية، والذين يسمعونها يتعجبون كيف يستطيع أى إنسان أن يتبع تعليمات تلقى فى عنف وفى خليط غير مفهوم من اللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية . على أن توسكانينى فى غير أوقات التدريب يستطيع أن يحسن التعبير باللغات الأربع .

وطاغية المسرح هذا من أرق الناس قلباً فى غير أوقات العمل ، والإحسان من سجاياه ولكنه يحرص على كتمانها حتى لايشكره أحد . وقد روى حديثاً أنه أرسل ٣٠,٠٠٠ زوج من الأحذية إلى إيطاليا ، وقد افتتح اكتتاباً لصندوق المعاشات لعازفى السمفونيات بلوس أنجلوس بأن تبرع بإقامة حفلة معهم فى العام الماضى ، ولم يتقاض شيئاً وأنفق على الرحلة من جيبه. وفى سنة ١٩٤٤ بعث إليه غلام أمريكى ببطاقة بريد يرجو فيها عزف « سمفونية إيروكا لباتوفون » التى

كان يحبها أبوه الذى قتله الإيطاليون ، فبادر توسكانينى إلى وضعها فى برنامج العزف المذاع ، ولم يكتف بذلك بل حاول عبثاً أن يعرف مكان هذا الفتى فلم يوفق .

وتوسكانينى دقيق فيما يتعلق بشخصه كدقته فيما يتعلق بموسيقاه ، فما من أحد رآه فى قميص ، وهو فى أثناء العزف يلبس بنيقة من اللدائن حتى لا تنكسر إذا عرق. ومن عادته أنه يغسل جسمه ويدلكه ويغير ثيابه فى فترات الاستراحة ، ومن أجل ذلك اعتذر مرة عن التخلف عن دعوة إلى المقصورة الملكية فى لندن .

وعلى الرغم من أن توسكانينى طال المقام ثلاث مرات فى الولايات المتحدة ، فإنه لم يكتسب إلا قليلا من ميول الأمريكيين الخاصة وأذواقهم ، ومما أحبه أشرطة « ميكى ماوس » ، وموسيقى الجاز . سافر مرة بالباخرة فى رحلة خيرية مع فرقته السمفونية إلى أمريكا الجنوبية ، فراح لفيف من خيرة العازفين يقيم حفلات رقص حاشدة على ظهر السفينة ولكنهم أخفوا أمرها عنه . فأقبل عليهم الأستاذ ذات يوم عفواً فدهش ووقف يتسمع ، وقد أمرهم فيما بعد أن يدخلوا مقصورته ليعزفوا تحت إشرافه !

على أن الأستاذ لا يزال على نفوره من « النشاز » الذى يسمّونه « الموسيقى الحديثة » فهى على مايقول تؤذى الأذن . غير أن أنصار الجديد الذين ينحون باللائمة على هذا الرجل الهرم من أجل ذوقه المحافظ ، يحسن بهم أن يذكروا أن توسكانينى كان رائداً جريئاً للموسيقى التى كانت جديدة فى شبابه ؟ موسيقى ڤاجنر ، وفيردى ، وبرامز وبوتشينى ، وديبوسى ، ورافيل — وقد أصبحت كلها اليوم كلاسيكية .

وقد حاول جيلان من عشاق الموسيقى أن يتبينوا السر فى سحره فى قيادته للفرق الموسيقية ، فعزا بعضهم ذلك إلى جمعه بين رشاقته وقوته فى استعمال عصا التوجيه . وذهب غيرهم إلى أن السر مرجعه إلى أذنه الحساسة أو إلى أعاجيب ذاكرته . غير أن كل واحد من هذه العوامل لا يعوز سواه من مديرى الفرق .

ومع أن توسكانينى يعترف بصراحة محببة أنه ما من مدير آخر يدانيه أو يقاس به ، إلا أنه يصرّ على أن مقاييسه الفنية يجب أن تكون القاعدة لا الإستثناء ، ويقول ، وعينه تومض كأنه يحلم : « ليس بصحيح أنى خير مدير فى العالم ، وكل مافى الأمر هو أنى أنا وحدى المجيد » .

قصة رجل تولى شئون البيت والأولاد ، ولكنها ليست كلها بالقصة المحزنة

لن تجد ربة البيت وقتاً للحلاقة !

الفريد تومز

مختصرة من مجلة « كولييرز »

في خلال أزمة المساكن انتهى الأمر بأسرتنا إلى منزل ليس بذى سعة كافية ، فاقترحنا أن نتحول إلى الريف حيث أستطيع أن أكتب في سلام، ويستطيع الأولاد أن ينعموا بالشمس ونورها .

فرمتني زوجتي بنظرة حادة : « وما الرأى فى عملى ؟ أأتركه من أجل النمل فى السكر والثعابين فى الحشيش ، ولا أجد حتى داراً للسنما تنسيني وجع ظهرى ؟ تباً للريف ! »

فكان من البديهى أن يحرص أحدنا على التوفيق بين الرأيين، فاقترحت أن آخذ الأولاد إلى الريف وأن تزورنا زوجتي فى أواخر الأسابيع . فسألتنى « أتراك جننت ؟ من الذى سيطبخ ويتعهد هذه الشياطين الثلاثة ؟ » فقلت « آه ، هذا ! سأقوم أنا به . وكل ما ينبغى أن أفعل إنما هو أن أضع لهم النظام » .

ولا أزال أذكر النظرة التى ألقتها علىّ. ثم قالت بلهجة المتفكر . « قد لا يكون هذا رأياً غير سديد » .

وهكذا أصبحت « ربة بيت » سوى أننى رجل . وقد قضيت إلى الآن خمسة شهور وأنا أتعهد صغارى تعهد الأم — وأزداد كل يوم إعجاباً بالمرأة .

وإدارة شئون البيت أشق عمل زاولته، وهى تتطلب استعمال كل العضلات المعروفة — وبعض عضلات أخرى لم تتكون بعد — ويضاف إلى ذلك قدر عظيم من الذكاء ، وجميع الفضائل . وإدارة شئون البيت هى العمل الوحيد الذى يجرى على قاعدة ١٤٠ ساعة فى الأسبوع ، فابتداء من اللحظة المخيفة فى الصباح حين توقظك صيحة الحرب الأولى التى يرسلها الطفل ، إلى أن يجيء الوقت الذى تتهافت فيه وتنطرح لتنام بالليل ، لن تجد دقيقة واحدة تستطيع

أن تقول إنها خالصة لك. وقد أدركت بعد أسبوع واحد حكمة الخالق الذى اختص الرجال باللحى ، فما من ربة بيت يمكن أن يتسع وقتها للحلاقة .

وقد كانت تجربتى فى إدارة شئون البيت موضوع جدل بينى وبين أسرتى وأصدقائى. فأما النساء فقهقهن حين سمعن بذلك ، ذاهبات إلى أن الرجل لا طاقة له بهذا . وأما الرجال فنظروا إلى الأمر نظرة الابتسام والتسامح ، ولم يستغربوا النجاح ، وعدّوه معززاً لرأيهم « الرجالى » فى أن أى إنسان ولوكان أحمقَ مائقاً يستطيع أن يدير شئون البيت .

وقد أصبح أطفالى الثلاثة — لارى وهو فى العاشرة ، والبنتان ، لين وهى فى الثامنة ، وليزلى وهى فى الرابعة — فى أتم عافية وهم فى رعايتى ، ولم يمرض أحد ، ولم يصب ولا بزكام . ولما كنت غير ذى تجربة سابقة فى الطبخ ، فقد كنت مستعداً أن أجرب أى وصفة تبدو لى معقولة . وقد التقطت الوصفات من الإعلانات، ومن إذاعات الراديو ، ومماهو مدون على العلب .

على أنى ما لبثت أن تخطيت المرحلة الابتدائية ، فدهش أطفالى الذين اعتادوا الطعام المعقول المنتظم ، حين بدأت تظهر ألوان السمك وفطائر البرتقال والكعك بالصنوبر والتفاح . وإذا كان الأطفال لا يحبون الفاصوليا مسلوقة ، فإنى أقدمها لهم فى صحفة مزدانة ، فإذا صحبتها الدعاية الصالحة كانت أشهى من أن تقاوَم . وكانوا قليلى الأكل فيما مضى ، ولكنى أراهم الآن — وبى من الافتتان ما يكاد ينقلب ذعراً — يقشُّون الطعام قشًّا .

وأول ما تعلمته هو أن هناك فرقاً كبيراً بين معرفتك كيف تطبخ لوناً شهياً ، ومعرفتك كيف تقدمه . فكل إنسان يستطيع أن يتعلم كيف يقلى دجاجة ، ولكنك لا تعدّ طباخاً حتى تستطيع أن تضع هذه الدجاجة ومعها الصلصة والبطاطس المعجون والخضر والحلوى والقهوة ، على المائدة وهى سخنة .

وقد سلمت زوجتى بعد بضع زيارات بأن أساليبى وإن خالفت المعهود ، مرضية النتائج . وقد اعترضت على طريقتى فى رصّ الفاصوليا عشرة صفوف وتقطيعها بسكين جزار ، وذهلت حين ألفت قشرة فطيرتى وقد طبع عليها « أعدها فارغة » ، فقلت لها شارحاً : « ليس عندى أسطوانة فأنا أستعمل فى بسط العجينة زجاجة لبن » .

وإنى لأذكر ذلك فأعجب كيف اجتزت الأسابيع القليلة الأولى: فقد ورمت قدماى، وكفاى ، وصار ظهرى يوجعنى ، ورأسى

يدور ، وكنت أستيقظ حول الساعة السادسة صباحاً ، وأنا أشعر كأنى أديت عمل يوم شاق . والنهوض فى الصباح من أثقل الأشياء على من يدير بيتاً ، فإنك لا تكاد تنهض حتى تلفى نفسك فى مأزق ، لأنك لم تهيء الفطور بعد ، فأُعدّ فطائر الحنطة مع الليمون والعسل والزبدة ، فأجد ثلاث مسائل أو أربعاً تنتظرنى ، ولبس بينها واحدة تحتمل الإرجاء — الصحون ، والتنظيف ، والأسرة ومطالب الأولاد وحاجاتهم .

وعلى رأس هـذه تمشيط الشعر ، وقد كنت دائماً عظيم الإعجاب بشعر بنتىّ الذهبى الناعم ، وكنت أظن أنه ينسدل على أكتافهما فى نظام ، من تلقاء نفسه ، فإذا بى أجد أنه يحتاج إلى عشرين دقيقة أو ثلاثين مرتين فى اليوم لتمشيطه ونفض الرمل عنه . ولم أستطع قط أن أنجز العمل فى وقته ، فبعد أن يخرج الأطفال للعب ، وتغسل الصحون ، وينظف البيت ، أجد أن وقت الغداء قد أزف ولم أعدّ الحلوى ولا الفاكهة .

وفى الليل حين يأوى الملائكة الصغار إلى فراشهم ، أشرع فى الكتابة ، ولكن بعد أن أجرى القلم بفقرة واحدة أتذكر أنى وعدت بأن أصنع لهم بعض المرطبات ، ولا بد من الشروع فى عملها على الفور .

ولعل الحياة صارت أشق علىّ ، لأنى كلفت نفسى أشياء تتجاوز واجبات ربة البيت فى العادة ، لأنى وأنا أب كان علىّ أن أعلم الأطفال السباحة ، وأن أعـد الطعم لصيد السمك ، وأن أجيب عن أسئلة عن حياة السلحفاة أو قطر القمر . ولهذا نظمت الأطفال على قواعد عسكرية ، فعينت لارى شاويشاً مخوّلا أن يشرف على أداء كل طفل لواجبات معينة — تسوية الفراش ، وغسل الأطباق ، وإعداد المائدة . غير أن لارى سرعان ما أصبح مثالا للشاويش الفظ ، فقامت الثورة أخيراً كما لا بدّ أن تقوم على كل ظلم ، واضطررت أن أحل نظام التعاون محل نظام الجيش ، فصار الأطفال جميعاً يحملون تبعات ، ولكنهم لم يمنحوا سلطة ، وصارت مكافأتهم على قدر ما يقومون به فى سبيل المصلحة العامة .

وكان أول ما رضت نفسى عليـه ، أن أقتصد فى استعمال النواهى مثل : « لا تفعل كذا » و « كف عن كذا » ، وهو ما يسمعه الصغار أكثر مما يسمعه سواهم . ومن عاداتنا الشائعة أن نبعث بالصغار إلى السينما ، أو نلهيهم بالصور المضحكة ، أو نغريهم بالراديو ، حين نريد أن نتخلص منهم . ولما كان هذا كله ليس من شأنه أن يهذب العقل أو يحسن الصحة أو الأخلاق ، فقد رأيت أن أستعين بالصغار على شئون البيت

كلما آذنت الأحوال بظهور المشاكل .

وقد أقنعتني إدارتي لشئون البيت بأن توزيع العمل في البيت ، كما هو الآن ، غير عادل ، فقد أصبحت الخادمات في خبر كان، ولا يزال المطبخ المزوّد بآلات في ضمير الغيب، فالمرأة لهذا تقوم بأشق المهمتين. وينبغي أن يقتصر عمل ربة البيت على خمسة أيام، ولست أرى سبباً يمنع الزوج أن يتعلم الطبخ فيتولاه يومين في الأسبوع ، أو لماذا لا يتعهد الصغار على الأقل في هذين اليومين .

وأخلق بإدارة البيت أن لا تكون مهلكة إذا علمت أن غيرك سيحمل عبئها عنك في فترات منتظمة ، وإني لأقول لأمثالي من الرجال الذين قد يسخطهم مجرد التفكير في ذلك : إن الطبخ ملهاة ممتعة، وإن المرء يفيد من السرور بالأطفال أكثر مما يفيده من قراءة صحف الأحد .

وقد لا تسجل لي الأجيال القادمة أن عملي هذا كان أول خطوة في انقلاب اجتماعي عظيم ، ولكني على يقين من أن البعض سيتذكر ذلك ، فبعد خمسة عشر عاماً من الآن ، قد يقول ابني لزوجته المتحيرة: «هذه فطيرة حسنة يا حبيبتي ، ولكنها ليست في جودتها كالفطائر التي كان يصنعها أبي » .

نزوة صحفي عظيم

كان جيمز غوردن بنيت صاحب جريدة نيويورك تريبون صحفياً عظيما ، وكان لصحيفته مراسل في لندن غير حائز لرضاه ، فتلقى المراسل ذات يوم برقية تأمره بالسفر إلى باريس لمقابلة بنيت فيها — فداخله الشؤم مما أمر به .

وكان المراسل يعرف أن بنيت يحب الكلاب ويرى مع من يرون أن الرجل الذي تحبه الكلاب وتأنس إليه ، لا يمكن أن يكون رجلا لاخير فيه ، فعمد قبل سفره إلى شراء شرائح من الكبد ودسها في جيوب ذيل السترة الرسمية الطويلة التي كان يرتديها .

فلما وصل إلى دار بنيت في باريس ، ظل ينتظر ساعة كاملة . ثم فتح الباب ، ودخل الصحفي العظيم ووراءه طائفة من الكلاب تبصبص بذيولها وتتشمم ، فلم تكد ترى المراسل حتى وثبت إليه وجعلت تلحس وجهه ويديه .

وإذا بوجه بنيت المتجهم قد انفرجت أساريره وشاع فيه الابتسام ، وبدلا من أن يهوى على المراسل بالتعنيف والطرد ، منحه إجازة أسبوع يقضيها في باريس على حساب الصحيفة ، وأعاده إلى لندن بعد أن زاد مرتبه زيادة كبيرة.

نجاة وطنى بلغارى من حركة التطهير الشيوعية الدامية

كيف نجوت من بلغاريا

جورج م . ديمتروف

مختصرة من مجلة « ذى نيوليــــدر »



إلى مدين بحياتي لينارد بارنز وزير أمريكا المفوض فى بلغاريا ، فلولاه لكنت الآن عظاماً نخرة تحت أطباق الثرى . وربما كانت قصــة القبض عليّ وفرارى حافزاً للناس إلى إدراك ما يقوم به الممثلون السياسيون أحياناً فى البلاد الأجنبية من أعمال البطولة.

حينما كانت بلغاريا تحارب فى صفــوف دول المحــور ، كنت أذيع الدعاية للحلفاء من الشرق الأدنى ، وأعدّ الأيام حتى يحين تحرّر البلقان . وفى أغسطس سنة ١٩٤٤ كشفت بلغاريا عن رغبتها فى الخروج من الحرب . وحين كانت رسلها فى القاهرة يطلبون من القوات الأمريكية والإنجليزية شروط التسليم ، أعلنت روسـيا الحرب عليها فى الخامس من سبتمـبر . ولم يقع قتال ، بل أعلنت الهدنة فى العاشر من سبتمبر ، فكانت أقصر حرب عرفها التاريخ ، وهى حرب كان ماوراءها من غلبة الجشع ظاهراً للعيان ، أريد بها تمكين روسيا من القبض على زمام مفاوضات الهــدنة .

وسرعان ماتدفق الجنود الحمر داخل البلاد ، وجاءها من موسـكو وكيلان مدربان من وكلاء الـكومنترن (الحزب الشيوعى الدولى) لتوجيه الأعمال هناك ، هما أنطون يوجوف ، وتسولا دراجويشيفا ، من ذوى الكفايات فى أعمال القسوة والتدليس ، ظلا يمرنان عليهما سنوات فى موسكو . فدراجويشيفا قد قضت فترة التمرين تعالج أفظع ماعرف تاريخ بلغاريا من الجرائم ، وقد أدينت وحكم عليها بالإعدام سنة ١٩٢٥ حينما دسّ المتآمرون الشيوعيون قنبلة فى كاتدرائية صوفيا ، فانفجرت وقتلت ١٢٣ وجرحت

٣٢٥ ، إلا أنها فيما بعد نالتها الرأفة خطأ فأفرج عنها ، ثم عادت الآن هي ويوجوف تعاونهما الجنود والدبابات الروسية للعمل على فرض حكومة موالية للشيوعية في بلغاريا. ولما كنت السكرتير العام لحزب الفلاح البلغارى، فأنا خليق أن أكون عقبة في سبيلهما .

فلما عدت إلى صوفيا في سبتمبر ، اتهمتني الصحافة والإذاعة اللتان توجههما روسيا ، بأني جاسوس أجنبي أخدم مصالح بريطانيا والولايات المتحدة . وسارت في الشوارع جماهير من الغوغاء التي استأجرها الشيوعيون، هاتفة في صوت واحد : « فليمت جورج م. ديمتروف! فليمت جورج م. ديمتروف!»*

ولكن حياتي وحدها لم تكن تكفي ، فقد أرادوا تعذيبي ليستخلصوا مني «اعترافاً» أتهم فيه القوات البريطانية والأمريكية بالائتمار بالسوفيت . وكان من حسن الحظ أن أصبت بالتهاب رئوى حاد ، ولما كان المريض لا يحتمل التعذيب طويلاً حتى يعترف بل يلقى حتفه عند أول « امتحان » ، فقد أعفوني من السجن وتركوني بمسكني في الطبقة الثالثة ، يحرس الباب ويطوّق المنزل جماعة من الشرطة السرية الروس .

وظللت طريح الفراش أربعة شهور تصلني في كل يوم منها أنباء حركة التطهير الدامية التي أريد بها استئصال شأفة أعداء الشيوعية من بلغاريا ، والتي ذهب ضحيتها ثلاثة أوصياء وتسعة مستشارين و ٢١ من الوزراء السابقين، وأكثر من ألفي موظف أعدموا جميعاً . وكان الكتاب والعلمون و «المفكرون» عامة يرغمون على السكوت رهبة وخوفاً ، أو « يختفون » . حتى لقد بلغ عدد الذين تمت « تصفيتهم » حتى كتابة هذا ما يربي على ٢٥٠٠٠ من البلغاريين ، ولا يزال التقتيل مستمراً .

وسأظل أذكر ما حييت ، مئات الذين خاطروا بالتعرض للضرب والسجن لا لشيء أكثر من أن يقفوا في الشارع ويتطلعوا صامتين إلى نوافذي . كنت في نظرهم رمز

---

* جورج م . ديمتروف (لا جورج ديمتروف رئيس اللجنة المركزية للحزب الشيوعي البلغاري) كان السكرتير العام لحزب الفلاح البلغاري الذي كان خليقاً أن يستولي اليوم على مقاليد الحكم لو اتيحت لبلغاريا انتخابات حرة . ولما بدأ الملك بوريس يساوم هتلر ، حذره الدكتور ديمتروف من اشراك بلغاريا في الحرب الى صفوف النازية ، فكان جواب الملك أن أمر بالقبض عليه . وهاجمت الشرطة مسكنه في مطلع الفجر، ولكنه استطاع أن يفر الى يوغوسلافيا . فلما احتلها الألمان شق طريقه مجتازا البحر الأبيض المتوسط في قارب صيد الى القاهرة . ومنها ومن بيت المقدس فيما بعد ، استمر يذيع دعايته الدولية ضد النازية .

الديمقراطية، والصوت الذى جرأ على أن يتكلم عن الحرية . هؤلاء هم ذوو الهمم التى سوف تنقذ العالم ، والتى تضطرم نارها فى قلوب الملايين ممن يقاسون الإرهاب فى أنحاء العالم.

وطفقت أشحذ فكرى حتى أجد وسيلة للهرب . كان فى جدار واجهة المنزل ثغرة عمقها قدم تمتد فيها أنبوبة المياه . وكنت أخفى حبلا تحت حشية سريرى، فإذا استطعت أن أتدلى بحذاء الأنبوب ، فربما عميت عنى أعين الحراس .

وكان الأطباء قد قرروا عجزى عن الحركة، بيد أنى ظللت شهراً أجلس فى كرسى ساعة كل يوم ، أحاول رفع جسمى وخفضه معتمداً على ساعدىّ لأقوّى معصمىّ وأصابعى .

وفى أواخر مايو زارنى وزير الصحة الشيوعى ليفحصنى بنفســه . وقد أخفقت ولا ريب فى تضليله ، إذ سرعان ما جاء الأمر بحملى إلى مركز الشرطة لاستجوابى . ولما جاء عصر اليوم ارتديت لباس عامل وقلنسوته ، وانتهزت فرصة تغيير الحراس، فأدليت الحبل وهبطت. لقد تماسكت قبضتى، وواتانى الحظ ، فلم يشعر أحدٌ بذلك العامل الشاحب الذى اتخذ طريقه فى الشارع .

ولم ألبث أن وجدتنى بين أصــدقاء ، فاقترح علىّ أحدهم أن ألوذ بالوزير الأمريكى فى مسكنه بالضاحية، إذ أن بقائى عنده يحول دون قيام حملة تفتيش وحشية تنزل برفاقى مزيداً من التعذيب والتقتيل . ولما أزعجتُ المستر بارنز عن فراشه فى الساعة الرابعة صباحاً لم يتردد لحظة واحدة فى قبول التجائى إليه . وفى الصباح أبلغ الحكومة البلغارية أننى التجأت إليه معتصما بالعلم الأمريكى .

وفى المساء حاصرت المسكن فصيلة من فرق الشبان الشيوعيين ، وخاطب بارنز وزير الخارجية ويوجوف فى شأن سحبهم، محتجاً بأنه يجب أن يتم الفصل فى المسألة بالاتفاق بين الحكومتين ، ولكن الفصيلة بقيت خارج الأفنية فى انتظار ما يحدث ، فعهد بارنز إلى ستة من الجنود الأمريكيين بمنع الدخول .

وعلى الرغم من أن الشيوعيين لم يدخلوا المكان فقد فتشوا كل سيارة تبرحه ، ولم يستثنوا سيارتى الوزير والجنرال جون كرين المندوب الأمريكى فى لجنة قيادة الحلفاء . فاتصل بارنز بوزير الداخلية وأخبره أن أى محاولة لاستمرار ذلك العمل غير المشروع سيلقى مقاومة ، ثم بدأ يصحب جندياً مسلحاً فى سيارته ، فلم يحاولوا بعدها تفتيشها .

واستيقظت ذات صباح فوجدت فرقة من الجنود الروس قد حلت محل فصــيلة الشبان الشيوعيين ، فأضحت حماية جنودنا الستة لاوزن لها . وبعــد فترة من التوتر عمد فى أثنائها كل أمريكى بالمنزل إلى حمل

سلاحه ، أرسل الكولونيل سفيريدوف قائد الفصيلة الروسية يقول إنه يريد محادثة الوزير ، فلما دخل المشى رأى الدافع الرشاشة عند النوافذ والأبواب ، فاستطاع أن يقنع نفسه أن بارنز لم يكن يخدعه .

ولاشك فى أن هذا الروسى قد حضر يطلب أن أسلِّم إليه ، ولكنه لم يفعل بل قال له فى شىء من الانفعال : « جئت بإحضرة الوزير ، لأعطيك جوازاً روسياً حتى لاتجد صعوبة ما فى اجتياز خطوطنا » .

فأجاب بارنز بأن الممثلين الأمريكيين لايمكنهم الاعتراف بوجود خط روسى ، فهو لذلك لا يجد للجواز أى نفع . فخرج الكولونيل وهو يغمغم .

وفى أثناء ذلك قبض رجال دراجويشيفا على زوجتى ، وفى سبعة عشر يوماً ضربوها ثلاث مرات حتى يغمى عليها . أما الذى نجى حياتها فغضبة كريمة غضبها ونستن تشرشل ، فإنه لما علم بهذه الحوادث أرسل أمراً لانقض له بالإفراج عنها ، وشفع أمره بعبارات شديدة عن غلاظ الأكباد الذين يعنفون بالنساء . فلما وصل الأمر إلى وزير الخارجية البلغارية أجاب قائلاً : «أرجو أن تؤكد لرئيس الوزارة أنه سيفرج عنها غداً» .

قال الوزير البريطانى : « ليس فى سلطتى إبلاغ مثل هذه الرسالة ، فإن علىّ أن أقول أأصبحت طليقة أم غير طليقة » .

وخرجت زوجتى من السجن بعد ساعة . ولكن التدخل لإنقاذ سكرتيرتى مارا راتشيفا التى كانت فى الثالثة والعشرين من عمرها ، جاء متأخراً . فقد ضعفت عن احتمال «الاستجواب» الثانى فماتت ، وأعلن المحققون أنها انتحرت ، ولكن الذين أخذوا جثتها من تحت نافذة مفتوحة ، وجدوا فى عظامها رضوضاً وكسوراً ، بل وجدوا يديها وقدميها قد احترقت فصارت فحماً يبساً .

ولما وقفت الولايات المتحدة وبريطانيا موقفاً حازماً ، أذعنت موسكو فى آخر الأمر ، فأعطتنى أنا وزوجتى جوازى سفر ، وشيعنا المستر بارنز نفسه حتى ركبنا الطائرة التى بلغت بنا مأمننا .

إن عرفان الجميل كلمة ضعيفة التعبير عما كنت أشعر به والطائرة تعلو بنا عن الأرض : شعرت أنه يجب أن يتولى كاتب تدوين الثناء ، لا على هذا الممثل الأمريكى وحده ، بل على غيره من الممثلين السياسيين ، وهم كثيرون ، فقد واجهوا أشباه هذه الأزمات بشجاعة ونبل ، ولم ينلهم منها مجد أو تنويه . إن طائفة من تلك الوقائع المستورة ، هى صفحة رائعة من صحف التاريخ .

كلمات يهتدى بها

« الرجل العظيم هو الذى لايزال بين ضلوعه قلب طفل وان كبر »

ـ الحكيم الصينى ، منسيوس (٣٧٢ ـ ٢٨٩ ق.م)

يقول لن يو تانج الفيلسوف الصينى المعاصر ومؤلف كتاب (فن الحياة) :

« الرجل فى العصر الحديث شديد الغلو فى أخذ الحياة مأخذ الجد ، وشدة حرصه على أن يكون من أهل الجد ، هو الذى جعل حياته حافلة بالغصب والمتاعب . ومن الخير أن لاينسى المرء ما لروح الفكاهة من خطر الشأن ، فانها كفيلة بأن تهذب حياة الناس وأخلاقهم .

« وأنا أظن أن أبغض ما فى طغاة الحكام هو افتقارهم الى روح الفكاهة ، فهم أبدا بين متجهم أو متعاظم أو غضوب . أما رؤساء الدول الديمقراطية فهم بسامون ولذلك يحبهم الناس . والرجل من أولئك الطغاة ينتفخ صدره كبرا واعتدادا بنفسه ، حتى يفقد روح الفكاهة ، فيفقد معها كل ذرة من حسن التقدير . وهذا أيضا هو سر التعصب المفضى الى نشوء المتاعب .

« والضحك يصفى النفوس من كدرها ـ نفس الفرد ونفوس الجماعات . فالناس اذا أوتوا نصيبا من روح الفكاهة ، أوتوا رشاد العقل ، وبساطة التفكير ، ورقة الطباع ، وحسن البصر بشئون دنياهم »

[عن مجلة « ذس ويك »]

« بناء ضخم غاص بالأدمغة المفكرة »

برج معجزات التلفون

ملتن سلفرمان

مختصرة من مجلة «ذى ستردای إيفننج بوست»

في قلب مدينة نيويورك بناء شاهق ضخم تكسوه غلالة قاتمة من الدخان، وترتفع من سطحه أعمدة تشد الأسلاك بعضها إلى بعض. ويبدو لك البناء عتيقاً بالياً، بيد أنه مقر معامل البحث التابعة لشركة تلفون بل. وهذه المعامل تضم هيئة من أعظم هيئات البحث العلمى والصناعى فى العالم، ولعلها من أعظمها أثراً. وهى عشرة معامل أو أكثر، يشتغل فيها ستة آلاف من أهل البحث رجالا ونساء، وفى حجراتها تولد المعجزات العلمية فى أسباب المخاطبات، وقد ينقضى عليها عشر سنوات أو عشرون سنة أو ثلاثون، قبل أن يتم تمامها وتصبح متاحة ميسرة للناس.

كان ألكسندر جراهم بل مخترع التلفون قد أنشأ معملا صغيراً للبحث فى بوسطن، فلما كانت سنة ١٩٠٧ كانت وسائل البحث التى تنفق عليها شركة بل من مالها قد اتسعت آفاقها، فأقيم لها بناء خاص فى مدينة نيويورك. فعنى جون كارتى كبير المهندسين بأن يضم إليه جميع العلماء والمهندسين المدربين الذين استطاع أن يغريهم بذلك، ثم شدت الجماعة رحالها للتطويف فى الولايات المتحدة باحثة منقبة. وإلى هذه الرحلة ترتد طائفة كبيرة من الصناعات الحديثة، ومنها صناعة الإذاعة اللاسلكية.

فلما وصل كارتى بجماعته إلى سان فرنسسكو، أطلعوه على مشروع إقامة معرض دولى فى سنة ١٩١٥، وقال له أحدهم: «نريد إذا ما فتحت أبواب المعرض أن يكون فى وسعنا أن نتحدث بالتلفون مع نيويورك من سان فرنسسكو. أفى قدرتك أن تحقق لنا هذا؟»

فقال كارتى: «إنه شىء مستحيل».

وبين معاونو كارتى لأصحاب المشروع

لم يستحيل عليهم أن يحققوا هذا الطلب ، فهم يحتاجون إلى جهاز يضخم الصوت ، فإن لم يجدوه فلا مفر من أن يمتدّ حبل التلفون ٣٠٠٠ ميل بين المدينتين، وأن يكون قطره أربع بوصات على الأقل . فهذا الحبل يستهلك صنعه ٣٠٠٠٠٠ طن من النحاس، وتبلغ نفقاته ١٠٠٠٠٠٠٠٠ ريال تقريباً . وكان أهـل البحث قد أنفقوا كثيراً من وقتهم وعلمهم فى دراسة ضروب شتى من مضخمات الصوت، ولكن بحوثهم لم تنته إلى شيء يبعث على الرضى التـام . وتوالت الشهور وأنباء الخبراء تترى بأنهم لم يوفقوا إلى الحل المقبول .

وذات يوم فى سنة ١٩١٢ جاء أحـد مهندسى الشركة بشاب اسمه لى ده فورست، كان قد استقال من شركة التلفون منذ سنوات ، ليوالى البحث فى آراء عنَّت له ، فصنع شيئاً أطلق عليه اسم « أوديون » ، وهو جهـاز مصنوع من زجاج وسلك وشمع ، وقد كان جهازاً دقيقاً ضعيفاً غير سلس القادة ، ولـكن ده فورست أصر على أن جهازه يستطيع أن يضخم حديثاً تلفونياً .

فأحال رجال الشركة هذا الجهاز على مهندس شاب اسمه أرنولد ،فلم تـكد تنقضى أربعـة أشهر حتى صرّح أرنولد : « فى وسعنا أن ننتفع به ، وما علينا سوى أن نفرغ منه الهواء ، حتى يصير أنبوباً مفرغاً غاية ما يمكن من الإفراغ » .

فابتاعت الشركة من ده فورست ترخيصاً باستعمال جهازه هذا فى التلفون ، ودفعت ثمنه ٥٠٠٠٠ ريال ، فكان ما دفعته الشركة ثمناً اشترت به سرّ الصناعة الكهيربيـة (الإلكترونية) . وسرعان ما أحدث هذا السرُّ انقلاباً خطيراً فى طائفـة كبيرة من الصناعات .

ومُـدّ خط التلفـون من شرق القارّة الأمريكية إلى غربها ، وزوّد بمضخم للصوت، أساس تركيبه هو الأنبوب المفرغ ،وذلك فى مواقع بينها مئات من الأميال . وفتح الخط فى سـنة ١٩١٥ ، فأتيح لزوّار معرض سان فرنسسكو أن يسمعوا الحديث التلفونى الصادر من نيويورك على ثلاثة آلاف ميل .

فلما خاضت الولايات المتحدة غمار الحرب العالمية الأولى. انتظم كارتى فى سلك الجيش وعين ضابطاً برتبة كولونيل فى سـلاح الإشارة . وانتظم فى الجيش أيضاً اثنـان من علمـاء شركة بل ، وعرضا أن يعاونا مهندسى الجيش فى المخاطبـات اللاسلـكية التى كانت يومئذ لا تزال كالمعجزات ، تبهر الأنفاس . فقال لهما أحد الضباط : « كنت

أحسب أن التلفون هو مدار عملكما » . فقالا : « هذا حق ، ولكننا ما فتئنا منذ عشر سنوات نعنى ببحوث الراديو أيضاً » .

وفى بحر ثلاثة أشهر أنشأ الباحثان أول طريقة للمحادثة بالتلفون والراديو فى وقت واحد ، فصار فى وسع رجال الطيران أن يتحدثوا من المطار مع الطيارين المحلقين فى طائراتهم ، وفى وسع الطيارين المحلقين أن يحادثوا زملاءهم فى طائرة أخرى محلقة . ولكن هذه الوسيلة كانت لا تزال فى دور التجربة يوم وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها .

وعاد كارتى من ميادين الحرب ، فألفى رجاله يصنعون أشياء شتى غريبة بالراديو . فقد أخذوا الجهاز المرسل من سماعة التلفون وجعلوها ميكروفوناً ، ثم وصلوا به أنبوباً مضخما قوياً وسماعة تلفون كبيرة جهيرة الصوت ، فكانت هذه أول مرة استعملت فيها هذه الأجهزة لتضخيم صوت الخطيب فى الاجتماعات العامة .

وفى سنة ١٩٢٢ أنشأ مهندسو بل أول محطة للإذاعة .

وقد أكبّ رجال البحث فى شئون التلفون زمناً طويلا قبل أن تنشر الإذاعة اللاسلكية ، على البحث عن طريقة جديدة لصناعة أسطوانات الفونوغراف ، ثم صنعوا أول جهاز كهربىّ يحقق هذا الغرض ، وإذا بأحد أعوان كارتى يقول : « لندعُ الناس إلى تسجيل أصواتهم ثم تدار وتذاع مضخمة كأنها صوت خطيب فى حفلة ، وفى الوقت نفسه نعرض فلماً من أفلام السنما ، فنظفر كذلك بالسنما الناطقة .

وكان المخترعون قد حاولوا من قبل أن يصلوا بين أفلام السنما وأسطوانات الفونغراف ، ولكنهم باءوا بالخيبة — فى رأى أحد الخبراء — لأن صور الفلم المعروض كانت كبيرة ، وأما الصوت الخارج من أسطوانة الفونغراف القديم فكان رفيعاً خافتاً .

فالمخترعون الأوائل كان يعوزهم جهاز يضخم صوت الأسطوانة ، ولكن رجال شركة بل صنعوا هذا الجهاز ، فأخرجوا بضعة أفلام قصيرة ناطقة ، بيد أن رجال صناعة السنما لم يحفلوا بها شيئاً ، وظلوا سنوات متوالية يرفضون أن يعيروا هذه الأفلام أية عناية . وأخيراً قبلت إحدى شركات السنما أن تفعل ، ثم تبعتها الشركات الأخرى على الأثر .

وعين فرانك جويت خلفاً لكارتى على رأس هيئة البحث العلمى فى شركة بل ، فما دنت سنة ١٩٢٧ حتى كان رجاله قد

أحرزوا انتصارات رائعة فى السنما الناطقة ونقل الصور على أسلاك التلفون ، وصنعوا جهازاً لا بأس به للرؤية عن بعد (التلفزة)، وأنشأوا الاتصال اللاسلكى التلفونى فوق المحيط الأطلسى بين أمريكا وأوربة، ولكن جويت لم يقنع بما تم على ما فيه من براعة وروعة .

ذلك بأن نطاق الانتفاع بالتلفون كان آخذاً فى الاتساع اتساعاً مطرداً سريعاً ، ومد أسلاك النحاس التى تكفل تيسير هذا الانتفاع المطرد ، كان أمراً سهلا ولكنه يكلف مالا كثيراً . أفلا يمكن أن يحمل السلك الواحد عدداً من المحادثات التلفونية دون أن يختلط بعضها ببعض ؟ وكان مهندسو بل قد تمكنوا من أن يرسلوا ١٦ محادثة تلفونية على سلك واحد فى وقت واحد، أفلا يستطيعون أن يزيدوا عددها؟ فقال الخبراء : « لا »، لأننا إذا فعلنا أخذت تيارات المحادثات الإضافية « تنضح » من السلك إلى الفضاء .

وفى سنة ١٩٢٩ سجل رجال شركة بل اختراعاً جديدا مكوناً من أنابيب تحتوى كل أنبوبة منها فى جوفه على سلك مركزى، فيحمل الأنبوب تياراً على سطحه الداخلى ، والسلك الذى فى جوفه يحمل تياراً على سطحه الخارجى . فهذا الأنبوب لا تنضح منه إلى الفضاء تيارات سارية فيه . فإذا وضعت ثمانية من هذه الأنابيب فى حبل واحد معزول ، استطعت أن ترسل بها ٥٠٠ محادثة تلفونية فى آن واحد .

وذات يوم فى سنة ١٩٣٧ دخل على جويت عالم رياضى كانت له يد سابقة فى تحسين التلفون وقال : « فى القسم الذى أتولاه عشر فتيات محسنات يتولين العمل على الآلات الحاسبة ، ولكنهن عاجزات عن النهوض بكل ما يطلب منهن ، فلنصنع آلة خاصة فتكون بمنزلة عالم رياضى آلىٍّ، نعطيها المسألة فتعطينا الجواب » .

وقد استغرق صنع هذه الآلة ثلاث سنوات فإذا هى جهاز ضخم زنته ٢٠٠٠ رطل ، وارتفاعه تسع أقدام ، ولكنها كانت تتقبل ما تعطاه كتابة، وتفكر فيه بدقات مسموعة، ثم تكتب الجواب من تلقاء نفسها ، وفى وسعها أن تجمع وأن تطرح وأن تضرب وأن تقسم . ثم زودت بما يمكنها من أن تعالج المعادلات الدقيقة المعقدة التى تشتمل على الأبعاد والسرعات والاتجاهات وسرعة القنابل ، وكانت تفعل ذلك فى ثوان معدودات ، فصارت بعد نشوب الحرب من أمضى الأسلحة فى مكافحة الطائرات النازية .

وقد اعتزل جويت منصبه فى سنة ١٩٤٠ وخلفه الدكتور أليفر بكلى، وكانت الحرب العالمية الثانية قد نشبت منذ سنة أو أكثر قليلا . وعلى أن الولايات المتحدة لم تخض غمارها إلا فى آخر سنة ١٩٤١ ، فإن ضباط الجيش والأسطول صاروا يتوافدون على معامل شركة بل ليعقدوا فيها مؤتمرات خطيرة الشأن . ومن الأشياء التى استرعت عنايتهم شىء وُصف بأنه «مرشد الموج»، وكان علماء بل قد عنوا ببحثه فى سنة ١٩٣٤ وهو جهاز مربع مستطيل يرشد أمواج الراديو ويوجهها كما يوجه خرطوم الماء الجارى فيه إلى وجهة بعينها .

فقال المخترع : « ولكن الصعوبة فى ذلك أن حجم الجهاز اللازم لتوجيه أمواج الراديو التى طولها نحو مليون كيلو سيكل ، ينبغى أن يكون كحجم بناء ضخم . أما إذا كان طول الأمواج من طبقة بليونى كيلو سيكل أو ثلاثة بلايين كيلو سيكل ، فحسب الجهاز أن يكون عرضه بضع بوصات لا غير » .

فى سنة ١٩٣٤ كانت أمواج الراديو التى من طبقة بليون كيلو سيكل شيئاً كالخيال فى نظر المخترعين ، ولكنها صارت فى سنة ١٩٤٠ أساس جهاز رادار يطلقها فى الفضاء كالأصابع الدقيقة المرهفة تتحسس الأجسام السابحة . وليس فى قدرة سلك عادىّ أن يحمل هذه الأمواج لتوجيهها فى الفضاء ، ولكن « مرشد الأمواج » الذى صنعته شركة بل كان يستطيع أن يسير بها سيراً مأموناً من الجهاز المرسل إلى السلك الهوائى ، ثم إذا ارتدّت سار بها من السلك الهوائى إلى الجهاز الذى يتبينها .

ويوم انتهت الحرب العالمية الثانية كانت القوات المسلحة قد تسلمت ٥٦ ألف جهاز رادار تولت معامل بل تصميمها . وقد نقلوا بعض الأفكار من صناعة التلفون ، فانتفعوا بها فى صنع طرابيد جديدة ، ولغم ممغطس ، وموجّه كهربائى لمدفع مضاد للطائرات ، وقنبلة توجه بالكهيربات لم يكد الأسطول الأمريكى يبدأ فى استعمالها حتى كانت اليابان قد سلمت .

ومن المآثر العجيبة التى تمت لمعامل بل فى أثناء الحرب العالمية الثانية ، إنشاؤها الاتصال التلفونى الذى لاحق الجيش الأمريكى الثالث حين أخذ يجتاح ألمانيا اجتياحاً سريعاً فى أواخر الحرب . ولو كان اعتماد الجيش على وسيلة الاتصال المألوفة بالتلفون والراديو ، لعجزت هذه الوسيلة عن ملاحقته فى زحفه السريع ، دون الاعتماد على الإذاعة، ولو عمدوا إلى الإذاعة لاستطاع الألمان أن يسمعوا أو يعرفوا أخبار الزحف .

وكان رجال معامل بل قد ابتكروا قبل الحرب نظاماً للمخاطبات اللاسلكية سموه «نظام التتابع» أو «التلفون الموجّه» وكانوا قد صنعوا أجهزة تصلح للجيش، وأرسلوا طائفة منها إلى الطلائع. فاختار سلاح الإشارة آكاماً تبعد إحداها عن الاخرى ٢٠ ميلا على خط يمتد بين مقر القيادة وطلائع الجيش فى الميدان، وأقاموا على هذه الآكام محطات التتابع، فكانت الأكمة تلتقط الرسالة الموجهة، ثم تضخمها وترسلها إلى محطة الأكمة التى تليها. وقد كانت الأمواج قصيرة تسير فى خط مستقيم، كمثل أمواج رادار، وفى الوسع جمعها وإرسالها فى شعاعة دقيقة، فلا يسهل على أحد أن يتسقط ما تحمله من الأخبار. أما الرسائل التى تنقلها فكانت تلتقط من فورها.

فلما وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها عاد رجال معامل بل إلى معاملهم وفى رؤوسهم آراء كثيرة جديدة فى موضوع «نظام التتابع» هذا، فقد أحلوا محل السلك الهوائى فى جهاز رادار عدسة من معدن تجمع أمواج الراديو القصيرة، كما تجمع العدسة من الزجاج أشعة الضوء. ثم حمّلوا هذه الأمواج مئات من المحادثات تتم فى وقت واحد. وهم اليوم يجربون التجارب عسى أن يتبينوا منها أيهما خير وأفضل للمحادثات التلفونية البعيدة المدى: طريقة الأنابيب أم نظام التتابع. وقد تدلهم هذه التجارب أيضاً على أى الوسيلتين أفضل للتلفزة البعيدة المدى.

وفى السنة الماضية شرعوا فى وسيلة جديدة للمخاطبات اللاسلكية تعتمد على انتشار الأمواج بدلا من جمعها فى شعاعة ضيّقة وتوجيهها إلى جهة بعينها، وهذه الوسيلة تتيح المحادثة التلفونية بين رجل فى سيارة متحركة وبين بيته ومكتبه. وقد استعملها بعض الصحفيين، فزوّدوا المحررين بأخبار وأوصاف من سيارة كانوا يطوفون فيها.

وقد تم لهم شىء آخر جديد حقاً، فقد صنعوا قبل الحرب جهازاً يلتقط أصوات الكلام ثم يدفعها فى آلة، فتحلها وترسم تموجها على لوحة تتألق، فترى صورة صوتك بعد تحليله على هذا الوجه كأنه صفحة كتب عليها كاتب مختزل.

ثم تعلم بعض رجال بل أن ينظروا إلى هذه التموجات فيفهموا الكلام الذى تمثله، فصاروا يستعملونها للحديث بالتلفون، فالشفاه تنطق، والعيون ترى وتفهم ما يقال. وكان من موظفى بل فتاتان لكل

منهما لهجة خاصة تختلف عن لهجة صاحبتها ، وقد رأينا ذلك فى صور الصوتين . ثم قضتا أسابيع وكل منهما تحاول أن تجعل صور صوتها مطابقة لصور صوت صاحبتها، فلم يكد ينقضى شهران حتى صارت لهجتهما واحدة .

فقال العلماء إذا كانت آلة تصوير الصوت تستطيع أن تحدث هذا الأثر فى لهجة الفتاتين ، فهى خليقة أن تعين الصم الذين ولدوا صماً ولم يسمعوا صوتاً ما فى حياتهم على فهم ما يقال . فدعوا إلى المعامل كهلا ولد أصم ، وكان يشق عليه الكلام حتى لتراه عاجزاً عن أن يبين لعامل المصعد أى دور فى البناء يريد أن يقف عنده . فأقام شهرين مواظباً على الحضور إلى المعامل كل يوم ، حيث أتيح له أن يدرس صور أقواله كما تبدو على اللوحة المتألقة ، وأن يحاول أن يجعلها كما ينبغى أن تكون لو كان كلامه صحيحاً سليما . فلما انتهت مدة التدريب تحسّن كلامه حتى كاد رجال العامل لا يصدقون أنه هو هو حين سمعوه .

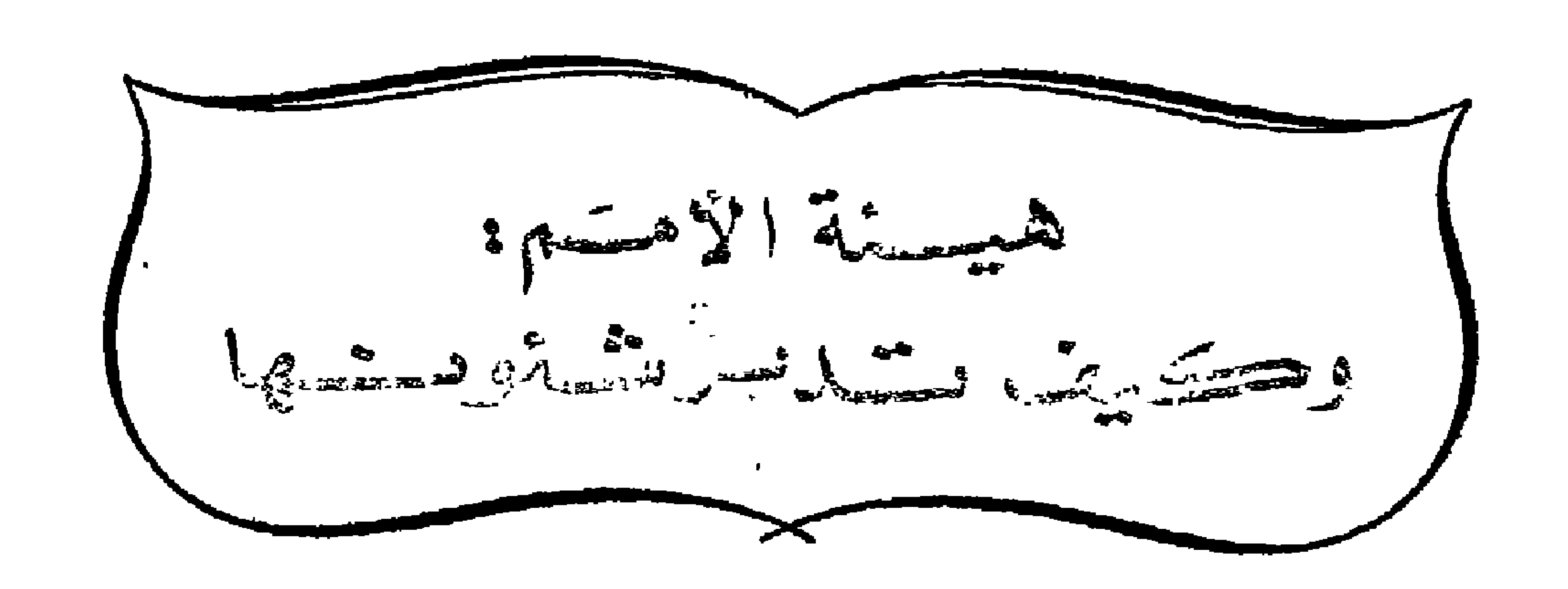
ثم جىء بجماعة من الأطفال ولدوا صمًّا ، وكان منهم فريق لايزال فى الخامسة من عمره ، فظلوا يدربونهم ربع ساعة كل يوم خلال ثلاثة أسابيع ، فصاروا بعدها قادرين على أن ينطقوا بكلام مفهوم .

ولن تجد اليوم فى معامل بل من يدهشه أن يسمع أن رجال البحث فيها قد أخرجوا مثل هذه الآلات الغريبة النافعة التى لا صلة بينها وبين الصميم من شئون التلفون . وقد قال أحد منافسيهم : « إن السبب الوحيد الذى منع هؤلاء القوم من الاستغناء عن التلفون والإقبال على اختراع طريقة لنقل الأفكار ، هو أنهم لم يتبينوا بعد كيف يستطيعون أن يسجلوا هذا الاختراع » .

خبر تمثال الشاعر بوشكين

عرضت جائزة منذ زمن فى روسيا لمن يصنع أحسن تمثال لتكريم ذكرى الشاعر بوشكين ، فعرضت على لجنة التحكيم مئات من الرسوم والأمثلة المصنوعة من الطين تمثل بوشكين ، مفكراً ، أو متكئاً ، أو مستلهماً شياطين الشعر ، أو جالساً وسبابته على جبهته . وقد وقع الاختيار فى آخر الأمر على تمثال يمثل ستالين جالساً وهو يقرأ كتاباً — هو ديوان بوشكين ، فنصب فى الميدان العام .

[ولتر ونشل]



اديث إجلاور

مختصرة من مجلة « هاربرز »

وقفت هنيهة فى مكتب الاستعلامات إذا فى مقر هيئة الأمم المتحدة القائم عند « ليك سكسيس » فى نيويورك ، رأيت الناس لا يكفون عن طلبه بالتلفون . ففى فترة لا تتجاوز عشر دقائق أفضت إحدى فتيات المكتب ببيان مفصّل عن حق الاعتراض لفتى مكبٍّ على دروسه فى البيت ، ثم ذكرت باللغة الفرنسية لسائل آخر أسماء الدول الأربع الأخيرة التى قُبلت أعضاء فى الهيئة ، وأحالت على مكتبة المراجعة سؤالا عن عَلَم ألمانيا الرسمى فى الزمن الحاضر ، ثم ردّت على سؤال سيدةٍ فقالت : « يؤسفنى يا سيدتى أننى لا أعرف أسماء جميع العزاب بين مندوبى الأمم المتحدة » .

والإجابة عن الأسئلة التى يطلب الجمهور المستطلع جواباً عنها ، من المهام اليسيرة التى تضطلع بها سكرتيرية الأمم المتحدة فى إدارة تلك الهيئة العالمية . وهذه السكرتيرية جماعة محكمة النظام ، قوامها ٢٧٠٠ موظف من مختلف أمم العالم . وقد نمت فى بحر سنة واحدة من فئة قليلة من الخبراء ، فصارت عشيرة كبيرة من رجال الاقتصاد والقانون ، ومن الكهربائيين والنجارين والسباكين والمصورين والصيارفة وخبراء السياسة وعلماء الاجتماع ــ يضاف إليهم جيش صغير من التراجمة والمترجمين والمختزلين والكتبة والناسخين بالآلات ، والحرّاس والحجّاب .

ومدار النشاط فى هيئة الأمم المتحدة هو قسم اللغات ، فكل كلمة من ملايين الكلمات التى تكتب أو تقال بصفة رسمية ، ينبغى أن تثبت باللغتين الفرنسية والإنجليزية ، وهما

لغتا العمل فى الهيئة . ولما كان مندوبو روسيا وجمهوريات أمريكا اللاتينية لا يخطبون على الأكثر إلا بلغاتهم القومية ، كان للتراجمة الذين يحسنون ثلاث لغات مقام سام وعطاء جزيل .

والتراجمة جماعة مدهشة حقاً من سحرة الفكر والقول ، وعلى رأسهم إمامهم « أندريه كامنكر » وهو فرنسى ربعة أصلع ، وقد أثر عنه أنه يستطيع أن يهب إلى قدميه على إثر خطبة يستغرق إلقاؤها ساعة من الزمان ، فيترجمها دون أن يرجع إلى مذكرات بين يديه ، حتى يخيل إلى السامعين وهم يرون إيماءه وقوة إلقائه الرائع ، أنه صاحب الخطبة الأصيل .

وأخوه جورج يجاريه مقدرة وبراعة ، وإن كان دونه روعة واسترعاء للأنظار . وجورج مشهور بقدرته الخارقة على ترجمة أعقد الأقوال الفنية بدقة تذهلك عن نفسك . وقد حضر كلاهما جميع المؤتمرات الدولية الكبيرة التى عقدت خلال ربع القرن الماضى .

وأعجب العجب أن التراجمة قلما يدونون مذكرات، بل يكادون يعتمدون كل الاعتماد على ذاكرتهم العجيبة. وهم يحاولون أن يترجموا الخطب ترجمة دقيقة كلمة كلمة ، إلا أن غرضهم أن يؤدوا صفوة القول تأدية صحيحة واضحة .

والتراجمة فى هيئة الأمم المتحدة مذهبان: فالجماعة التى ينتمى إليها أندريه كامنكر وأخوه تعرف بجماعة الترجمة « اللاحقة » ، أى أنهم ينتظرون حتى يفرغ الخطيب من إلقاء خطبته، ثم يترجمون الخطبة مرتين — مرة بالإنجليزية ومرة بالفرنسية . أما الجماعة الأخرى فتعرف بجماعة الترجمة «المصاحبة» فهم يترجمون أقوال الخطيب فى أثناء إلقائها. وأفراد هذه الجماعة يجلسون فى غرف من زجاج ، ويتكلمون فى جهاز للإذاعة أقيم أمامهم . أما المستمعون فمزودون بسماعات توضع على آذانهم ، وأمامهم لوحة كلوحة مفاتيح الراديو ، فيصغون إلى اللغة التى يجيدونها . والترجمة « المصاحبة » تصاحب الخطيب حقاً ، ولا تتخلف عن أقواله سوى مقدار كلمة أو كلمتين .

أما الترجمة « اللاحقة » فقد تستغرق ساعتين أو ساعتين ونصف ساعة لترجمة خطبة تستغرق ساعة. وقد أنشىء فى مقر هيئة الأمم المتحدة حجرة واحدة مزودة بجميع الأجهزة الغالية اللازمة للترجمة «المصاحبة» ، فوفر الاعتماد عليها فى دورة ١٩٤٦ للجمعية العمومية، ١٥٠ ساعة كانت خليقة أن تضيع جزافاً لو كانت الترجمة كلها من النوع « اللاحق » . فلما عقدت الجمعية العمومية دورتها فى هذه السنة ، كان فى مقر الهيئة

أربع حجر أخرى مزودة بأجهزة الترجمة « المصاحبة » .

ورئيس قسم الترجمة المصاحبة هو الكولونيل ليون دوستير ، وهو فرنسي تجنس بالجنسية الأمريكية وصار كولونيلا في الجيش الأمريكي ، فتولى مهمة الترجمة « المصاحبة » في محاكمات نورنبرج ، وقد عمد إلى تجربة التجارب بجهاز لاسلكي مستقل يستطيع المستمع أن يحمله معلقاً بعنقه بسير من الجلد . وكل جهاز يزن رطلا أو أقل ، ويستطيع حامله أن يتصل به بواحدة من سبع إذاعات تذاع ، وله مفتاح يضبط طبقة الصوت ، وسماعتان توضعان على الأذنين . فإذا اتخذ أحد المستمعين جهازاً من هذه الأجهزة ، صار في وسعه أن يسير حيث يشاء ، أو أن يخرج إلى المطعم لمأكل أو مشرب ، وهو لا يزال يستمع إلى ما يدور في مكان الاجتماع .

والمترجمون الملحقون بالكولونيل دوستير أصغر سناً من جماعة الترجمة « اللاحقة » ، وأجرهم أقل ، فمرتب الكبار نحو ٨ آلاف ريال في السنة ، ومرتب الشبان نحو ستة آلاف ريال . ومن خيرة مترجميه اثنان : أحدهما أمير روسى في السابعة والعشرين من عمره اسمه جورج فاسيليشيكوف ، وقد قضى معظم حياته في فرنسا وإنجلترا .

والثاني فتاة أمريكية في الحادية والعشرين من عمرها ، هي جين سترايت ابنة الصحفي كلارنس سترايت مؤلف كتاب « الوحدة الآن » . ودوستير لا يكفُّ عن البحث عن مترجمين مقتدرين ، بيد أن معرفة اللغات وإجادتها ليست سوى عنصر في عُدّة الذين يطلبهم ، إذ ينبغي أن يكون التراجمة أهل ذكاء وثقافة واسعة وصوت حسن ونطق واضح . وهو يعتقد أنهم يبلغون ذروة الإجادة إذا استغرقهم العمل وصاروا كأنهم في نشوة . وقد عهد إلى أحدهم أن يترجم إلى الروسية خطبة للسناتور كونالى في دورة الجمعية العمومية في سنة ١٩٤٦ ، فاستغرق في عمله استغراقاً ، فلما ضرب كونالى المائدة أمامه بجمع يده جاراه المترجم فيما فعل ، فكاد وقع قبضته على المائدة يؤذى آذان المستمعين إليه بسماعات .

وفي قسم اللغات جماعة كبيرة من المترجمين مستعدون أبداً لترجمة أية وثيقة من أية لغة كانت — ولا تستثنى اللغة الأردية ولا اللغة البوشتوية . ولكل لغة من اللغات التي تستعمل في الاجتماعات الرسمية كاتب خاصٌّ بها يجلس قرب المترجمين ويدوّن الخطب بالاختزال . ويحل محله زميل له في الحين بعد الحين ، فيخرج ليملي ما دوّنه بالاختزال على إحدى الكاتبات بالآلة الكاتبة ،

ثم يعود فيحلّ محلّ زميله ، وهكذا دواليك حتى يتمّ نقل الخطبة . وفى خلال ذلك تعد الكاتبة نسخة الورق المشمع بالآلة الكاتبة حتى تصنع منها نسخ ، وتوزع على الصحفيين . فإذا بدأ جروميكو مثلا يلقى خطبته فى الساعة الثالثة ، بدأ رجال الصحافة يتلقون أجزاء الخطبة منسوخة فى الثالثة والنصف ، فلا توافى الساعة السادسة حتى تكون نسخ الخطبة المنسوخة معدة للتوزيع فى الإنجليزية والفرنسية والروسية .

ولعلّ أعقد مهمة تنهض بها سكرتيرية الأمم المتحدة هى مهمة توفير الطعام لآلاف الموظفين والمندوبين ووفود الزوار والمتفرجين . والمطعم القائم فى قبو فسيح بالطابق الرئيسى يقدم ٥٠٠٠ وجبة كلّ يوم ، ولا يقفل بابه لا فى النهار ولا فى الليل .

أما حجرة الأكل الفاخرة التى خصصت للمندوبين فتفتح أبوابها منذ الساعة ١١ صباحاً إلى الساعة الثالثة بعد الظهر ، فيؤمها كل من يسعه أن يدفع ريالين فى ثمن الغداء . ورأس الطهاة إيطالىّ ، وليس له سوى شكوى واحدة ، فهو يقول : « إننى أجتهد أن أعدّ لوناً أوربيًّا من الطعام كلّ يوم ، ولكنهم يفضلون الطعام الأمريكىّ . وقد أعددت السمك الروسىّ والكافيار لمائدة « البوفيه » ، ولكنّ سكرتير جروميكو لا يكاد يلقى إليها نظرة ، فهم يكثرون من طلب لحم الديكة الرومية ولحم الخنزير ، والأرز » . وترى البريطانيين ، على غير ما تتوقع منهم ، يشربون الكوكا كولا ومقادير كبيرة من القهوة ، ويندر أن تراهم يشربون الشاى .

وأشق عمل تنهض به سكرتيرية الأمم المتحدة ، هو العمل الذى يؤديه قسم الأمن ، فهو يشرف على الحراس ، وينظم أوراق الاعتماد ، ويتولى الوقاية من النار ، ويتعاون فى عمله مع شرطة مدينة نيويورك ومكتب المباحث الجنائية العام .

ورئيس قسم الأمن رجل اسمه « فرانك بجلى » ويعاونه فى عمله مئة أو نحوها من الرجال والنساء . ويرى بجلى أن من حق الجمهور أن تتاح له حرية الدخول إلى القاعات التى تعقد فيها اجتماعات الأمم المتحدة ، وأن يغشى منطقتها دون أن يعترضه معترض ، حتى يقع ما يثبت خطل رأيه . ولم يحدث حتى الآن حادث ما يدل على أن الجماهير التى تؤم مقر الأمم المتحدة كانت غير أهل لثقته . ولا يقع فى العادة من الحوادث المستهجنة سوى حادث واحد فى الأسبوع ، وأكثر الإساءة تصدر عن المتعصبين من أهل الدين ، والناس الذين تثيرهم مسائل الأجناس ، والسكيرين ، والمصابين باضطراب الأعصاب .

والنساء شر من الرجال، لأن إقصاءهن عن مقر الأمم المتحدة أعصى وأشق ، والطريقة المألوفة فى إبعادهن هى أن يسير معهن من يستدرجهن إلى الحـديث حتى يتخطين السور ، ثم توصد الأبواب وراءهن .

وقلما تجد بين موظفى السكرتيرية من لا يفاخر بانتسابه إليها . وهى لا تزال فى مستهلها ، والعمل فيها لا يفتح أمام صاحبه باب الثروة ولا يمهد له طريق التقدم السريع . وأنت تجد نصف موظفى السكرتيرية أو أكثر من نصفهم ، لا ينال الموظف منهم مرتباً يزيد على ٣٥٠٠ ريال فى السنة . وخمسون منهم أو أقل ينال أحدهم مرتباً يزيد على عشرة آلاف ريال فى السنة ، ومع ذلك يتلقى قسم الموظفين كل أسبوع خمسمئة طلب للالتحاق بالسكرتيرية ، وهى مكتوبة بكل لغة من لغات الأرض تقريباً .

وليس لزاماً على طالب الالتحاق بالسكرتيرية أن ترشحه حكومته لذلك أو أن توصى به . وقد تقدم كثيرون من رعايا البلقان بطلباتهم من تلقاء أنفسهم ، فقبل بعضهم . ولـكن السكرتيرية لم تتلق من روسيا سـوى الطلبات التى أوصت بها حكومتها ، فحكومة السوفيت يعز عليها أن تستغنى عن رجالها الذين أحسن تدريبهم لأنها تحتاج إليهم ، فتراها قلما تستجيب للطلبات المتكررة التى تتقدم بها إدارة الموظفين فى سكرتيرية الأمم المتحدة .

وينبغى لـكل موظف جديد أن يحلف اليمين على أن يجعل سلوكه ملائماً « لمصالح الأمم المتحدة ، لا لشىء سواها » ، ثم ينبغى له أن يتعهـد بأن « لا يطلب ولا يقبل تعليمات من أية حكومة أو أية سلطة خارج هيئة الأمم المتحدة فى تأدية عمله » .

ويسلم رجال الأمم المتحدة أن بعض موظفى السكرتيرية لم يكتسبوا بعد النظرة الدولية الـكاملة . وقد يتفاوت شعورهم بين العطف العام على وطنهم ، إلى الانتفاع انتفاعاً مباشراً بوسائل الأمم المتحدة لخدمة مصالحهم القومية ، غير أن الرجاء معقود على تأصل فكرة الولاء لهيئة الأمم المتحدة على السنين ، وفقاً لازدياد ثقـة الناس والأمم بنفعها وقدرتهـا على حفظ أمن العالم ، ذلك بأن مبدأ ولاء المرء للعالم أولا ، ولوطنه ثانياً ، هو الأساس الذى تقوم عليه هيئة الأمم المتحدة .

لن تجد رجلا يبلغ به انهماكه فى عمله مبلغاً يعوقه عن الإفاضة فى الحديث عن شـدة انهماكه

في مدرسة الفنون والصناعات بكاليفورنيا ١٧٨٣ طالباً من طراز جديد ، يتعلمون ويتكسبون في آن واحد .

بصيرة في مدرسة

فرانك تايلر

مختصرة من مجلة «كنترى جنتلمان»

لما دخل الشاب إدورد سنتوس مدرسة الفنون والصناعات في كاليفورنيا ، أحضر معه بقرتين ممتازتين من بقر هولشتين بدلاً من النقود . ولم يكن غرضه أن يعلّم البقرتين ، بل أن يحلبهما فيكسب بعض نفقاته في الجامعة ، وأن يتدرب على أصول تربية البقر لأنه عزم أن ينشىء لنفسه مصنعاً للألبان .

وأنت تطوّف في هذه المدرسة فترى طائفة من الطلبة يملكون أنعامهم وماشيتهم التي في أرضها . فهذا طالب اقتنى خنزيرة يريدها أن تكون طليعة لقطيع من الخنازير الخالصة النسب ، يربيه في مزرعة له في المستقبل ، وهذا طالب آخر يربي سرباً من دجاج ليجهورن البيضاء المشهورة ، وهذا طالب ثالث يسكن أهله المدينة ولكنه اقترض مالاً من مصرف المدرسة ليشتري به خرفاناً ، وهذان طالبان اشتركا في استئجار سبعة أفدنة مجاورة لأرض الجامعة ليزرعا فيها الشوفان ونباتاً من نباتات العلف في أثناء إكبابهما على دراسة الآلات الزراعية .

والأرض التي تقوم عليها مدرسة الفنون والصناعات ، عبارة عن مزرعة كبيرة يديرها الطلبة ، مساحتها ٢٠٣٨ فداناً ، تكثر فيها الأنعام لصناعة الألبان ، والمواشي لتجارة اللحوم ، والخنازير والغنم والخيل والدجاج ، وتزرع فيها الخضر والحبوب وأشجار الفواكه . وقد وصف هذا المعهد بأنه « جامعة معكوسة » لأنه ينبغي للطالب فيها قبل أن يشرع في تلقي العلوم والآداب ، أن يحذق عملاً يعينه على كسب المال إذا اضطر إلى قطع دراسته . ومجلس إدارة المعهد يحث كل طالب على أن يشترك في عمل من الأعمال التي تدرّ ربحاً على أصحابها .

إن كثيرين من رجال التعليم العالي في كاليفورنيا يخالفون آراء الدكتور جوليان مكفي رئيس هذا المعهد ، ولكن هذه الآراء قد امتحنت مدة اثنتي عشرة سنة . ويرضى

الرئيس مكفى أن تؤخذ الشهادة على صحة آرائه من أقوال الطلبة وأفعالهم .

ففى خلال أربع سنوات قضاها إدورد سنتوس فى المعهد ، استطاع أن يوفى جميع نفقاته ، وأن يقتنى بقراً لبوناً ثمنه ٣٫٥٠٠ ريال ، وقد حذق عملا منتجاً ، ونال درجة علمية ، وكان من أبطال كرة القـدم بين أقرانه . وأما الطالب الذى اقتنى الخنزيرة ، فقد خرج من المعهد وهو يملك نواة قطيع من أخلص الخنازير أصلاً وسلالة ، وهو يُعَدُّ اليـوم فى طليعة الذين يربونها فى الولاية كلها . أما الطالبان اللذان توافرا على دراسة الآلات الزراعية ، فقد ظفرا بمناصب حسنة فى شركات الآلات الزراعية .

فى ســـنة ١٩٣٣ عزم مجلس الولاية التشريعى أن يقفل أبواب هذا المعهد توفيراً للمال ، فلم ينقـذه من تلك الخاتمة سوى بلاغة مكفى ، فعرض يومئذ أن يظل متولياً رئاسته لكى يقيم الدليـل على أن جامعات الولاية تدرّب الطلبة تدريباً يبعد بهم عن العمل ، بدلاً من أن تعدهم للعمل ، فسلم له المجلس فى آخر الأمر ، وخصص له فى الميزانية ٧٥ ألف ريال ، ليـدير بها مكفى معهده مدة سنتين .

وقد اقـترض المعهـد ثلاثة آلاف ريال من مصرف البلدة ، وجعلها رأس مال يقترض منه الطلبة مايحتاجون إليه لأعمالهم. فطالب السـنة الأولى الذى لايستطيع أن يجىء إلى المدرسـة ببقر أو غنم ، يعرض أمره على « لجنة رأس مال المشروعات » ، فيصف لها مشروعاً يروم تنفيذه ، فإذا كان صالحاً أذن له باقتراض المال اللازم ، وأمضى صكاً بما يقترض . أو قد يشترى محركاً مستعملاً ، أو آلة من آلات الزراعة القديمة ، فيصلح مايشترى ويبيعه ، أو قد يشترك مع جماعة فى تربية قطيع صغير من الماشـية ، أو سرب كبير من الدواجن ، أو زراعـة بعض الغلال على أساس تعاونى .

تبلغ النفقات السنوية فى مدرسة الفنون والصناعات بكاليفورنيا ثلاثمئة ريال ، تشمل نفقات التعليم والطعـام والإقامة . ولجنة « رأس مال المشروعات » تعين كل طالب لا يملك مالاً فى أول الأمر . ومع أن الحيوانات التى يملكها الطلبة تربّى قطعاناً قطعاناً فى حظائر المدرسة ، إلا أن كل طالب مكلف أن يعنى بتربية مايخصه ، وهو يحتفظ بدفاتر يسجل فيها نفقات العلف والتربية ، فإذا بيع شىء منها ، حسب حساب الربح الصافى ، فيأخذ الطالب ثلثيه ، ويردّ الثلث الثالث إلى صندوق رأس مال المشروعات . وقد استطاعت لجنة هذا المال أن ترد منذ زمن طويل مبلغ ٣٠٠٠ ريال كانت اقترضته

من مصرف البلدة ، وصار مبلغ «رأس مال المشروعات » اليوم ٩٠٫٠٠٠ ريال جمعت من حصة ثلث الأرباح . وكل مال يزيد على ٩٠٫٠٠٠ ريال ، يرسله مكفى إلى خزانة الولاية — عسى أن يعينه إذا طرأ عليه عسر واضطر أن يطلب من مجلس الولاية بعض المعونة .

ونظام العمل الحر فى هذه المدرسة شىء جدير بالاهتمام ، فللطلبة مخازن يبيعون فيها البيض ، والدجاج المذبوح المعد للطبخ ، والثمار والخضر واللبن والزبد ، بالأسعار الجارية فى سوق البلدة . والمدرسة تبيع أيضاً القمح والتبن والذرة واللحوم على أنواعها . ولجنة « رأس مال المشروعات » تتجر اليوم بضروب الحيوانات المؤصَّلة ، وقد ظفرت قطعانها فى السنوات الأخيرة ثلاث مرات بجوائز الامتياز فى معارض الماشية .

وقد زرت المدرسة منذ عهد قريب ، فرأيت قسم الألبان يضم ١٢٠ بقرة أصيلة ، منها ٧٥ بقرة فى حوزة الطلبة ، وقد بلغ دخله من بيع الألبان ومنتجاتها ٣٠٫٠٠٠ ريال فى سنة ١٩٤٥ . أما قطعان العجول التى تتخذ من أجل لحمها، فكانت مؤلفة من ٢٥٠ عجلاً أصيلا من نوع « هير فورد ». وكان قسم الخنازير يضم ٧٥٠ رأساً . ورأيت فى المرعى القائم على منحدر الأكمة ٢٥٠ خروفاً يرعى ، أما حيوانات اللحم التى كانت ملكا للطلبة ، فقد كانت قيمتها ٥٥ ألف ريال ، وقد شمل قسم الدواجن ٥٠٠٠ طير بلغ مجمل دخلها فى السنة ٣٥٫٠٠٠ ريال .

ومع أن تطبيق منهج المدرسة على فلاحة البساتين والهندسة كان عملاً شاقاً ، فقد تمكن مكفى من أن يبث فى هاتين الدراستين شيئاً كثيراً من روح الاستقلال والعمل الحر . فلجنة المشروعات تقرض المال لمن يرغب فى شراء آلة أو سيارة ، أو محرك طائرة أو سيارة نقل ، فيرمم مايشترى ثم يبيعه . وتقرض المال أيضاً لمن يروم أن يشترى فسائل نباتات الزينة أو البذور ، أو الأسمدة للحاصلات . أما الآلات التى تولد الطاقة للمدرسة ، فيتولاها الطلبة الذين يتخصصون فى دراسة محركات ديزل والقوة الكهربائية .

وفى قسم الاستنبات ، يشرف الطلبة على استنبات النباتات والشجيرات وبيعها ، ويتولون تجميل أرض المدرسة والأراضى التى تحيط بمنازل الأساتذة . أما طلبة قسم البساتين فيشتغلون فى بستان صغير من بساتين الفواكه أو كرم من كروم العنب ، أو مزرعة من مزارع التوت .

كانت مدرسة الفنون والصناعات تضم

١٥٠ طالباً يوم تسلم مكفى مقاليدها ، أما اليوم فعددهم ١٧٨٣ طالباً . وقد حمل رئيسها فريقاً من الأغنياء على أن يهبوها ما تزيد قيمته على مليونى ريال من الأرض والمبانى والمعدات والمواشى وغيرها .

وقد برهن نمو المدرسة هذا النمو العجيب على أن رأى مكفى فى إقامة مدرسة يصفونها « بالجامعة المعكوسة » ، هو رأىٌ صحيح مُجْدٍ ، أو هو كذلك على الأقل فى المدارس التخصصة فى الزراعة والهندسة .

وهو يقول : « أرى أن المهمة الأولى التى ينبغى أن تضطلع بها هذه المدرسة هى أن تدرّب الطالب على عمله . وهذا التدريب يحدّد له أين يعيش وكيف يعيش . فهذا أهمُّ مرحلة فى حياته ، أما مرحلة الثقافة فتأتى فى المنزلة الثانية » .

كيف تقدم العالم ؟ !

● ذهب المخترع وستنجهاوس ذات يوم إلى الكومودور فندربلت لكى يطلعه على الفرامل الجديدة التى صنعها للسكك الحديدية — الفرامل التى تعمل بضغط الهواء ، فصرفه فندربلت بقوله إنه لا يجد متسعاً من الوقت ليضيعه على الحمقى والمجانين !

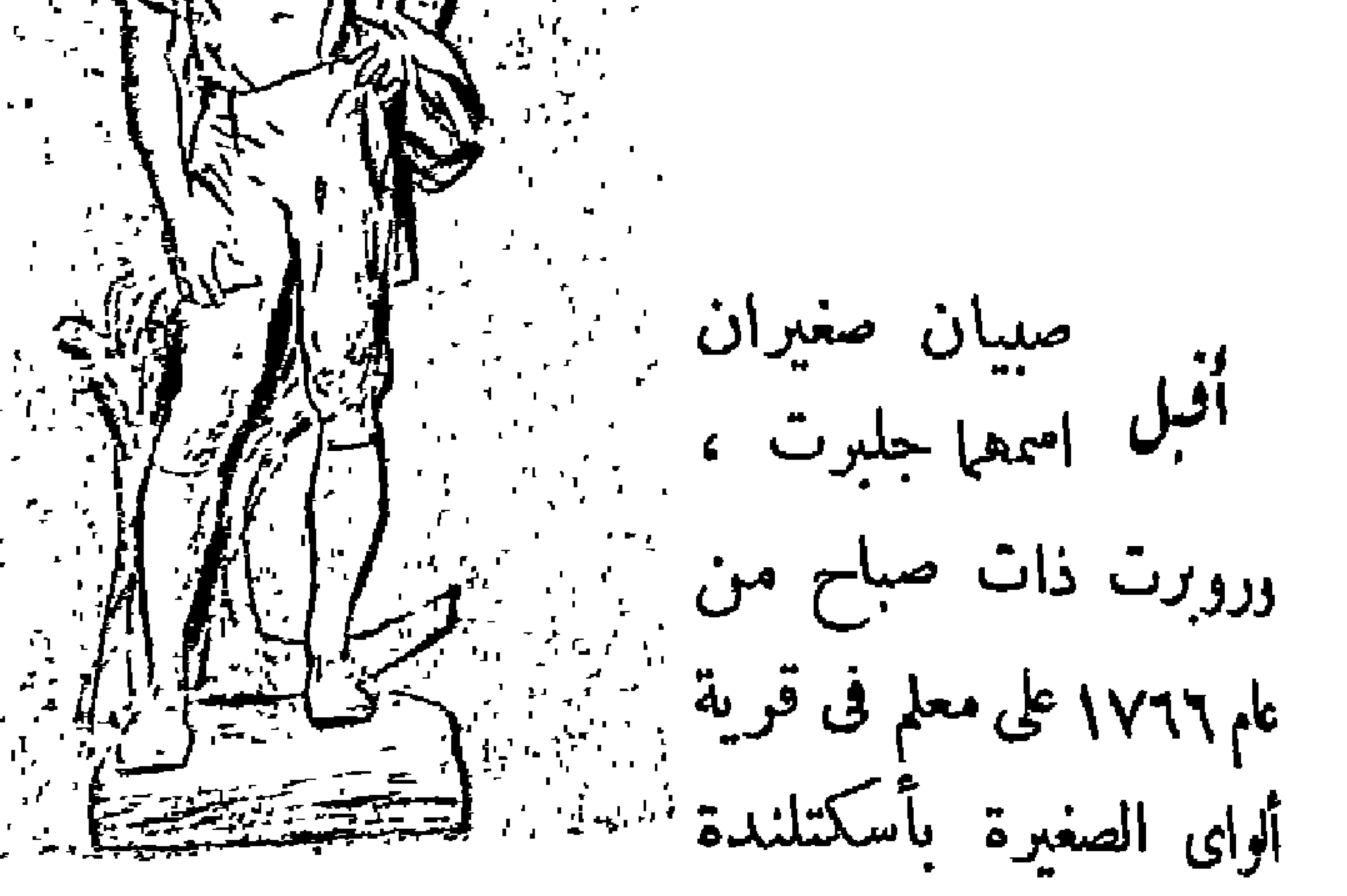
● أثبت إريكسون المخترع السويدى فى سنة ١٨٢٨ لمجلس مدينة لندن أن عربة المطافىء البخارية نافعة فى كفاح النار ، ولكن المجلس أبى أن ينتفع بها ، وظل نظام المطافىء قائماً ٣٢ سنة بعد ذلك على رفع الماء ودفعه بمضخات تحرك باليد .

● أصرّ المتمولون الذين أمدوا روبرت فلتون بالمال ليصنع سفينته البخارية، على كتم أسمائهم حتى لا يتعرضوا للسخرية لأنهم أيدوا بمالهم مشروعاً خيالياً كمثل هذا المشروع .

● اعترض هنرى مورتن ، رئيس معهد ستيفنز الصناعى ، على الذين يكبرون تجارب إديسون فى الإضاءة الكهربائية فيصفونها بأنها نجحت نجاحاً عجيباً ، ثم قال : « فكل من له إلمام بهذا الموضوع يعرف أنها أخفقت إخفاقاً ذريعاً » .

في أيام الثورة كافح في سبيل العقل والرحمة في الدين ، وفي سبيل حقوق الإنسان .

كدح شاعر غنائي عظيم



ماكس إيستمان

أقبل صبيان صغيران اسمهما جلبرت ، وروبرت ذات صباح من عام ١٧٦٦ على معلم في قرية ألواي الصغيرة بأسكتلندة الغربية ، ليتعلما القراءة والكتابة والترتيل ، وكان روبرت في السادسة ، وجلبرت في الخامسة ، وقد كتب عنهما المعلم يقول : إن جلبرت « أنشط خيالا » وأنه « أذكى » من روبرت ، وأن « أذن روبرت بليدة بلادة ملحوظة » وأن صوته « غير قابل للضبط والتهذيب »

فلا تحاول إذن أن تقطع برأي في أمر ولدك في السادسة من عمره ، فإن جلبرت قد صار فلاحاً كادحاً ، وصار روبرت من أعظم شعراء التاريخ وأكبر حجة في أغاني بلاده ، وناظم خيرها أيضاً .

وقد بلغ روبرت هذا المبلغ وإن كان لم يتعلم في المدرسة إلا بضعة أشهر ، وعلى الرغم من مصاعب تتعاظم المجتاز . وكان أكبر أخوة سبعة في أسرة ريفية بلغ من سوء حالها وفاقتها أن ظلت سنوات لاترى اللحم على مائدتها ، فقد كانت أرضها جرداء كنوداً ، والأب شيخاً هرماً سقيما . ولما بلغ روبرت الخامسة عشرة كان رئيس العاملين في الحقل وكان قوياً شديداً مزهواً باستقامة خطوط أخاديده ، غير أن العمل المجهد أتعب قلبه ، وكان إذا اعترته نوبات دوار يثب في حوض فيه ماء بارد موضوع إلى جانب سريره لهذا الغرض ، على سبيل الاحتياط . وكان الموت قد اختاره للحصاد المبكر .

وكانت نزعته إلى الاستقلال تعوقه أيضاً ، فلما بلغ الخامسة والعشرين وشرع ينظم قصائد جليلة كان لايزال يفلح الأرض من شروق الشمس إلى غروبها ، ويعيش على نصيبه من دخل الأسرة ــ ٣٥ ريالاً في العام.

على أنه ينبغى أن لا يستخاص من ذلك أن روبرت برنز كان « فلاحاً غير مثقف » فما من أحد يستطيع أن يبلغ مرتبة العظمة فى الأدب بغير كد عقلى ، والمعجزة هى أن برنز قام بهذا الجهد ، فكان بعد الكدح فى نهاره يقرأ كالنهم كتب التاريخ والفلسفة واللاهوت ، وكل ما تصل إليه يده من الأدب ، وعلم نفسه الترقيم الموسيقى واللغة الفرنسية ، ويقول فى رسالة من رسائله بقيت : « عالجت أن أفهم مبادىء الهندسة لإقليدس إلى جانب موقد أبى فى ليالى الشتاء فى أول موسم أمسكت فيه المحراث » .

« والكبرياء والعاطفة » هما الخلتان النفسانيتان اللتان أتعبتاه ، ولو أنه كان فى بلد أكثر ديمقراطية من أسكتلندة فى القرن الثامن عشر ، لما كان الأمر مشكلا ، فما كان حظه منهما يجاوز ما يستطيع الرجل أن يحيي به فى جماعة ديمقراطية . ثم إنه كان يعرف حق الكبرياء ومداها ، ومن قوله فى ذلك : « ينبغى أولا أن نعين مستوى أخلاقنا ، ومتى عرفنا بعد الفحص التام أين نقف ، وماقدرها ، فإن علينا أن نكافح فى سبيل ذلك على اعتبار أنه ملك لنا » .

ولكن العاطفة كانت خليقة أن تتعب برنز فى حينما يكون من الأرض ، فقد كان مفطوراً على الحب كما كان مفطوراً على الشعر — وكانت فيه رقة قلب وغزل مرح لا تستطيع الفتيات أن يقاومنهما ، وكان يؤمن بالحب إيمان المجاهد . وقد أسس فى صباه جمعية للمناظرة يقضى قانونها بأن « على كل رجل صالح للعضوية أن تكون له معشوقة أو أكثر » ، وقد توخى النزول على هذا الحكم طول حياته ، ذاهباً إلى أن « تجارب حياة العزوبة والزواج تثبت أن الحب هو أول مسرات الحياة » .

وإذا أغضينا عن قصيدة حب صبيانى أو قصيدتين ، فإن سيرته كشاعر تبدأ بروح المرح والفكاهة ، فكان ينظم المقطوعات الفكاهية الحافلة مع ذلك بعاطفة الحب ، فى حيوانات الحقل ، أو قصائد السخرية :

« بعضهم ينظم الشعر ليهجو به جاراً ،
« وبعضهم ينظمه (ياللعبث) من أجل المال المنشود .
« أما أنا فأنظم للتسلى » .

وكان ينشد هذا التسلى وهو يزرع الشعير فى الحقل ، أو يحلب الأبقار . وذاع شعره بين من يعرفون كيف يضحكون ويبتسمون ، ولكنه بلغ السابعة والعشرين قبل أن يجمعه فى ديوان ، وكانت الطبعة محلية فلم يطبع سوى ٦١٢ نسخة ، وقد سددت تكاليف الطبع من ٣٠٠ اشتراك بيعت فى البلاد المجاورة ، وكان بعض القصائد

تقليداً لمأثور الشعر الإنجليزى ، ولكن خيرها كانت من الذهب الإبريز الصافى ، وكانت منظومة باللهجة الأسكتلندية .

كان برنز ينظم للتسلى ، ولكنه كان له تأثير أخلاقى وسياسى لم يكن إلا للقليلين من أبناء عصره ، فقد كان برنز معلماً لأسكتلندة كما كان هومر معلماً لليونان ، وكان شاعر الديمقراطية بمعنى لا تجده فى أى شاعر سواه ، لأنه لم يكتب عن الشعب ، وللشعب فحسب ، بل كان الشعب يقرأه أيضاً .

وكان برنز يكره الطغاة والمنافقين والمتعصبين ، ويسخر منهم ويركبهم بالضحك والعبث ، أما حيال كل شىء آخر فيه حياة ، فكان يفيض رقة تأبى إلا أن تتبدّى . وهذا الجمع بين النقائض هو الذى يجعله يقف مستفرداً قوياً بين الشعراء والناس .

ولعل المغفرة هى من بين الفضائل التى لقنها مواطنيه ، وبث روحها بقوة . وكان مختبئاً حين ظهر كتابه تفادياً لأمر بالقبض عليه استصدره فى ثورة الغضب جيمس أرمر والد جين الجميلة التى رزق منها برنز بأربعة أطفال قبل أن يتزوجها ، وبطفلين آخرين من غيرها . وقد اعترف بأبوّته لهم جميعاً فى جرأة وصراحة ، وأحبهم حب عبادة ، فقد كانت غريزة الأبوة فى نفسه قوية كحبه ، وأكثر ثباتاً .

وكان برنز يعيش فى عصر لا تعد فيه هذه الأعمال شنيعة منكرة ولكنها جاءت فوق سخريته بالكنيسة ، فصارت حياته فى المنطقة لا تطاق ، ولج به الشعور بأنه كالمنبوذ فوقع اتفاقاً بأن يكون رئيس عمال فى حقل فى جامايكا . ولكن الشهرة حالت دون رحيله ، فقد بيع كل ما طبع من ديوانه فى ثلاثة شهور ، وكانت رحلته لجمع الاشتراكات كأنها رحلة فاتح فى موكب نصره .

فعدل برنز عن السفر إلى جامايكا ، وقصد بدلاً من ذلك إلى إدنبرة مجتازاً الجبال ليصدر طبعة قومية ، وما هو إلا أسبوع حتى صار العلم الفرد فى العاصمة ، واحتفى به الناشرون والعلماء والتجار والأشراف والشريفات ودّلّلوه . وما يعرف التاريخ قروياً مرت به مثل هذه التجربة التى تدير الرأس ، وإنها لمن مفاخر الشاعر الخالدة أنها لم تَدُرْ برأسه .

وبيعت الطبعة الجديدة من الديوان سلفاً بالاشتراكات ، وقدمت النسخة إلى المطبعة بعد أربعة شهور ، وكان ذلك فى عام ١٧٨٦ ، وكان الأمريكيون قد انتصروا فى حروبهم الثورية ، ولم يكن قد بقى على قيام الثورة الفرنسية سوى ثلاثة أعوام ، وكانت ثم هوة تشطر العالم شطرين : النفوذ والجاه فى جانب ، وحقوق الإنسان فى جانب آخر .

وبدلاً من أن يخفف برنز من روحه الثورية فى طبعة إدنبرة ، ضم إلى الديوان أصرح قصائده فى حب أدنى طبقات الشعب ، وهذا يريك معدن كبريائه .

وكانت شهرته تسمو إلى الأوج وتطبق الخافقين ، فنشر الديوان فى لندن كما نشر فى إدنبرة . وفى خلال عام ظهرت طبعة مختلسة فى دبلين وبلفاست فى إرلندة ، وبعد عام آخر ظهرت طبعة فى فلادلفيا القصية ، ثم طبعة غيرها فى العام التالى بنيويورك .

وفى خلال ذلك قرر برنز أمراً فذاً فى تاريخ الأدب ، فقد أبى أن يقصر حياته على الأدب ، وأخذ الثروة الصغيرة التى جاءته ثمناً لديوانه وهى ٢٧٠٠ ريال، ووهب نصفها لأخيه جلبرت لينفق منه على حقل الأسرة ، واستأجر بالباقى حقلاً خاصاً به، وتزوج جين وبنى لها وللأولاد بيتاً . وكان قد قال فى مقدمة الطبعة التى صدرت بإدنبرة ، بلهجة المباهاة : « لقد نشأت إلى جانب المحراث ، وإنى لمستقل » فأراد أن يكون مطمئناً على استقلاله إذا أكدى الحقل، فدرس وجاز امتحاناً لوظيفة جابى الضرائب . وأبى أن يخلط بواعث طلب المال ببواعث الفن. ولقد نظم الشعر فى بداية الأمر للتسلى ، فآلى أن يظل يترضه للتسلى إلى النهاية مهما يكن الثمن.

ورفض وظيفة ذات مرتب ثابت فى جريدة بلندن . وقدم إلى الناشر بإدنبرة خمسين صفحة من قصائده ، فى جملتها آيته « تام أوشانتر » لضمها إلى طبعة ثانية ، وكل ماطلبــه فى مقابل ذلك هو عشرون نسخة لإهدائها « إلى بعض عظماء قليلين احترمهم وجماعة من العامّة أحبهم » . ولما اتفق مع الناشر على طبع كتابه الآخر العظيم الذى جمع فيه الأغانى الشعبية الأسكتلندية ورتبها وكتب طائفــة كبيرة منها ، أبى فى غضب ماعرضه عليه الناشر من الأجر .

وفى العامين الأولين اللذين قضاهما فى هذا المجهود الأدبى — وقد نظم فى خلالهما طائفة من أبدع قصــائده — كان يتعهد حقلاً مســاحته ١١٨ فداناً ، ويقطع مئتى ميل كل أسبوع على ظهر جواد ليقوم بعمل مفتش جمرك ، ثم انتقل إلى بلدة دمفريز ، وعاش خمس سنوات أخرى ، وارتقى فى الوظيفــــة ، ومازال عاكفاً على الأغانى الأسكتلندية فى سرور ، ومعنياً بتربية أولاده وتعهدهم . وليس فى التاريخ نظير لهــذا الكدح فى حياة شاعر غنائى .

ومع ذلك اتهم بعــد موته بأنه سكير كسول ، وظلت خمسة أجيال تتلقى هذه المفتريات الفاضحة عنه ، والسبب هو أنه فى زمن الثورة ناضل فى سبيل العقل والرحمة

فى الدين، وفى سبيل حقوق الإنسان . وكان سلاحه سهام السخرية ، فما كاد الموت يعقل لسانه حتى ظهر المتعصبون والمحافظون ليأخذوا بالثأر ، وأرادوا تخفيف العبء ، فعهدوا بأوراقه وترجمته إلى الدكتور كرى الذى كان عدواً عنيفاً للخمر ، وكان برنز يطيب له أن يستمتع بالشراب استمتاعاً خليقاً أن يهدم رجلاً لا يكون عقله مسيطراً على بدنه، ولكنه كان فى حياته معتدلا رشيداً فى العادة، كما يقول صديق حميم له. وقد مات بمرض القلب الذى نغص عليه كل حياته ، غير أن كل ما نزل به من الكرب — ومن بينها مرض القلب — يعزوه الدكتور كرى الفاضل إلى شيطان الخمر . وإنك لتجد اليوم فى دمفريز رجالا يدلونك على المكان الذى وقع فيه برنز ثملاً على الثلج ، فضربه البرد حتى مات . وليس فى هذه القصة حرف واحد من الصدق ، فقد ظل طول عمره القصير – فقدمات فى السابعة والثلاثين – يكدح كدحاً عظيماً وكان نوره ساطعاً وهاجاً.

وكان « نوراً رحيماً » إذا كان ثم نور كهذا . وقد قامت فتاة رقيقة اسمها جسى ليوارز على خدمته فى مرضه الأخير ، وكانت تعزف له ألحاناً أسكتلندية قديمة على البيان ، فكان هذا يقع فى نفسه أعمق وقع ، فأعرب عن شعوره بمقطوعة نظمها على توقيع اللحن ، فصارت من أعظم الأغانى الشعبية التى أثرت عنه .

أسرار الجمال

يرى كاتب اسبانى أن أسرار جمال المرأة تتلخص فيما يلى :

بياض فى ثلاثة : الجلد ، الأسنان ، اليدين .
سواد فى ثلاثة : العينين ، أهداب الجفون ، الحاجبين .
حمرة فى ثلاثة : الشفتين ، الخدين ، الأظافر .
طول فى ثلاثة : القامة ، الشعر ، اليدين .
قصر فى ثلاثة : الأذنين ، الأسنان ، الساقين .
سعة فى ثلاثة : الصدر ، الجبين ، ما بين العينين .
امتلاء فى ثلاثة : الشفتين ، الذراعين ، عضلتى الساقين .
صغر فى ثلاثة : الخصر ، اليدين ، القدمين .
رقة فى ثلاثة : الأصابع ، الشعر ، الكفل .

[مجلة « جولدن بوك »]

كيف يعيننا العلماء على إصلاح الأخطاء فى العادات
التى ألفناها ودرجنا عليها فى معيشتنا

صحة دائمة وعمر طويل

بروس بليفن

مختصرة من مجلة «ذى نيو ريببلك»

أهم أهداف العلم فى الوقت الحاضر من حيث تأثيره المباشر فى حياة البشر ، إصلاح أخطاء المعيشة التى يسوقهم إليها الجهل فيسيئون بها إلى أنفسهم أعظم إساءة . وقد تكشف للعلم من أسرار الجسم البشرى فى الأعوام الأخيرة ، أكثر مما تكشف له فى كل تاريخ البشرية الطويل.

الجسم جهاز عجيب صنع ليحيى حياة طويلة مثمرة ، ولكنها حياة يجب أن تقضى فى ظروف تخالف الظروف التى يعيش فيها ساكن المدن الآمن . فقد شاءت الطبيعة للبشر أن يقضوا معظم حياتهم فى الهواء الطلق ، وأن يأكلوا أكثر طعامهم طريا ، وأن يعرضوا أجسادهم لأشعة الشمس وقتاً طويلا ، وأن يعيشوا ليومهم الحاضر بمنجاة من ضغط العجلة والقلق على المستقبل . وما خطر لها على بال أن تؤدى قيود المدنية وتقاليدها إلى خنق عواطفهم ، وكتمان أقوى ما يهجس فى نفوسهم من مشاعر .

لكن أكثرنا بدلا من أن يحيى هذه الحياة التى أرادتها له الطبيعة ، يقضى ٢٣ ساعة من ساعات كل يوم بين أربعة جدران ، فإذا خرج منها أحاط ٨٠ فى المئة من أديم جسمه بثياب تحجب الأشعة فوق البنفسجية النافعة ، ولم يقم بأكثر من ٥ أو ١٠ فى المئة من الرياضة التى كان ينبغى له أن يؤديها

نحن نأكل أطعمة تنقصها العناصر اللازمة للصحة والنشاط ، فدقيق القمح الكامل الذى يحتوى على أجنة الحبوب ، لا يعيش طويلا (ولا تطيب رائحته فى الأنف كذلك) ومن أجل ذلك أهملناه ، ولجأنا إلى الدقيق الأبيض الذى نزع منه بعض الفيتامينات والأملاح المعدنية الهامة . أما الأرز وأنفع ما فيه غلافه الأسمر الشفاف الذى يحيط بالحبة ، فقد فضلنا منه النوع المصقول الذى أزيل منه هذا الغلاف . وكثير من أطعمتنا الأخرى تعالج بأساليب تتلف خير ما فيها .

ونحن نكثر من بعض الأطعمة ونقلل من بعضها الآخر . وكثيراً ما نسمع عن مقادير

الطعام المكدسة هنا أو هناك ، ومع ذلك فأحسن الأم غـذاء لن تبلغ من الصحة ما ينبغى أن تبلغه حتى تستهلك أكثر مما تستهلكه من جميع أنواع الطعام . فعلى الناس أن يزيدوا نصيبهم من الخضر والفاكهة ٦٠ فى المئة ، ومن الزبد واللبن والبيض ٥٠ فى المئة ، ومن اللحم ١٠ فى المئة، وأن يكون ما يأخذونه منها فى صور تضمن بقاء الفيتامينات النافعة .

إن الأطعمة التى يعدّها أكثر الناس فى إنجلترا وفى الولايات المتحـدة كاملة ، ينقصها فى الواقع بعض عناصر التغـذية . ولكى تصلح الحكومة الإنجليزية هـذا العيب ، أمرت بإضافة الجير والفيتامين ب ا إلى كل أنواع الدقيق الأبيض. وعلى ما لهذا القرار من خطر تاريخى،فإنه لم يكد يحظى من الصحافة بذكر ، ولا بإشارة عابرة .

إن كلبك يقضم العظمة فيستخرج منها قليلا من الجير الذى يلزمه ، وكذلك يفعل الطفل بالسليقة . وقد كانت الهـدية التى اعتاد الصينيون أن يهدوها إلى الأم النفساء منذ مئات السنين ، كُراع الخنازير المخللة . وما فى قدرة معمل من معامل الأبحاث الحديثة أن يعد مثل هـذه الأم بأنفع من هذه الهـدية ، لأن الخل الذى تعالج به الكراع يذيب بعض ما فى عظامهـا من الجير ، وكذلك تعوض الأم ما سلبها الجنين من الجير طول أيام الحمل .

والمتوحشون فى غابات إفريقية يأكلون أوراق الأعشاب والأشجار ، فإذا وجدوا هذه الأوراق غليظة غير سائغـة حرقوها أحيـانا وأكلوا الرماد ، وكأنهم يدركون بالفطرة أن العنصر الذى ينفعهم (الجير) يبقى فى الرماد بعد الحريق . ولقـد عرفنا حديثاً أن الحشائش غنية بالفيتامينات ، ولعلها أغنى كثيراً من الخضر الخضراء .

يقول أحد ثقات التغذية : « إن القاعدة البسيطة للطعام الوافى هى أن تنفق نصف ثمن طعامك على اللبن والفاكهة والخضر ، وان تستوثق من أن نصف ما تستهلكه من الخبز والحبوب كامل لم ينزع منه شىء» .

ويعتقد كثير من علماء التغذية أن الصحة كانت خليقة أن تعم ، وأن الحيـاة كانت خليقة أن تطول إلى حد كبير ، لو أكلنا مقادير ملائمة من الأشـياء التى شاءت لنا الطبيعة أن نأكلها ، ثم اتبعنا المنهاج الذى قدّرته لنا فى الحياة. إن عمر الحيوانات يبلغ تسعة أضعاف الزمن الذى تستغرقه الطفولة، وعلى هـذا المعدل كان يجب أن يعمّر الإنسان من ١٠٠ سنة إلى ١٢٥ سنة .

نحن نعلم اليوم أن ضوء الشمس الذى يقع رأساً على الجـلد يعين الجسم على صنع

فيتامين « د » الذى لا غنى عنه ، وأن هذا الضوء كذلك يبيد المكروبات . وعندما اتضح أن زجاج النوافذ المألوف يحجب الأشعة فوق البنفسجية ، وهى أهم العناصر الشافية فى ضوء الشمس ، عمدت مصانع الزجاج إلى صنع نوع منه لا يمنع هـذه الأشعة . وقد كان هذا النوع فى البداية باهظ الثمن ، ولكنها وفقت إلى عمل نوع رخيص منـه يستعمل اليوم فى كثير من الدور . وقد وفق العلمـاء كذلك إلى صنع مصابيح « شمسية » تمد بالأشعة فوق البنفسجية أولئك الذين لا يستطيعون الحصـول على الأشعة الأصيلة فى ضوء الشمس .

أترى البشر يرزحون تحت أعباء الحياة الحديثة فى المـدن فتضعف قوة أبدانهم ؟ يقول العلماء : « كلا » فإن عشرة أجيال من البشر قد يعيشون فى الظلام فى أكواخ محرومة من الهواء النقى غير مكفولى الحاجة من الطعام واللباس ، ومع ذلك ترى الطفل فى الجيل الحادى عشر يصبح مثـلا كاملا للرجولة السليمة ، إذا حظى بالرعاية الوافية منذ مولده .

إن أكثر العلماء يذهبون إلى أن حياة التوتر التى نحياها لم تؤذنا، وإنما الذى آذانا هو الضرر الذى نلحقه بأنفسنا من سوء التغذية وسوء العـادات . وهم يرون أن الجهـاز العصبى قادر على أن يحمل من الأعباء أكثر مما نتصور ، ويذكروننا بما تنبأ به الأطباء منـذ قرن من فادح الأذى الذى يصيب أولئك الذين يسـافرون بالقطار البخارى إذا قطع أكثر من ٣٠ ميـلا فى السـاعة ! ولعل أولئك الذين يعيشون بعد خمسين عاما من اليوم ينظرون إلى ذلك الترف الذى نستمتع به فى هـذا الزمن ، نظرتنا نحن إلى الأيام التى لم يكن فيها تلفون ولا سيارة ولا مذياع ولا طائرة .

نعم إن عـدد المرضى فى مستشفيـات الأمراض العقلية اليوم أكبر مما كان، ولكن لعل مرد ذلك إلى أننا أصبحنا اليوم أقدر على تشخيص الجنون ، وأن الناس أصبحوا أشد ميلا إلى انتجاع المستشفيات ، فإذا كان ثمة زيادة فى معدل الإصابة بالجنـون فإن وسائل العـلاج الحديث كفيلة بأن تجعل الحالة اليوم أحسن مما كانت فى زمن مضى.

وثمة فصل علمى رائع عن البحث الذى يتولاه الباحثون الآن لتحديد العلاقة بين أمراض العقل وأمراض البدن ، فقد أخذ العلم الطبى يعزف عن فصل أمراض العقل عن أمراض البـدن ، فإن العقل والجسم كلاهما يؤثر فى الآخر دون ريب بطرق أعقد وأختل مما كان يدور فى خلد الأطباء منـذ بضع عشرات من السنين . فبعض

الشاعر العاطفية مثلا ، كالخوف والغضب ، تحدث فى أجسامنا تغيرات ملحوظة ، فتزيد إفراز بعض الغدد وتمنح عضلاتنا مدداً جديداً من القوة يعيننا على الصراع أو الفرار ، بيد أن الرجل فى العصر الحديث يعانى كثيراً من هذه المشاعر دون حاجة إلى الصراع أو الفرار . وقد أخذ العلم يدرك الآن أن هذا الإفراز الزائد الذى لا يستغل ، يؤدى إلى إيذاء الجسم من عدة وجوه .

ويختلف العلماء فيما للحرب من أثر فى أبدان الناس ، ولكنهم متفقون على أن الحروب (غير الذرية) التى كانت خليقة أن تؤدى إلى انحلال الجنس البشرى ، لم تفعل شيئاً من ذلك على ما يلوح ، فإن الإنسان اليوم يكاد يكون مثله منذ عدة آلاف من السنين .

وقد استطاع العلم الطبى الحديث خلال القرن الماضى أن يعدل قانون « بقاء الأصلح » فيجعله قانوناً « لبقاء الكل » دون تمييز ، ولقد نكون بذلك قد خلقنا لأنفسنا مشكلة جديدة . والعلماء الذين حادثتهم لا يؤيدون الاتجاه إلى تعقيم الأنواع الدنيا من البشر . وهم يشيرون إلى صعوبة فرض مستوى معين من السمو على البشر بالقوة . وفوق ذلك ، من يدرى أن الصفات التى كانت تمهد لبقاء البشر فى بداية عهدهم وهى القوة البدنية والشجاعة والخلق ، سوف تظل كذلك بعد مئة عام ؟ وما جدوى القوة البدنية فى حضارة يتألف معظمها من ضغط على الأزرار أو تحريك للروافع ؟ أو أن الأثرة والجرأة البالغتين وهما من خير الصفات المدنية التى نعيش فيها الآن ، قد تصبحان بلا جدوى فى المستقبل ؟

يؤمن العلماء الآن بإمكان دفع مساوىء الجهل التى آذى بها البشر أنفسهم ، وهم يعتقدون أننا قادرون على تعلم أنفسنا فى وقت قصير — قد لا يزيد على جيل واحد — كيف نأكل ونلبس ونتنزه فى الهواء الطلق ، ونحصل على نصيب كاف من أشعة الشمس . فقد فتح العلم اليوم آفاقاً جديدة للحياة لم يعرفها البشر من قبل.

حقيقة الظواهر

إذا كان الأفاق غنيًّا سُمِّى سائحاً . [بول ريمار]

إذا اجتمع الأغنياء للعناية بشئون الفقراء سمى ذلك إحساناً ، أما إذا اجتمع الفقراء للاهتمام بشئون الأغنياء فإنه يُسمى فوضوية . [بول ريشار]

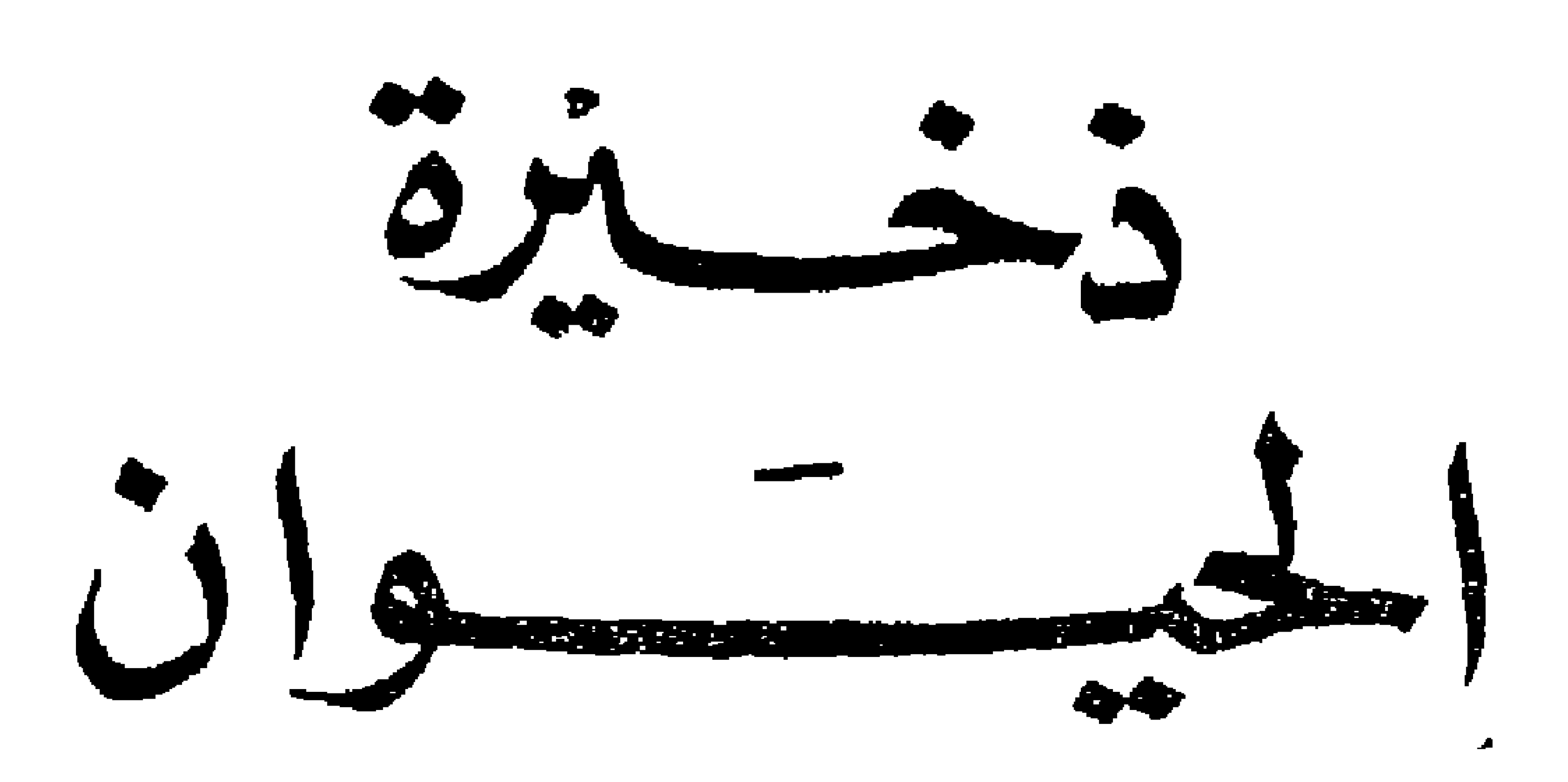
حيلة المرأة

كانت جين أدمز من أشهر الأمريكيات اللواتى دأبن على فعل الخير والدعوة إلى السلام . وقد اتفق لها مرتين فى حياتها الطويلة أن استيقظت فى جوف الليل فرأت لصًّا فى حجرتها . أما فى المرة الأولى فكان ابن أخيها الطفل نائماً فى الحجرة المجاورة ، فكان كلّ همّها أن لاتزعجه من نومه ، فالتفتت إلى اللص وقالت : « حذار من أن تحدث ضجة » ، فدهش اللصُّ مما سمع وعدا ليثب من النافذة التى دخل منها فقالت له : « إنك خليق أن تؤذى نفسك إذا فعلت ، فانزل على السلم وأخرج من باب البيت » ، ففعل .

أما فى المرة الثانية فوجهت الخطاب إلى اللص حتى استراح إلى كلامها ، فتبينت أنه ليس باللصّ المحترف ، وأنه رجل معطل عن العمل ، فطلبت منه أن يرجع من حيث أتى ، وأن يعود إليها فى الساعة التاسعة صباحاً ، فتحاول أن تدبِّر له عملاً . فعاد ، وقد وجدت له عملاً شريفاً يعمله .   [جيمس ديرين]

كتبت إلينور ولسن مكادو ، كريمة الرئيس ولسن وزوجة وزير ماليته مايلى: « سمعت مرة فى مأدبة عشاء رجلا يقول لآخر : أترى تلك المرأة ؟ إنها جميلة حقاً ، ولكنك لن تجد أحداً من الناس يدرك ذلك ، فإنها تدخل الحجرة هادئة وديعة كأنها حمَل ، فلايفطن الناس فيها إلاماتفطنه هى فى نفسها ».

وقد علقت هذه الكلمة بخاطرى حتى عزمت على أن أمتحن صدقها . وكنت أدرك أننى لست بالسيدة الجميلة ، ولكننى قدّرت أنه فى وسعى أن أدخل حجرة مزدحمة بالناس وأنا شامخة الرأس ، زاعمة لنفسى أن فتنتى لا تُقاوم ، فليس فى ذلك جناية على أحد ، ولكن هذا التظاهر خليق أن يجنبنى إدراك الناس للخوف الذى يكاد يشلُّنى . ففعلت ونجحت التجربة ، وسرعان مازال عنى الحياء الذى لم يزل يغلب علىّ ، وظللت على ذلك طوال حياتى . واتفق ذات مرة أن قال لى أحد الرجال : « إنك شديدة الإعجاب بنفسك ، ألست كذلك ؟ » فاغتبطت بما سمعت — فقد وفقتُ إلى ما أردتُ » .   [كتاب « أسرة ودرو ولسن »]



إيفان ت . ساندرسن
عضو جمعية علم الحيوان ، والجمعية الجغرافية البريطانية

ايفان ساندرسن عالم اسكتلندى شاب من علماء التاريخ الطبيعى، تخرج من جامعة كمبردج ورحل الى مستعمرة الكميرون البريطانية فى غرب افريقيـــة ، على رأس بعثة لدراسة الحيوان وجمع نماذجــه ، فاستعان فى دراسته بعين الفنان اللطيفة الاحساس ، وحماسة العالم المتبحر . والحياة فى الأدغال تفجأ الانسان المتحضر بمشاهدها الغريبة، فهناك ترى « ساندرسن » وصاحبيه « جورج » و « سيتون » (الدوق) عرضة للمفاجآت حيثما التفتوا وأينما ساروا . وكتابه رواية زاخرة بالمغامرات النادرة وبالرسوم البديعة التى رسمها بيديه ، وقد قالت فيه الكاتبة الناقدة دوروثى كانفيلد فيشر : «قلما تجد بساطا سحريا ينقلنا كما ينقلنا هذا الكتاب ، مبعدا بنا عن مألوف حياتنـا الرتيبة . ومؤلفه الشاب خير صاحب تتخذه أيا كان صحبك الآخرون» .

زخيرة الحيوان

« مِنْك » باللحم ياسيدى » ، و « اللحم » فى الرطانة الإنجليزية الشائعة فى غرب إفريقية تعنى « الحيوان » .

وقد لازمتنى هذه العبارة آناء الليل وأطراف النهار طوال إقامتى فى تلك البلاد، وقد كان أحد أبنائها يطلع علىَّ بها وأنا مُكِبٌّ على قياس رجل الجرذان ، أو بطون الضفادع،أو أى عمل من الأعمال الكثيرة التى لا بد منها لبعثة غرضها جمع نماذج من مختلف الحيوان ، ولكنها عبارة كانت دائماً باعثاً على ضرب من النشوة جديد فى خيمتنا .

فلما سمعتها اليوم قلت : « وأىُّ حيوان هو اليوم ؟ »

والتفتُّ فرأيت أمامى رجلاً مبتسماً من أهل البلاد يعبث بالإزار الذى يستر عورته، وإذا به يصيح ، ثم يرفع يده ويأخذ فى مصِّ إصبعه . ففى ثنايا الإزار كتلتان صغيرتان سوداوان من الفراء الأسود اللامع طول كل منهما بوصتان أو نحوهما . فلما وضعهما على شرفة الكوخ ، وثبا لساعتهما على قوائمهما الخلفية كأنهما مصارعان ، وجعلا يصيحان بأصوات رفيعة عالية لاتكاد تسمع لارتفاعها ، ثم جعلا يتصارعان .

وعلى أن زَباب*غرب إفريقية يُعَدُّ من أخس الحيوانات طباعاً وأشدها تهيجاً وتمرُّداً ، فقد رحبنا بإضافة هاتين الزَّبابتين إلى مجموعتنا ، وقد اشترينا هذين المخلوقين الضئيلين اللذين لايكفان عن الصياح،كل واحد بنصف قرش ، ووضعناهما فى قفص صغير ، وزودناهما بقطع من اللحم أوشك أن يدب الفساد فيها ، فظلا يتعاركان ويتصايحان بقية النهار وسواد الليل . فلما أصبح الصباح نظرنا فألفينا اللحم الذى وضعناه فى القفص قد اختفى مع أنه يزيد على حجم الحيوانين جميعاً ، ثم تبينا أن أحد الحيوانين وحسب لم يزل حيًّا . أما الآخر فكان مطروحاً فى زاوية من القفص ، وقد بقرت بطنه فقد أكل صاحبه أحشاءه، ومعظم رأسه أيضاً .

وهذه الحيوانات تهجم على كل حىٍّ ، ولاتستثنى الإنسان أو هِررة الغاب الضخمة. فلكل منها فكان صغيران مزودان بصفوف متراصَّة من أسنان مشحوذة كالإبر ، وهى

* الزباب واحدته زبابة حيوان من آكلات الحشرات شبيه بالفأر فى الظاهر ولكنه ليس من رتبته ولا فصيلته .

رائحة كريهة توقيها من هجوم الطيـــور والحيوانات اللبونة عليها. وأذكر أنى لمست مرة فى المتحف البريطانى ، زجاجة حفظت فيها طائفة من هذه الحيوانات فى كحول منذ ثلاث سنوات ، فلم أجد بدًّا من أن أغسل يدىّ مرتين حتى لا تغلبنى رائحتها الكريهة فأقىء . ومع ذلك ترى أهل هذه البلاد يسلقون هذه الحيوانات فى زيت النخيل وبعض الأوراق، فيصنعون رائحة من أطيب الروائح التى شممتها فى حياتى وأبقاها ، وهى تشبه رائحة خشب الصندل أو ليمون يوسف أفندى .

صعاليك الغـابة

وكان هناك طريق قديم على مقربة من أحد مخيماتنا الأولى فى الغابات ،وكان مغطى بالعشب حتى يكاد يشبه أى ثغرة أخرى بين الشجر ، ولكنه كان ينفعنا فى التجول فى الغابة الكثيفة ، وكنت أجوبها ذات مساء فاستوقفنى صوت مفاجىء خيل إلى أنه صادر عن ثورة فى معدتى على الخليط الذى حشوتها به فى الغـذاء ، فوقفت مرتبكا وبى حياء طبعتنا عليه آداب الحضارة . وتكرر الصوت عدة مرات . وقد تعشيت من قبل مع أسرة صينية نابهة، وتعشيت أيضاً مع رهبان صومعة فى جزيرة بالى فى الهند الشرقية ، وقد رأيت القوم يظهرون رضاهم عن الطعام والتـلذذهم العظيم به بالتجشؤ على هذا النحو ، ولكن الأصوات التى كانت تخرج الآن حولى فاقت أقصى ما يتناهى إليه الخيال فى الشرق الأقصى .

وشعرت برغبة قوية فى رؤية محدثى هذا الصوت العجيب ، ولكن كلما تحركت لأنظر تحت الأعشاب ، كان الصوت ينقطع فجأة .

وأردت أن أستدرج هذه الخلائق الخفية واستدنيها فلجأت إلى الحيلة ، وقعدت على جانب الطريق ، واشــتركت فى إخراج الصوت ، بضعف فى البـداية ، ثم بقوة مطردة الزيادة . ففاقت النتيجة ما كنت أرجو ، وما كنت أخشى أيضاً ، فقد دنت الأصوات منى دنواً شديداً .

وإذا بى أرى حيواناً مخيفاً قد قعد أمامى وبدا لى كأن شملة غبراء قد لفت عليه ، وكان يفحصنى بعينين نظرتهما ثقيلة . فكففنا أنا وهو (أوهى) عما كنا نخرجه من الأصوات، وندت عنا كلينا فى وقت واحد صيحة «أوه» حتى لقد شعرت برغبة قوية فى الضحك ، ولم يكن يخطر لى فى بال أن القردة ، وإن كانت من فصيلة البابون تخرج فى جماعات كبيرة لتتبارى فى إخراج هـذه الأصوات من حلوقها .

وكنت قد رأيت قردة البابون من قبل، ومع أنى كنت أود لو عدت إلى المخيم ومعى

هذا النموذج الطريف القاعد أمامى، إلا أنى تذكرت أن الرأى أفضل من الشجاعة حيال هذا الحيوان ، لهـذا نهضت لأنصرف ، متـّقيا العجلة كأنى فى حفلة شاى طبعها الوقار بطابعه ، فوقفت السيدة (أو السيد) مثلى ، ولكنها وقفت على أرجلها الأربع بحيث بدت مؤخرتها لى ، وكانت وردية زاهية فى هذا الوقت من السنة .

وكان لهذا الحادث آثار عجيبة ، فانفرجت الشجيرات فى كل ناحية ، وتبدى لى منظر مدهش من هذه الخلائق التى هى دون الإنسان مرتبة ، وكان بينها ذكر لا شك فى ذكورته مخيف الجرم ، ومعها صغار فطس الوجوه شاحبتها . وكان فى حركاتها تمهل كأنما تتخذ أمكنتها استعداداً لمباراة فى الملاكمة ، ومضى القرد الضخم الذى كان كأنه الرائد ، إلى الطريق ورائى وقطع علىّ خط الرجعة .

ولا أظن أنك رجلٌ أحدقت به قط طائفة من قردة البابون المتربصة ، ولكن إذا كان قد وقع لك ذلك ، فإنك ستوافقنى على الأرجح ، على أن من العسير جداً أن تهتدى إلى حيلة أو أن تفكر تفكيراً هادئاً ، ثم إن أى جماعة فى هذه الدائرة يكون ظهرى إليها ، تظن أن الفرصة قد لاحت لها لكى تتقدم قليلا ، وقد بدأت الحلقة تضيق بسرعة ، وأتذكر أنى حدثت نفسى حديث المتجلد المؤمّل ، أن هذه القردة تأكل النبات ، وأنى لست نباتاً ، وإن كنت أحسب أنى قد أبدو كذلك فى عيونها ، وتثاءب السيد الضخم فلحت أنيابه وطولها ثلاث بوصات .

وكنت أعرف أن كل حيوان تقريباً — ولو كان ببراً — يتراجع إذا تظاهرت بأنك تقذف حجراً . فجربت ذلك ، ولكنى فى غمرة الموقف التقطت حجراً بالفعل على غير قصد ورميت به هذا الذكر الضخم المتثائب . وقد دهشنا جميعاً حين أصاب حجرى الهدف ، وغضب الهدف وحنق ، وبينما كنت أنحنى لأجمع قذائف أخرى راح هو يرقص ويردّ التحية بقوة ، ويجرف الأرض برجليه ، ويلتقط صخرة صغيرة وهو يفعل ذلك ، ويقذفها على بإحكام شديد .

وكان هذا بداية هرج ومرج شديدين ، فرحت أقذف بالحجارة فى كل ناحية ، ومع أن القرود التى تواجهنى كانت تتقهقر فى كل مرة ، إلا أن من كان منها على الجانب الآخر أخذ يزحف نحوى ، وكان السيد الضخم أكثرهم تقدماً ، وقد أصبح الآن متلهب الغضب ، يرمينى بالحجارة والحصى الكبير ويبصق على وهو يرقص ، ويعرض لى وجهه الدميم الذى يشبه وجه الكلب ، ومؤخرته التى لا تشبه مؤخرة الكلب فى شىء . ولم أجترىء على إطلاق النار مخافة أن أثير الجمع كله .

وفى إحدى فترات الهدوء ، أخرج واحد من أصغر القردة صيحة ضجر ورمانى بحفنة صغيرة من الطين ، وكان هذا العمل سخيفاً ، حتى أنى – وأنا فى هذه الحالة النفسية المضطربة – انطلقت أقهقه . ولا أدرى لماذا بدا لى الأمر مضحكا ، ولكن ضحكى كان عملا موفقاً جداً .

ذلك أن أم الصغير تناولته وفرّت ، وتبعتها أمهات كثيرات ومعها صغارها ، أما البقية وكانت نحو اثنى عشر من الذكور فشرعت تعدو هنا وههنا وهى فى دهشة ، فواصلت الضحك والصياح كأنى فى حفلة مباراة الكرة ، وسرعان ما صار ضحكى وكلامى خليطاً غير منسق ، من جرّاء ما صارت إليه أعصابى ، فأقبلت على الذكر الضخم وأنا أصيح به : « لقد أصابوا الهدف . إجرِ . إجرِ . إجرِ يا سخيف ! » وكنت فى الوقت نفسه أرقص الرومبا التى تقصم الظهر . فوقف القرد جامداً فى مكانه وعلى وجهه آيات الاستهجان ، ثم خانته أعصابه فانطلق يعدو .

وبادرت فعدت أدراجى إلى المخيم .

النمورة

الغابُ كثير الأسرار ، فالنمورة مثلا كثيرة جداً ، وكنا نبغى أن نبتاع نماذج منها ، ولكنا إذا استثنينا أننا لمحنا النمورة الحية مرة أو مرتين فقد ظللنا شهوراً عديدة لا نرى سوى أجزاء من أجسامها . وكانت هذه الأجزاء الكاذبة الوعد عبارة عن جلود وجماجم ينقصها الفك الأسفل ويدخرها شيوخ القرية ، فإن النمر يدخل فى كثير من الطقوس ، ولم نستطع أن نشترى جثة نمر إلا بعد أن دفعنا مبلغاً من المال إلى جمعية النمر وقمنا ببعض الطقوس التى لا بدّ منها للانضمام إلى هذه الجمعية .

وأدى اتفاقنا مع جمعية النمر إلى الحصول على نمر كبير ودمه لا يزال حاراً ، وتسلمه زميلى سيتون . ولما تلقاه سيتون (ونطلق عليه الدوق) كان النمر كاملا ، فسلخه بيديه ، وكان معه أوميزى سلاّخه ، وجمهور من المتفرجين . ولما تم السلخ كان شعر الوجه قد زال ، ولم يقص وإنما اقتلع من جذوره .

وبعد قليل وقع اضطراب بين خدامنا ، وقد اهتديت إلى السبب فيما بعد ، ذلك أن أوميزى اتهم بحيازة شاربى الفهد ، وظُنّ به أنه قد يسمّ زملاءه .

وبينما كنت أسوى هذا النزاع بين الأتباع ، وقفت على شىء كثير عن هذا الموضوع المختلف عليه — موضوع السم بواسطة الشوارب المقصوصة من الفهد والببر

والنمر . وقد رويت قصص هـذا السم فى بلاد عديدة ولكن لايبدو أن أحداً استطاع أن يثبتها أو ينازع فيها .

وبهذه المعرفة الجديدة التى أفدتها أعددت بعض شعرات من شوارب النمورة أخذتها من جلد نمر آخر على حسب القواعـد الموصوفة ، وقدمت هذه الشعرات مدسوسة فى الموز إلى شمبانزى ، فشعر على الفور بوجود شىء غير طيب ، ومجّ وتفل ما ذاق ، وداس بأرجله ما بقى من الموز ـــ بحدة ، وقدمت له شـيئاً آخر من الموز ليس فيه شعر مقصوص من الشوارب فالتهمه بنهم . وقد استطعت بعد ذلك أن أغرى قرداً بأكل شىء من الموز فيه الشعر، فلما مات بعد بضعة أسابيع شرحته بعناية .

ولم أعثر فى أول الأمر على شىء، وظننت أن الشعرات كلها مرت من الأمعاء ، على أنى قمت بفحص أدقّ فوجدت عدداً كبيراً من الالتهابات الشبيهة بالأكياس مدفونة دفناً عميقاً فى جدار المعدة ، ولما شققتها أذهلنى جداً أن أجد شعرة واحدة مقصوصة من شعرات الشارب (لااثنتين ولا أكثر) .

فهل شعر شاربى النمر سمٌّ إذا أُكل ؟ يظهر أن الأمر كذلك ، وقد مات القرد بالالتهاب الرئوى قبل أن يحدث الشعر أثره كله، ولكنى أعتقد أن الدرنات التى وجدتها فى جدار المعدة كان من شأنها أن تؤدى إلى التهاب وبيل فى الصِّفاق (البريتون) .

ويروى أن الذين قيل إنهم قتلوا بهذه الطريقة ، عانوا آلاماً مبرحة بعد قليل من التسمم ، ويقول الإفريقيون عن هؤلاء إن « النمر ينهش بطونهم » .

الغـابة الكبيرة

إن عالم الغابات الكبيرة مقسم إلى طبقات بعضها فوق بعض . فهناك أولا طبقة تحت الأرض تعيش فيها جماعة غريبة من الحيوان قل من يعرفها ، معظمها ضئيل الحجم ، وفيها تقضى حياتها كلها ، ويندر أن تخرج إلى النور أو حتى فى ظلام الليل . ثم تأتى بعد ذلك الطبقة التى نرى فيها الحيوانات المألوفة من كل حجم ونوع ، من الفيل إلى الفأر ـ وهذه هى أرض الغابة .

وفوق هـذه الطبقة ترتفع الحياة عن الأرض وتحلق فى الجو ، وتكون بين الأشجار الباسقة التى تغطى الرقعة كلها . وفى هذه « القارة الطائرة » قامت مدنية حيوانية ولم تزل باقية من قبل ظهور الإنسان فى العالم .

ويبدو هـذا البحر اللجى من النبات من فوق ، كأنه بساط لا آخر له من المخمل يتموج تموُّجاً رقيقاً فى كل اتجاه إلى آخر مدى البصر ، ولا يزال لونه يتغير مع دورة

الفصول ، فالمطر يكسبه لوناً أخضر باهتاً ، ويكسبه موسم الجفاف — وهو خريف المنطقة الاستوائية — حمرة مضطرمة ، وتسقط آلاف من الثمار الشهية الناضجة البهيجة الألوان — كباراً وصغاراً — فى الظلمة تحت الشجر . وأما المطرة الخفيفة ووقدة الشمس فتخرجان حفلا من الأزهار ، ما بين قرمزى وأزرق وأخضر وأصفر وبنفسجى وأسمر وأحمر . وقد بدا لى سطح الغابة أحياناً كأنه بساط موشى بألوان السنط الذهبى ، والحمرة القانية من شجر « لهب الغابة » . وهناك جمهور عظيم من الحيوانات الصغيرة يقضى حياته كلها مختبئاً فى هذه « القارة الطائرة » المستسرة ، ولا يهبط أبداً إلى الأرض ، وبعضه — بعض القرود والضفادع والجرذان — يهبط أحياناً طلباً للماء ، أما الوصول إلى الآخرين والوقوف على مظاهر حياتهم فيقتضيان الصعود إلى عالمهم الرفيع .

التسلق

وذات ليلة خرجت وحدى لأفحص شجرة قريبة ، ومعى مصباح كهربائى حرصت على أن أضيئه باستمرار ، فكان يستوقفنى هنا وههنا عينان ملتمعتان أو عين واحدة تومض ، وهذه العيون الصغيرة الجافية التى تبدو مفردة ، خداعة جداً ، فقد لا تكون إلا قطرات من الماء أو من عصارة نباتية تعكس الضوء ، أو عناكب أو حشرات . وهذه العيون الكبيرة المركبة فى هذه الخلائق الصغيرة ، تستطيع أن تعكس من الضوء ما تعكسه عين حيوان كبير ، وبعضها فوق ذلك نيّر وضّاء . ووقفت فى موضع وصعّدت نور المصباح ، فرأيت فوقى تقريباً حيواناً له أعجب منظر وألطفه ، وكان متدلياً من غصن ، وهو لا يختلف فى شىء عن دب صغير ، وكان مقلوباً فى تدليه ، ووجهه الصغير المستدير إلى الأرض ، وكان قريباً منى حتى لقد رأيته يلحس أنفه الوردىّ بلسانه الصغير الوردى أيضاً ، وكان سائر بدنه مكتنزاً وأسمر وذا فرو ، فجعل يطرف فى النور الساطع ، ثم شرع يصعد بجهد ، وحدثتنى نفسى أن أظفر بهذه الأعجوبة الصغيرة ، الجميلة فاعتزمت لسخافتى أن أتسلق الشجرة .

وسهّل التسلق علىّ بعض الأغصان الدانية ، ولكن الصعود كان صعباً لأنى كنت مضطراً أن أسدد الضوء إلى الحيوان حتى لا يختفى عن ناظرى ، وصار الأمر سباقاً بينى وبين الهبّار (وهو قرد غزير الشعر) إلى الزواية بين الفرع والجذع ، وقد سبقته إليها ، فلما أدرك خطأه فى مداورته ، تقهقر إلى ما هو أرحب وأوسع بسرعة لم أكن أظن أنها فى وسعه .

ووضعت المصباح فى فمى وتعقبتـه ، فضعت فى تيه من الأغصان الضخمة ، وتبينت أنى أستطيع أن أنتقل من شجرة إلى أخرى كما يفعل الحيوان ، وكدت أفقد المصباح مراراً ، ثم وجدت أنى عاجز عن الهبوط لأن الشجرة التى بلغتها ليس لها أغصان قريبة من الأرض ، وكنت قد ارتفعت مئة قدم وزيادة ، أما الهبّار فكان قد نجا فى خلال ذلك .

وظللت فترة أحاول أن أصل إلى جماعة من النبات المتسلق قريبة منى، وإذا بى أسمع فجأة ضجة عظيمة من أصوات شتى حولى ، فلففت ذراعى حول بعض الأغصان ، وتناولت مصباحى ، فإذا بى وسط جماعة من القرود يغالبها النعاس . ولعل أبعث شىء على الدهشة هو أن تلتقى بجماعة من القردة الخفاف فى بيئتها . وكنا نرى كل يوم تقريباً هـذه الحيوانات تمر كالأشباح وتصعد فى طرقها المرتفعة وهى آمنة من كل اعتداء . وها هى ذى هنا ، تطرف وهى صامتة فى ضوء المصباح ، وهى أبعد عن اليقظة من رجل أسرف فى الشراب .

كانت هـذه الحيوانات عاجزة كلّ العجز فى ظلام الليل ، فكانت تترامى هنا وهناك ، وتعول عويل الأطفال ، وتعوى مستغيثاً بعضها ببعض ، وكانت الأمهات تحتضن صغارها ، والذكور الكبار تطأ الأرض وطئاً ثقيلا كأنها قد أدركت أنه ينبغى لجماعتها أن ترحل عن مكانها ، بيد أنها لم تستطع أن تحزم أمرها على أى مكان تقصد . وعلى شدّة اهتمامى بمراقبة عاداتها وطبائعها ، كانت الفترة التى أتيحت لى لأفعل ذلك فترة قصيرة ، ذلك بأن الأرض أخذت تمور من تحتى .

وتلت ذلك دقائق كانت من أفظع ما مرّ بى ، فقد هوى الغصن الذى كنت ممسكا به بكلتا يدىّ ، فهويتُ على رأسى ، وظلت ساقاى معلقتين بنبات معرّش متين رأيتهُ ملفوفاً على صدرى ، فأنقذنى هذا النبات المعرّش من الهلاك . وبعد قليل بدأت أتسلقه حتى بلغت حبالا أخرى من النبات منحدرة إلى الأرض فنزلت عليها .

فكان ما حدث خاتمة كئيبة لليلة رائعة ، ولكنه هدانا إلى أننا نستطيع أن نتسلق الأشجار حتى نقتحم حمى الحيوانات التى تسكن الأشجار ــ حمى «القارة الطائرة» .

وقد ظللنا بعد ذلك زمناً غير يسير دأبنا فيه على تسلّق الأشجار فى وضح النهار ، فأتاح لنا ذلك أن نصوّر الصور الضوئية الأولى لحيوان الليمور * النادر فى مسارحه

* الليمور : قرد صغير الذنب جميل الصورة

الطبيعية . وقد رأينا حيوانات الفراء الثمينة تجوس خلال الأشجار مبتهجة بما تفعل ، ورأينا السناجيب تلعب لعبة القفز والوثب كما يفعل الصغار فى المدارس، ورأينا مشاهد أخرى لا تحصى ولا تنسى .

وقد تبيّنا أن لهذه الحيوانات طرقاً مطروقة فى الأشجار ، تقطعها كلّ يوم سائرة فى اتجاه بعينه ولا تغير مواعيدها . وقد لمحت ذات مساء رَباحاً كبيراً ، وهو حيوان أرقط شبيه بهرّ الزباد ، فاختفى فى جحر كبير فى أواسط شجرة ضخمة ، وكان يعود إلى هذا الجحر كلّ مساء فيبقى فيه بضع دقائق ، ثم يبرحه باحثاً فى جوف الليل عن طعامه . وقد شقّ علىّ أن أتصوّر الباعث على هذه الزيارة الرتيبة، حتى تمكنت من تسلّق الشجرة ، فوجدت بركة صغيرة من الماء الصافى الساكن فى ثغرة بين فرعين من فروع الشجرة . فقد كان هذا الحيوان يؤمّ البحيرة كلّ ليلة فى موعده المضروب ليشرب من مائها .

وقد نصبنا لهذه الحيوانات شراكاً وشباكاً وأحابيل وغيرها من حيل الصيادين ، ساعة عرفنا الطرق التى تطرقها ، فجمعنا منها النماذج التى نطلبها ، وكنا نحتفظ بها فى مخيّمنا ، فنتخذ بعضها للتدليل كما تدلل الكلاب والقطط فى بيوتنا ، ونتخذ من بعضها الآخر نماذج حية للبحث العلمىّ حتى نستطيع أن ندرس عاداتها وطبائعها .

فهذه المجموعة الصغيرة من الحيوانات كانت كفيلة بأن تجعل كل عالم من علماء الحيوان يحسدنا عليها لو رآها . وقد كانت تضمّ ثعابين وسحالى وضفادع الشجر وقردة وسناجيب وفئران الغيط الضخمة ، والرّباح ، وقطط الزباد والهبّار والليمور وطائفة أخرى من صغار الحيوان .

وذات يوم تسلقت أنا وأحد أعواننا شجرة باسقة كنا قد لمحنا فيها نوعاً جديداً من السناجيب بالمنظار المقرّب . وقد تسلقنا إلى أعلاها على ما يشبه السلالم المصنوعة من نبات معرّش متدلٍ من شجرة سنط ضخمة ، ثم انتقلنا إلى شجرة مجاورة لها ، واتخذنا لنا مكاناً نجلس فيه بين أغصانها العليا ، فإذا نحن على مرأى من رقعة واسعة من سطح شجر الغاب . فكان ذلك أول مرة تسلقت فيها إلى سطح الغاب من جوفه، فكانت تجربة لن أنساها ما عشت .

كان ضياء الشمس المنسكب على سطح الغاب قوياً يبهر البصر ، ويزيد من قوته انعكاسه عن الأوراق اللامعة . ورأينا جماعات لا تحصى من الفراش الملون غادية رائحة ، تزور عناقيد الأزهار الغريبة التى تبدو مصنوعة من الشمع ، وسمعنا طنين

آلاف من النحل تحوم حول الأشجار التى تؤثرها فتبـدو كأنها عاصفة من غبار ، وشاهدنا كبار الذباب وصغاره تحوم هنا وهناك وتمرق أحيـاناً كالسهام الخاطفة فلا يدركها البصر ، أو تسكن فى الفضـاء كأنها طائرات من طراز هليكوبتر، وتظل على ذلك بضع دقائق . وكانت الطيور على اختلاف ألوانها وأحجامها ترف فى الفضاء، وكانت العقبان والنسور تحلق وتدور فوق رؤوسنا ثم تنقض فى الحين بعد الحين إلى البساط الأخضر المنتشر من تحتها كأنها رجوم أو صواريخ .

وبعد أن جلسنا نستمتع بهذه المشـاهد الخلابة ساعة أو أكثر ، لمح صاحبى سنجاباً صغيراً فى شجرة مجاورة ، فعزمت لساعتى على أنه ينبغى أن يصير هذا الحيوان الصغير السـعيد موضوعاً لبحث علمى جاف ، فثبت ساقىَّ حول الأغصان ، وأسـندنى صاحبى بيديه حتى لا أقع ، ثم سددت إليه نارى ورميته بها ، فوقع من فوره خلال الشجر إلى الأرض .

فبعثت بصاحبى ليعود به، وبقيت وحدى فى مجثمى وفى يدىَّ المنظار المقـرِّب والكيس الذى نضع فيه ما نصيبه من الحيوان ، والبندقية وأشياء أخرى . فلما كادت مفاصلى تتيبَّس حاولت أن أغيِّر قعدتى ، فأمسكت بغصن رفيع أجرد ، فإذا أصابعى تنطبق على شىء بارد لزج على الجانب الذى لم أره من الغصن . وفى الوقت نفسه رأيت لفة من شىء أخضر كالزمرد قد انسابت من أسفل الغصن وسرت على ساعدى . فأفلت الغصن الذى قبضت عليه فى مثل البرق الخاطف، فكدت أهوى. وإذا بى أرانى أنظر إلى رأس مشيق أصفر وأخضر، قد ركبت فيه عينان سوداوان لامعتان لم أرَ عينين أكبر منهما فى رأس ثعبان . فحاولت كاليائس أن أمدَّ يدى إلى شبكة صـيد الفراش ، وطرحتها على الرأس البراق . وبعد جهاد خيل إلىَّ أنه دام ساعات كثيرة ، تمكنت من أن ألتقط رأس الثعبان والجزء المقدم من بدنه فى هذه الشبكة ، وألقيت بالشبكة وما فيها إلى الأرض ، فسقطت عند أقدام صاحبى .

ولم أدر إلا بعد سنة من عودتنا إلى إنجلترا أن هذا الثعبان الأخضر الأصفر الجميل هو مخلوق لا أذى منه . وعلى كلّ فمن العسير على المرء أن يستنجد بعلمه وهو فى رأس شجرة وحول ساعده ثعبان يلتف !

« الرجـل ــ الحيوان »

وذات يوم دخل علينا فى مخيم ضربناه على جبل، صياد مروَّع وروى لنا أن رجلا كالحيوان قد هجم عليه .

فسألت الترجمان: «وماذا صنع الصياد؟»

فقال: «إن الحيوان صاح صياحاً عالياً فأطلق الصياد النار عليه ففرّ، وجاء الصياد لينقل خبر ما كان».

فعقدنا اجتماعاً على عجل، وخيل إلينا أن «الرجل — الحيوان» لم يكن سوى غورلّى. فسألنا الصياد: أمات الحيوان؟ قال: إنه لم يتلبث بعد أن رأى ما رأى حتى يستوثق من حياته أو موته.

فخرجنا فى فجر اليوم التالى باحثين منقبين، وبعد ساعات من التوقل المضنى فى سفح الجبل، بلغنا جداراً قائماً من العشب الكثيف المتماسك، فجعلنا نشق طريقنا فيه، حتى صرنا إلى مكان قال الصياد إنه المكان الذى رأى الغورلّى فيه.

وفجأة سمعت بقرب مرفقى صوت تكسر وتهشم، وإذا العشب الكثيف ينشق فأرى أمامى جسما ضخما أشعث أغبر يمر كخطف البصر، فتفززت أعصابى دفعة واحدة، وتعثرت فسقطت، ولكننى لمحت ولما أكد جسما ضخما أبيض وأسود، ثم اختفى وراء بعض الورق وهو يخرج من حلقه أصواتاً كأنها حشرجة مخيفة.

فلما لممت أذيالى ونهضت، وجدتنى على حاشية مزرعة موز، أرضها غاصة بالحشائش والأعشاب، ورأيت رجال جماعتنا وقوفاً وفى وسطهم جثة ضخمة، جثة غورلّى ذكر.

فيلوح أن النار التى أطلقها الصياد عفواً فى الليل السابق أصابت مرماها، فمات الحيوان حيث كان يرعى العشب على رأس حرف من حروف الجبل. وأغلب الظن أننا لما تقدمنا قطع أحدنا حبال بعض النباتات المعرّشة التى أمسكت الحيوان حيث كان، فسقط كأنه جلمود صخر ضخم، فسطّح الحشائش والأعشاب، وأخرج أصوات تلك الحشرجة المخيفة ساعة خرج الهواء من رئتيه وفمه وهو يتدحرج.

ولن أنسى كوامن الشعور التى أثارها فى نفسى مشهد ذلك الحيوان الصريع، فقد تلقيت عن أساتذتى أن الغورلّى حيوان تتجسم فيه القوة الوحشية المخيفة، وها هو ذا الآن صريع بين يدى: حيوان وقور لا يأكل سوى النبات، وقد طوى ذراعيه على بطنه الضخم، وخبت فى وجهه المغضّن الأسود نار القوة التى كانت تسرى فيه، وهذه عيناه مفتوحتان تحت أهدابها الطويلة المستقيمة. فساورنى شعور قوىّ لا يحدّ بالرثاء لحاله، فلم يسعنى إلا أن أرى فى مصيره مأساة مصير جماعته من الحيوان وقد أخذ البشر يطاردونها مطاردة لا هوادة فيها من السهول إلى الجبال منذ قرون

كثيرة ، حتى ضاقت ذرعاً بطراد جماعات لاشعر لها من صغار الرجال، وفتك النمورة بصغارها ، وافتئات أهل الزراعة والصيد على مراعيها،فالعالم كله يتغير من حوله ،وقد تحدى هذا التغير بصيحاته القوية،حتى جاءه أجله وهو مندفع للقاء قطعة من الرصاص أطلقها عليه خصمه الضئيل فخر صريعاً .

وقد ربطنا هـذا الشيخ الحزين إلى شجرتين رطبتين ، ثم حمله ثلاثون من الحمّالين وراحوا ينشدون وهم يترنحون تحت عبء يكاد يؤودهم حمله ، فخرجوا به من أرض الضباب ، من معقله المعرّش المنيع .

فلما وصلنا إلى المخيّم قدّرنا وزنه فإذا هو يتفاوت بين ٦٥٠ رطلا و٧٠٠ رطل، وكانت المسافة بين مدّ ذراعيه تسع أقدام وبوصتين . وقد تجد كثيرين من الخبراء ينعون علينا صحة هـذا القياس ، فردّى عليهم أن يتفضلوا بزيارة المتحف البريطانى وأن يفحصوا هيكله بأنفسهم .

وأهل منطقة أسـومبو يعتقدون أن الغورلّـى سلالة من سلالات البشر ، وليس حيواناً على الإطلاق . ولما كان الإفريقيون يرون من عادات الغورلّـى وطبائعها أكثر مما تراه أية جماعـة أخرى من البشر على سـطح الأرض ، فأظن أنه ينبغى لنا أن نقدر آراءهم حق قدرها وأن لا نهملها إهمالا . وأما رأيى أنا ــ رأى عالم من علماء الحيوان والتاريخ الطبيعى ورأى إنسـان عاقل ، فمطابق لرأيهم كلّ المطابقة .

وقد قضينا وقتاً طويلا نحاول أن نصوّر الغورلّـى بآلات التصوير الضوئى . أما وقد رأيت هذه المخلوقات حيّـة فى مسارحها ، واستمعت إلى ندائها وحديثها ، وفحصتها حيـةً وميتة وقارنت بينها وبين طوائف الشمبانزى والبشر ، فإنه لا يسعنى إلا أن أعدّها رتبة متخلفـة من البشر ، أو من الرتب التى تحت رتبة البشر . وأنت لاتجد أن لها أيدياً ووجوهاً وأرجلا كمثل أيدينا ووجوهنا وأرجلنا وحسب ، بل تجد أنها تستعملها أيضاً كما نستعملها . وهى متصفة بالقدرة على الإنشاء ، يدلُّ على ذلك مابنته من مصاطب تنام عليها ، واستعمالها العصىّ، وفرزها الأشـياء بعضها عن بعض ، وهى تفعل ذلك على وجه يضارع ما يفعله بعض الكبار من الناس . وهى تعقد عُقَـداً فى حبال النباتات المعرشة لتنتفع بها فما تبنى ، وتشمل لغتها من الأصوات المختلفة ومن ضروب الأصوات ما تشتمل عليه أية لغة من لغات البشر . أضف إلى ذلك وجوه التشابه ووجوه الاختلاف البيّـنة بين أعضاء الأسرة الواحدة، فلكل أسرة كيانها الخاص،

وأهل هذه البلاد يعرفون هذه الأسر حين تقع عليها العين ، فيميزونها بما عرفوه من خصائص كل أسرة .

زبابة الماء الجبارة

وثمة حيوان أدنى ما يكون إلى حيوانات الأساطير ، بل هو فى الحقيقة حيوان يجمع فى بدنه غرائب الحيوانات البائدة مع أنه لا يزال يعيش على سطح هذه الأرض ، وموطنه جداول الجبال فى غرب إفريقية . وقد كشفه أولا منذ سنين كثيرة رجل اسمه دو شايو ، كان مشهوراً برحابة خياله ! وكرّت الأعوام دون أن يعنى أحد عناية تذكر بتبيان الحقيقة عن طبائع هذه الزّبابة المائية الجبّارة ، التى يطلقون عليها بلسان العلم اسم « بوتا موجال فيلو كس » . فهذا حيوان يشبه كلب الماء ، والعثور عليه من أشق الأمور ، فلذلك جُعل الظفر بنموذج منه من أهم المهامّ العلمية التى عهدبها إلينا .

فقلت لأحد رجالنا : « قل للشيخ إذا رضى ، أن يأمر جميع الصيادين أن يأتونا بأى حيوان يشبه هذا » . ورفعت بيدى صورة يقال إنها تمثل حيوان « بوتاموجال » وهو حىّ .

ولم أكن أتوقع أن يعنوا حقاً بالاستجابة إلى طلبى ، ولكن سرعان ما تبينت أثر هذا الطلب فى شيخ الناحية .

فقال : « آه ـ ها ، آه ـ ها » .

فسألت : « أيعرف الصيادون هذا « اللحم ؟ »

فأكد لنا ترجماننا « إثبى » أنهم يعرفونه حقّ المعرفة ، وقال : « إنه حيوان يعيش فى الماء الضحل » .

« ويظن الشيخ أنه هو خير صيّاد يذهب لصيده والعودة به » .

فصاحوا جميعا : « آه ـ ها » وانفضّ الجمع .

واستغرقتنا أعمالٌ كثيرة فى بضعة أيام ، وكان أملنا ضعيفاً فى العثور على هذا الحيوان النادر فى هذه المنطقة ، فنسينا أمره إلى حين .

وكنا ذات ليلة مكبين على عملنا فى أرض خلاء ، وكانت حلتنا قرب قرية ، وكان يحيط بنا من كل ناحية جماعة كبيرة من ذوى الأبدان السمر العارية ، تنظر إلىّ بعيون شاخصة ، كأن على رؤوسهم الطير ، وأنا أشرّح الجرذان ، وأدون البيانات عنها ، ولم تندّ عن القوم همسة ما حتى رأونى أملأ قلم الحبر ، فصاحوا مهللين . وكان صاحبى جورج منهمكا كذلك انهما كى على مقربة منى ، وكانت جماعة من أهل القرية محدِقة به أيضاً .

فلما خفّت وطأة العمل ، أخرجت

الفونغراف والأسطوانات ، وهيأت للجمع حفلة موسيقية . فعلت أمارات الحيرة وجوه القوم ، لأنهم لم يدركوا أسرار هـذه الآلة العجيبة ساعة ارتفع الرنين الموقع من جوفها .

وفي أمريكا فرقة موسيقية تعزف موسيقى الزنوج من ضرب « الجاز » ، وكنت أنا وصاحباي نهيم بأدوارها وأصواتها ، فلما وضعت إحدى أسطواناتها وأدرتها ، أحدث استهلالها هرجاً ومرجاً بين القوم . فاتضح لي لساعتي أن ذوق الجماعة في الموسيقى يشبه ذوقنا شبهاً عجيباً . وسرعان ما ألفينا الجمهور يتثنى ويتمايل ، وإذا الطبول تبرز ، وهي شتات عجيب من طبول صغيرة يغطيها الجلد ، وأدوات ذات زوايا مصنوعة من الفخّار ، وكتلٌ ضخمة مفرغة من الخشب ، وإذا بها تقرع جميعاً على إيقاع واحد .

فكان أثر ذلك في نفسي كأثر السحر ، لأن الإفريقيّ مفطور على حسّ مرهف ، فكل طبّال يعرف بفطرته أين ينبغي له أن يكفّ عن القرع وأين ينبغي له أن يستأنف . وأتبعنا بالأسطوانة الأولى طائفة أخرى من الأسطوانات ، فعلا صياح القوم وازداد صخبهم على نحـو ما يؤثر عنهم في مراقص الأدغال . وسرعان ما رأينا رجلاً ضخماً مترنحاً من أثر الإيقاع في نفسه وملتفّاً بجلد قرد ، يعدو إلى حاشية الجمع المزدحم وهو يطلق ناراً ، فخيّل إلينا أن ذلك شيء يخلق بنا أن نضيفه إلى أمثال هذه الحفلات الموسيقية في الغرب ، فحشونا بنادقنا وصرنا نطلق في الهواء على إيقاع اللحن ، وابتهج القوم بما فعلنا ، فإنفاق الذخيرة على هـذا النحو يعدُّ من أعلى آيات الضيافة عندهم . وقد ظلت الحفلة قائمة يتخللها رقصٌ بديع ، حتى بتنا لا نعرف في أي هزيع من الليل نحن .

ويؤسفني أن أعترف أنني أغفلت في تلك الليلة الغرض الذي من أجله شدّت بعثتنا رحالها إلى إفريقية ، فلذلك صدمت صدمة قوية ساعة بلغت الحفلة ذروتها عند الفجر . فقد كان بين الأسطوانات أسطوانة اسمها « شوتم » ، وفي أثناء عزفها شـوهدت عصابة من الناس ترتقي الأكمة وتتقدم نحونا ، وإذا المنادي ينادي فيقول إنهم جاءوا من قرية « تمالي » وأنهم يحملون « زَبابة مائية » .

فصحت متوسـلاً : « دعوني أرى » ومددت ذراعيّ مدًّا كأنني أستجدي ، فأدرك الإفريقيون بما فطروا عليه من الإحساس الدقيق ، ما يضطرم في نفسي من لهفة ، فانفجروا ضاحكين ، فمن الواضح أن التوسل على هذا النحو ليس أفضل طريقة لعقد صفقة مع أحد من الناس .

وانشقت صفوف القوم ، وإذا غـلام

يتقدم نحوى وهو يبتسم ، وبين يديه كيس كبير . فلما فتح الكيس أتلع الناس أعناقهم وجعلوا يثرثرون .

وإذا حيوان مشيق يخرج من الكيس رويداً رويداً إلى ضوء الفجر الشاحب ، وإذا بى أرى بعد قليل عند قدمىّ حيواناً مقعياً هو حقًّا حيوان « بوتاموجال » ، وهو حىّ، وله ذيل كذيل السمك، وعينان صغيرتان كأنهما مغرز إبرتين — فهو يشبه صوره المرسومة فى الكتب كلّ الشبه .

وإذا جماعتنا تصيح ابتهاجاً ورضىً ، فقد أدركوا جميعاً أننا قد ظفرنا بالحيوان الذى ننشده ، لا بحيوان آخر يخيّب ظننا كما حدث لنا من قبل غير مرة .

وكان ثمن هذا الحيوان خمسة وعشرين قرشاً ، فدسست ثلاثة أضعاف الثمن فى يد الغلام ، فندت عن القوم زفرة قوية ، فهم لا يستطيعون أن يعقلوا كيف يؤدى الرجل الأبيض — مهما كانت غفلته فى شئون المال — ثلاثة أضعاف مايطلب منه أن يؤديه .

« بودو جونا »

وكان ثمة حيوان مجهول ، أو كالمجهول، يشبه القُراد ويسمى « بودوجونا »، وهو غريب الطباع ، وطالما تاق أهل العلم إلى استطلاع أمره ، لما له من شأن فى دراسة الحيوان . والحق أن الكشف عنه فى غرب إفريقية كان فى طليعة الأغراض التى من أجلها أعدت بعثتنا وزودت بالمال . وقد ذهبت جميع مساعينا فى البحث عنه أدراج الرياح ، فلما عثرنا عليه فى آخر الأمر كان ذلك اتفاقاً ساقنا الحظ اليه .

فقد جاءنى أحد الأولاد ذات يوم وقال : «جاء الشيخ ياسيدى ومعه شيوخ أخر».

كنا يومئذ فى منطقة لم نجس خلالها من قبل . وكان خارج محلتنا عشرون من شيوخ القبائل أو نحو ذلك ، وكان لكل منهم جماعة من الأتباع خرجوا فى أحسن زينتهم وأزهاها .

وقد أخذنا على غرة بوصول هذه الوفود فى مواكب أبهتها . وكان صاحبى جورج، حسن البزة أنيقها كمألوف عادته، فسراويلاته من قماش رقيق ، وقميصه نظيف كأنه خرج لساعته من يد الغاسل والكاوى . وكان الدوق ، صاحبى الآخر ، فى بزته الكاملة وقميص من الكاكى . وأما أنا فيؤسفنى أننى لم أكن فى ثياب تضفى شيئاً من الاحترام على الرجل المتحضر .

فقد كنت لا أزال فى مَنامة مصنوعة من الحرير الوردى اللون ، غريبة التفصيل والتلوين ، وكان شعرى قد طال كثيراً فوضعت على رأسى قبعة جمعته من تحتها حتى لا تشعّثه الريح وينسدل على وجهى ورقبتى.

فلما فوجئنا بزيارة الوفود ، تعذَّر عليَّ أن أبدّل ثيابى ، فجلست وسط الجمع كأنى زهرة مونقة متفتحــة فى شهر إبريل ، وجلست قبالتى جماعة من الشيوخ الإفريقيين بجللهم الوقار ، وجعلوا يحدجوننى بنظرات فاحصة ، فخشيت أسوأ ما يخشى .

وران السكون على الجماعة ، ثم تقدم لسان الشيوخ وجعل يتـكلم :

« إن كبير الشيـــوخ قد جاء يحييكم ، ويتمنى سائر الشـيوخ أن تـكون بلادهم قد وقعت من نفوسكم أحسن موقع » .

فقلت : « قل لـكبير الشيوخ إننا نحب هذه البلاد أعظم حب » .

وإذا « الملك » — كبير الشيوخ — يطلب من كل شيخ جاء معــه أن يقول ما يعنُّ له . والتفت الترجمان إلى أولهم ، وهو شيخ هرم ملتف بملاءة طويلة فضفاضة من نسج الـكتان ثم نظر إلىَّ وقال :

« يقـــول الشيخ إن ثوبك جميل جداً » .

ثم التفت إلى الشيخ الآخر وحوَّل نظره إلىَّ وقال :

« يقول الشيخ إن الثياب التى وضعتها على رأسك جميلة جداً » .

وإذا كبير الشيوخ يبتسم راضياً عن أعضاء مجلسه . ثم التفت الترجمان إلى ثالث الشيوخ ، فإذا به يلقى بلغته خطبة طويلة تبدَّت فيها حماسته . وإذا الترجمان يكاتم ضحكه بغير أن يخرج عن حــدود التوقير لشيخه ، ثم التفت إلىَّ وقال :

« يقول الشيخ ، لِمَ يعسر على المرء أن يشترى فى إفريقية قماشاً كالقماش الذى صنع السيِّد منه ثوبه ؟ »

وبعد لأْىٍ تـكلم كبير الشيوخ فذكر الغرض الأول من هذا الاجتماع ، فهم يريدون أن يأخذوا رأينا فى شق ترعةٍ تيسر عليهم نقل زيت النخيل الذى يبيعونه للتجار الأجانب .

وبعد أن شرحت لهم أننا جئنا إفريقية فى طلب الحيوان، ذكرت لهم أن من محاسن الاتفاق أن يكون بيننا رجل مهندس ، فوقف الدوق وانحنى ، ووعد بأن يزور المكان الذى ينوون أن يشقوا الترعة فيه ، وبعــد أن تحسس الشيوخ قماش منامتى بأصابعهم ، حيونا تحية الـكريم ، ثم برحوا محلتنا .

وفى اليــوم التالى ركب الدوق زورقاً فساروا به فى النهر ، فتبين أن شق الترعة يقتضى عملا كثيراً من نسف الصخور، وبناء الأهوسة ، ثم عاد إلى المحلة بعــد أن جمع طائفة من نماذج الحيوان فى طريقه .

وكنت منصرفاً إلى عملى فى تلك الليلة ،

فإذا بي تحين مني التفاتة إلى أنابيب الزجاج الصغيرة التي عاد بها الدوق من رحلته ، وكان النور واقعاً عليها من مصباح قوي ، فرأيت الحيوانات الدقيقة تموج فيها ، وقد تطلعت أولا غير آبهٍ ، ثم رأيت ما رأيت فجحظت عيناي .

فناديت الدوق وأنا أغالب نفسي على رباطة جأشها وقلت : « ما هذه الحيوانات التي في هذه الأنابيب ؟ »

فقال غير مكترث : « بعض العناكب الصغيرة » ، ودحرج الأنبوب حتى استقر أمامي .

وأحس جورج باللهفة في نبرة كلامي فقال : « ماذا ترى ؟ »

وأتلع الرجلان عنقهما فرأيا مخلوقاً صغيراً طويل الأرجل دقيقها في حجم الظفر ، يخرج من الأنبوب إلى الطبق .

فكان ذلك الحيوان ، هو حيوان « بودوجونا » .

وكذلك انتهى بنا المطاف إلى العثور على ضالتنا الأخيرة من الحيوان الذي طلبناه في غرب إفريقية ، فقد قضينا شهوراً كثيرة من البحث الدائب المضني في كل ضرب من ضروب التربة في تلك البلاد وفي كتل نخرة من الخشب ، وفي الشجر والوحل ، بل غصنا في مياه الأنهر بحثاً عما ننشد ، حتى عثرنا أخيراً على حيوان لا يقدَّر بثمن ، ولا تني متاحف الحيوان في العالم أجمع عن البحث عنه .

فقهقهت قهقهة عالية ، سمعها أعواننا في المحلة فهرعوا إلينا .

فصحت بهم وقد رفعت الطبق في يدي : « انظروا ، انظروا . فقد وجدت حيوان بودوجونا » .

وعلى الرغم من عسر الاسم الذي يعرف به هذا الحيوان ، فقد أدركوا جميعاً معنى ما أقول ، فقد طالما تحدثنا عن هذا الحيوان ودققنا النظر فيما عندنا من رسومه منذ وطئت أقدامنا أرض إفريقية .

ثم قلت لرجالي : « إليكم ما أريد . اذهبوا في صباح الغد مع هذا السيد ، ولا تعودوا إلا وقد جئتم بقدر كبير من هذا « اللحم » الصغير . فإذا عاد أحدكم خالي الوفاض فويلٌ له ، فإنني طارده لا محالة » .

والحقُّ أننا ظفرنا بمقدار كبير من حيوان « بودوجونا » — بخمسمئة منه . وقد وجدوها تتوالد تحت الورق المتعفن في رقعة من مزرعة قديمة . وقد حفظناها جميعاً في الكحول ، ما عدا عشرين أبقينا عليها حية في علبة من الصفيح ، ومع أننا كنا نجهل ما ينبغي أن نقدمه لها لتأكله .

فقد وصلت سالمة إلى إنجلترا وعاشت فيها سنة كاملة ، دون أن يتبين أحد ما تأ كل. وقد أخذناها إلى اجتماع عقدته الجمعية العلمية الملكية ، وعرضت على كبير أساقفة إنجلترا فى اجتماع عقــدهُ أمناء متحف التاريخ الطبيعى . وقد عُــنِى بها علماء أمم مختلفة ، حدقوا فيها ووخزوها وقلبوها ، بيد أننى لاأعرف أنّ أحداً من هؤلاءالعلماء استطاع أن يقطع أحـــدها رقائق تصلح للبحث المجهرى . فجلدها صلبٌ يفلُّ أية سكين ، فهى فى الواقع حيوانات بالغة الصلابة .

ولـكنها ليست أشدَّ صلابة من رجال كرجال بعثتنا ، يرون أنهم أحسنوا الانتفاع بوقتهم إذا ظلوا يعملون جاهدين شهور كثيرة ، ثم عادوا بنماذج من مخلوقات صغيرة مجهولة ، يعــدُّها أهل العلم شيئاً نفيساً . وقد كان خير جزاء ظفرنا به ، أننا عدنا بكل حيوان خرجنا إلى إفريقية الغربية فى طلبه ، وبحيوانات كثيرة أخرى لها قيمتها العلمية ، فما أغرب طباع الرجال الذين يخرجــون فى طلب الحيوان ، وما أحفلها بالروائع والمسرّات !

رأى زوجى فى المنطقة الجبلية فى شرق ولاية بنسلفانيا مزرعة صغيرة تدل جميع الدلائل على أنها مزرعةموفقة ، فدخل يسأل أهى معروضة للبيع ، وبين لصاحبها الشيخ أن همه ليس منصرفاً إلى زراعتها واستغلالها ، بل إلى اتخاذها ملاذاً له فى أيام الإجازة ، ومكاناً للصيد .

فقال الفلاح الشيخ : « حقاً إننى أنوى أن أبيعها فى الربيع القادم ، فقد جاهدت أنا وزوجتى أربعين سنة لنجعلها مزرعة صالحة لأسرة تسكنها وتجنى منها رزقاً كريماً . وهــذا فى رأيى هو خير ما أستطيع أن أصنعه لمســتقبل وطنى ، ولن أرضى أن أبيعك إياها » .

فقال زوجى : « ولم تأبى ذلك ؟ » .

فقال الشيخ : «قد يشق عليك أن تدرك عذرى. بيد أنى أرى أننى لو بعتها لك وأنت لا تنوى أن تزرعها وتستغلها ــ مهما بلغ المال الذى تدفعه ــ لكنت كمن يبيع قطيعاً من صغار الماشية الكريمة المؤصلة للجزار» . [كاترين بنيون]

لمحات من حياة العظماء

برنارد شو

ذاع اسم برنارد شو أول ما ذاع ، يوم شنت عليه حملة شعواء فى صحف لندن فى مقالات لا تحمل إمضاء أحد . وكان المخبر الصحفى على ما جاء فى هذه المقالات . يقتحم شقه برنارد شو الوضيعة ، وليس له غرض سوى أن ينهال عليه بالقدح والسب .

وقد ذهب الظن بكثيرين من الناس إلى أن شو هذا رجل متخيَّل ، فلو كان رجلا من لحم ودم لما صبر على هذا الهجاء ، ولركل بقدميه الذين يقتحمون عليه داره ، أو لعمد إلى الشرطة يستنجد بها . فقد شق على الناس يومئذ أن يصدقوا أن هناك رجلا كمثل شو المسكين ، يبلغ منه التسامح حتى يتجاوز عن الذين يسيئون إليه . والحقيقة أن كاتب هذه المقالات كان — برنارد شو نفسه !

مارك توين

قال: يزعم الذين يتوهمون أنهم يعرفون دخائل حياتى، أن السيجار الذى أدخنه هو أسوأ أنواع السيجار فى العالم ، ولكن الوهم ختَّال . فقد دعوت ذات ليلة عشرة من أصدقائى إلى العشاء . وكان لى صديق مشهور بأنه لا يدخن سوى أفخر السيجار وأغلاه . فذهبت أزوره ، ولما وثقت أن العين غافلة عنى أخذت مجموعة من سيجاره ودسستها فى جيبى ، وكان على كل منها ورقة مذهبة تدل على نبل أصله . فأزلت هذه الورقات ووضعتها فى علبة سيجارى الرخيص .

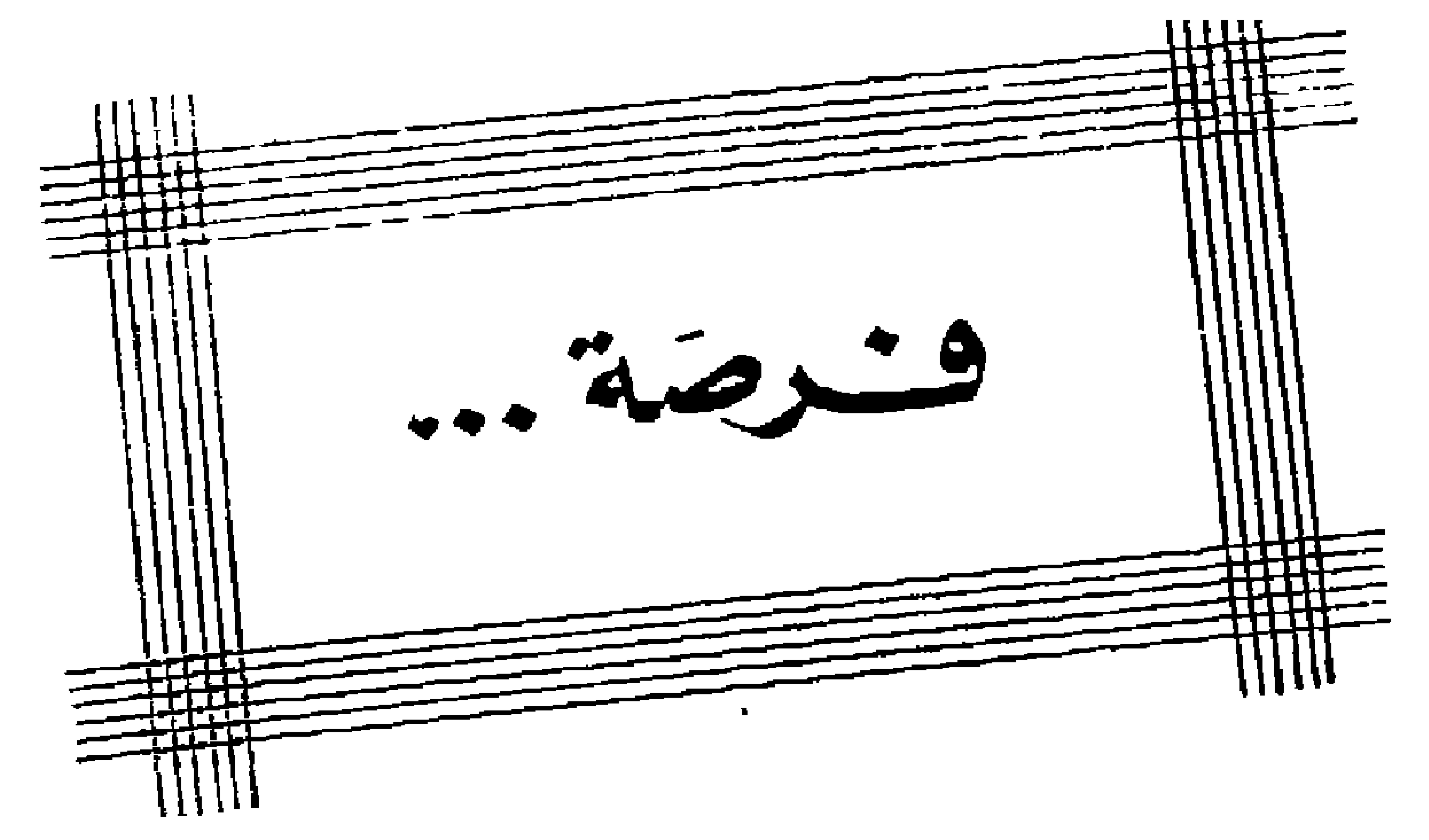
فلما فرغنا من العشاء أدار الخادم السيجار على المدعوين ، فأخذ كل منهم سيجاراً وجعل يدخنه وهوكاره مشمئز،وبعد قليل استأذنوا فى الانصراف معتذرين بأعذار شتى . فلما خرجت من بيتى فى الصباح وجدتهم قد طرحوا السيجار الذى قدمتهم لهم بين بابى والشارع — ما عدا رجل واحد ، وجدت سيجاره مطفأ فى منفضة على مائدة الطعام ، وكان هو الرجل الذى سرقت منه سيجاره الفاخر . وقد قال لى بعد أيام ، إننى خليق أن ألقى مصرعى ذات يوم ، على أيدى رجل أقدم له مثل هذا السيجار الفظيع .



إن جودة
إطارات جنرال الممتازة
تعنى
زيادة فى الأميال التى تقطعها
زيادة فى الأمن والسلامة
يقطع مسافة طويلة ليكسب الأصدقاء
GENERAL TIRE AND RUBBER EXPORT COMPANY, AKRON, OHIO, U.S.A.
Affiliated Factories in Foreign Countries
Canada
Mexico
Chile
Venezuela
Portugal
South Africa
Cablegrams : Gentiruco, Akronohio
The GENERAL TIRE
The General Tire & Rubber Co.
AKRON, OHIO.



AUTO-LITE
الاسم الذى يعده ٨ ملايين راكب
رمزاً لأداء جديد فى السيارات
إن أصحاب السيارات المزودة بمعدات «أوتو ـ لايت» الكهربائية يجدون عوناً ميسراً لهم للمحافظة على هذه المعدات فى أتم حالة
إن قطع غيار «أوتو ـ لايت» متاحة فى جميع أنحاء العالم، وهذا معناه أنك تستطيع أن تزود سيارتك من جديد بمزايا «أوتو ـ لايت» الفائقة فى محطات «أوتو ـ لايت» لأن رجال «أوتو ـ لايت» لا يستخدمون إلا قطع «أوتو ـ لايت» الأصلية لإصلاح معدات السيارات وصيانتها .
فتوجه إذن إلى محطة «أوتو ـ لايت» كلما احتاجت سيارتك إلى إصلاحات كهربائية .
إبحث إذن عن اسم «أوتو ـ لايت» كلما احتاجت سيارتك إلى إصلاحات كهربائية .
THE ELECTRIC AUTO-LITE COMPANY
Export Division
Chrysler Building, New York 17, N.Y., U.S.A.
AUTO-LITE
أجهزة للقيام والإضاءة والإشعال



اشترك اليوم فى المختار واربح ٥٠ فى المئة من قيمة الاشتراك .

ذلك بأن زيادة تكاليف الإنتاج قد حتمت على إدارة المختار أن تزيد ثمن النسخ وقيمة الاشتراك ابتداء من عدد يناير ١٩٤٨

فقيمة الاشتراك فى مصر والسودان ستزاد من ٣٠ قرشاً إلى ٥٠ قرشاً مصرياً
وفى البلاد العربيــة ... ... ستزاد من ٤٠ قرشاً إلى ٦٠ قرشاً مصرياً

فإذا اشتركت أو جددت اشتراكك اليوم ، فليكن ذلك بالقيمة القديمة بغير زيادة ، تربح ٥٠ فى المئة

أرسل اليوم طلب الاشتراك وقيمته :

فى القطر المصرى والسودان : إدارة المختــار ١٤ شارع القاصد بالقاهرة

فى فلسطين : شركة فرج الله ، ص ب ١١٣٢ ، القدس — فلسطين

فى سوريا ولبنان : السيد سعيد نجار ، حماة — سوريا
شركة فرج الله ، ص ب ١٠١٢ ، بيروت — لبنان

فى العراق : السيد محمود حلمى ، المكتبة المصرية ، بغداد — العراق

فى المملكة العربية السعودية : السيد هاشم نحاس ، مكة المكرمة — الحجاز

« إذا كنت تملك قرشين ، فانفق قرشاً فى ما كلك ، »
« واشتر بالثانى زاداً لروحك » [حكمة فارسية قديمة]

ومجلة المختار تتيح لك هــذا الزاد الروحى على أنفع وجهٍ وأروعــه بنفقة قليــلة

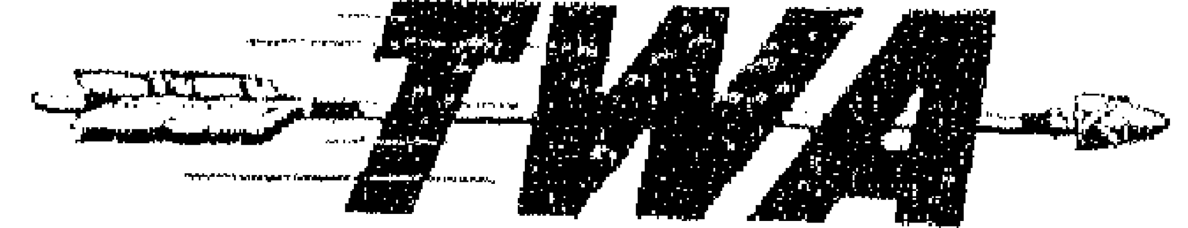

نظفي أسنانك
بمعجون
كولينوس ...
لأن له رغوة !
إن قليلا من « كولينوس » يصنع قدراً كبيراً زاخراً من الرغوة اللذيذة التى تحفظ أسنانك سليمة بيضاء قوية .
كولينوس
KOLYNOS
DENTAL CREAM

تسدُّ حاجةً عالميّة

إن وراء T W A ٤٤٫٠٠٠٫٠٠٠ ميل من الرحلات
الدولية — قطعتها بنجاح باهر حطمت الأرقام القياسية واختصرت إلى النصف
المسافات حول الأرض — وبذلك تقيم
T W A الدليل الواضح على عظمة الفكرة التي كانت
أول من هيأها ونشرها على العالم . وهـذه الفكرة هي : خط جوى
حول العالم يسد
: حاجات النقـــل
لمختلف شعوب الأرض.



TWA — الخطوط الجوية العالمية —
الخطوط المتصلة بها ... "نورث وست ايرلاينز"



TRANS WORLD AIRLINE

.. حتى يفوق الكمال الذى تدركه غداً
الكمال الذى أدركته اليوم



ذوّاقة الطعام

ترى أسألت نفسك كيف تستطيع شركة « سويفت أنترنشونال » أن تظفر بتلك الرائحة الخاصة الشهية التى يستطيبها ألوف وألوف من المستهلكين ؟

فلكى تظفر بها ، ترى شركة « سويفت أنترنشونال » ، تستعين بخبرة عدد كبير من الرجال الذين يفهمون أتمّ فهم الأطعمة الصحية وقيمتها الشهية ، وتنتفع بمعارفهم الفنية أوفى انتفاع . وبين هؤلاء المتخصصين تجد ذوّاقة الطعام ، ذا القدرة الباهرة ، فهو لا يوافق إلا على الأطعمة التى تبلغ ذلك المستوى العالى الذى جعل منتجات « سويفت » ذائعة الشهرة فى أنحاء العالم بجودتها المتفوقة

Swift

COMPAÑIA Swift INTERNACIONAL

Av. Corrientes 389 - Buenos Aires - Rep. Argentina

شركة "سويفت" الدّولية

مصانع فى الأرجنتين واستراليا والبرازيل ، ونيوزيلندا وأروجواى توزع منتجات ممتازة منذ أكثر من ٣٥ عاماً

في وسعك أن تزيد استمتاعك بكل يوم من حياتك

يكاد يكون كلُّ شيء تستمتع به ، في حاجة إلى الاستعانة بعلم البصريات . وعدسات التصوير التي يصنعها « بوش ولومب » تزين بالصور الصحف التي تقرأها ، والكتب والمجلات ؟ وتقدم لك بالأفلام الناطقة ، وتيسر أسباب الرؤية عن بعد (التلفزة) .

والعناية الطبية بالعيون — وإذا لزم الأمر فلتستعمل نظارات « بوش ولومب » — تعينك في عملك وفي لهوك .

ونظارات « راي بان » للشمس تقي عينيك من ضياء الشمس الباهر .

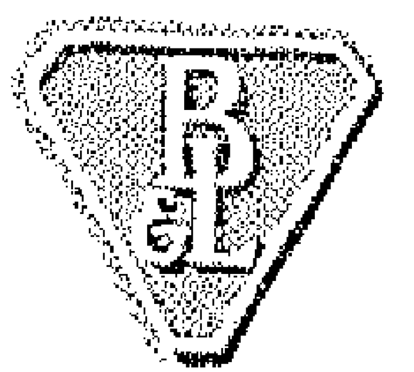
ومنتجات « بوش ولومب » لها أثر في كل ناحية من نواحي المعيشة في العصر الحديث . فالمراقبة الدقيقة بواسطة الأدوات البصرية تتيح لك أن تنظر بمناظير جديدة ، وأطعمة أجود ، وثياب أحسن ، وسيارات وطائرات أسلم ، ومحاصيل زراعية أكبر .

بوش ولومب

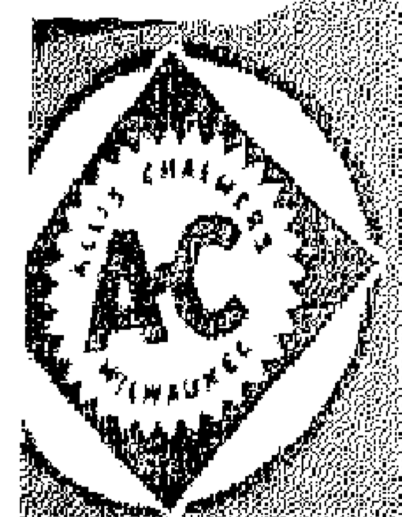
BAUSCH & LOMB

OPTICAL COMPANY

روشستر
الولايات المتحدة الأمريكية

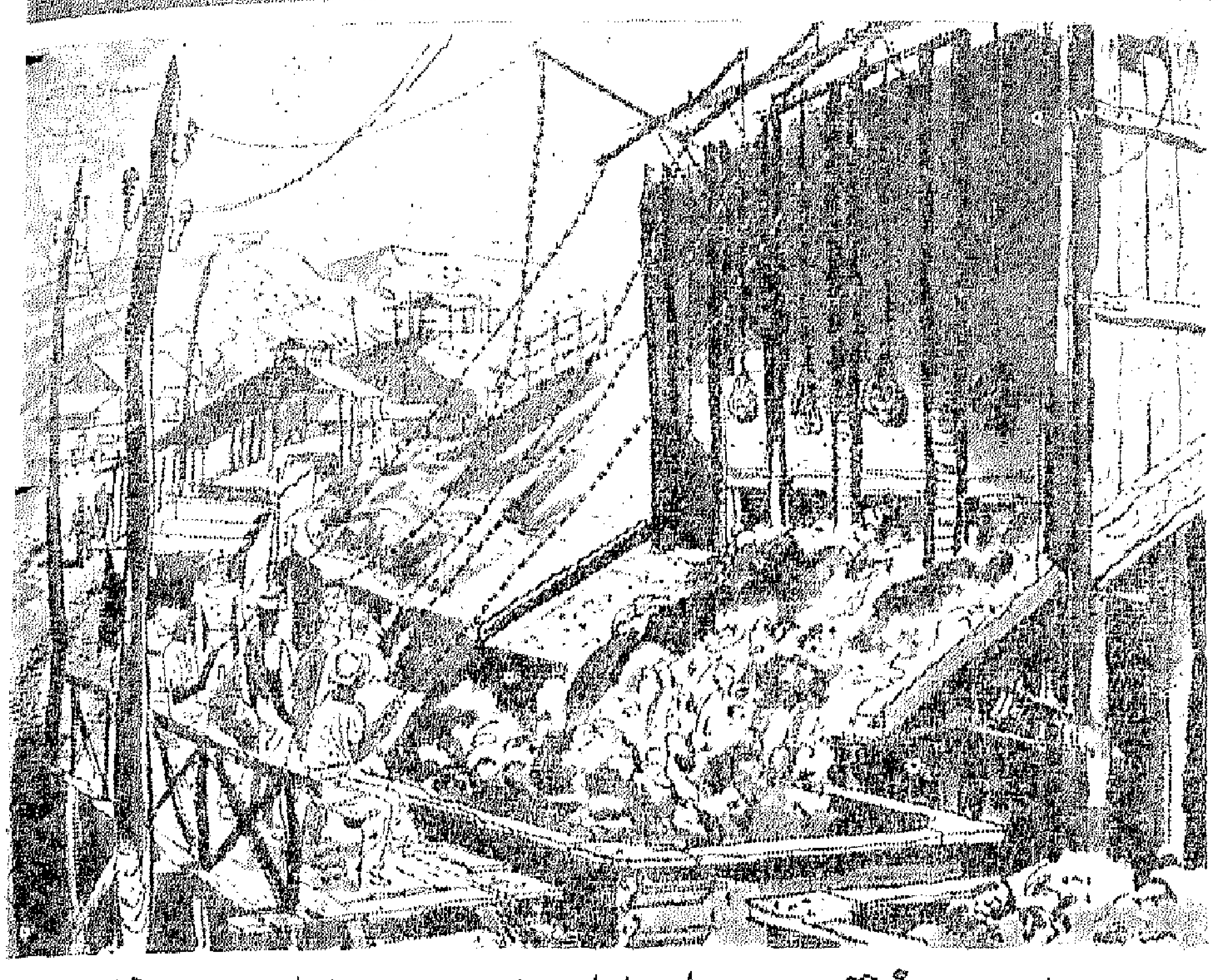


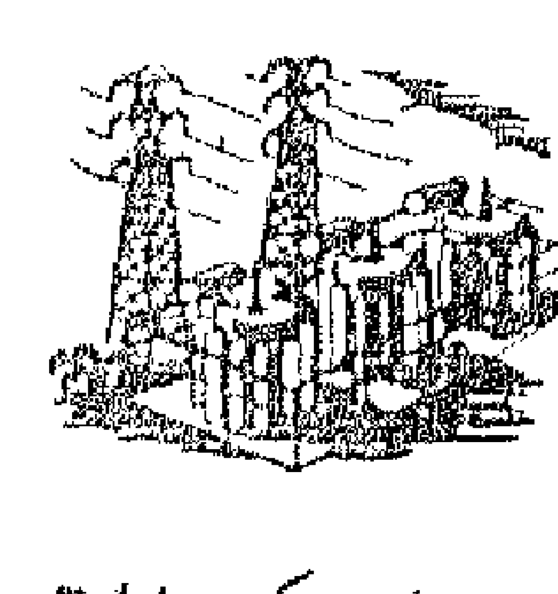
تأسست سنة
١٨٥٣



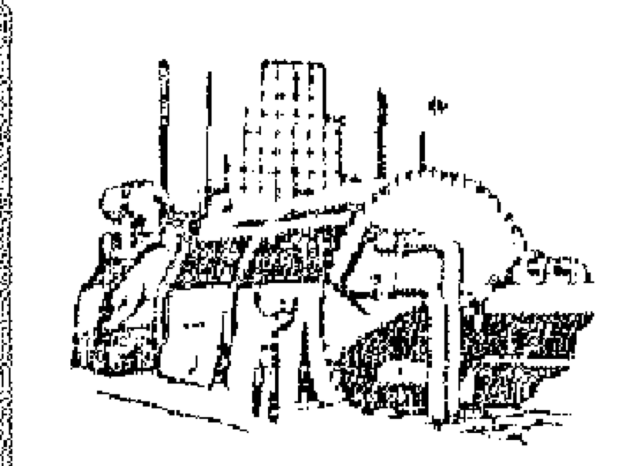
ALLIS-CHALMERS

أكبر مجموعة من معدات الصناعة الرئيسية

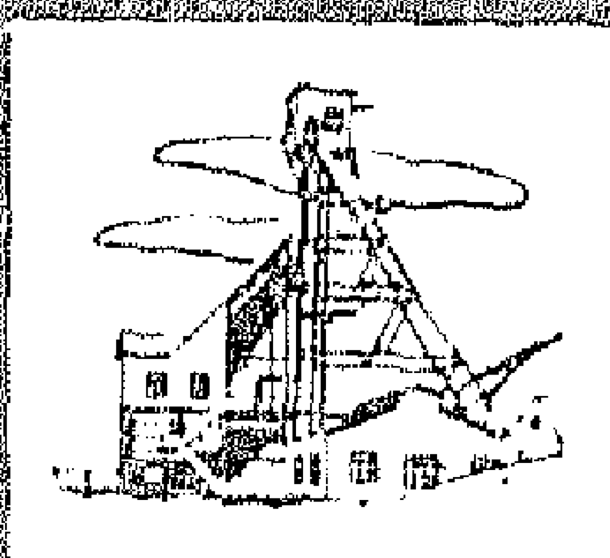




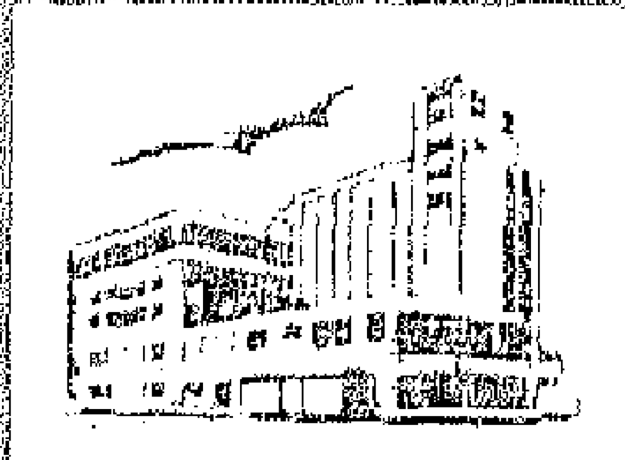
معدات كهربائية



توربينات بخارية ومائية ومكثفات ومضخات بالقوة الطاردة



آلات لطحن الإسمنت والتعدين



آلات للطحن ونشر الخشب

باب مفتوح على الثروة المعدنية

فى كل سنة يستخرج الناس من جوف الأرض الحافل بضروب الكنوز ، ملايين من أطنان المعادن الثمينة ، وضروب الوقود وغيرها ، فينتفع بها الناس فى توفير رغد العيش وفى تحقيق هذا البرنامج ، تجد الآلات القادرة على الطحن والسحق ، والمضخات ، وأجهزة القوى الكهربائية ـ التى تصنعها شركة « أليس شالمرز » .

وليس فى الدنيا كلها شركة تضارع شركة «أليس شالمرز» فى تعدد الآلات والمعدات الصناعية التى تصنعها . وفى جميع أنحاء العالمين الشرقى والغربى ، تجد آلاتنا معواناً الناس على إنتاج ثياب أحسن وطعام أجود ، وقوة محركة قليلة الثمن ـ ألوف من المنتجات اللازمة للعيش الرغيد .

و « أليس شالمرز » تستطيع أن تزودك بآلة واحدة وحسب ، أو بالمعدات اللازمة لمصنع كامل ، وهو الأعمّ الأكثر . راجع وكيلنا فى بلدك !

١٨٤٧ — ١٩٤٧ قرن كامل من الخدمة

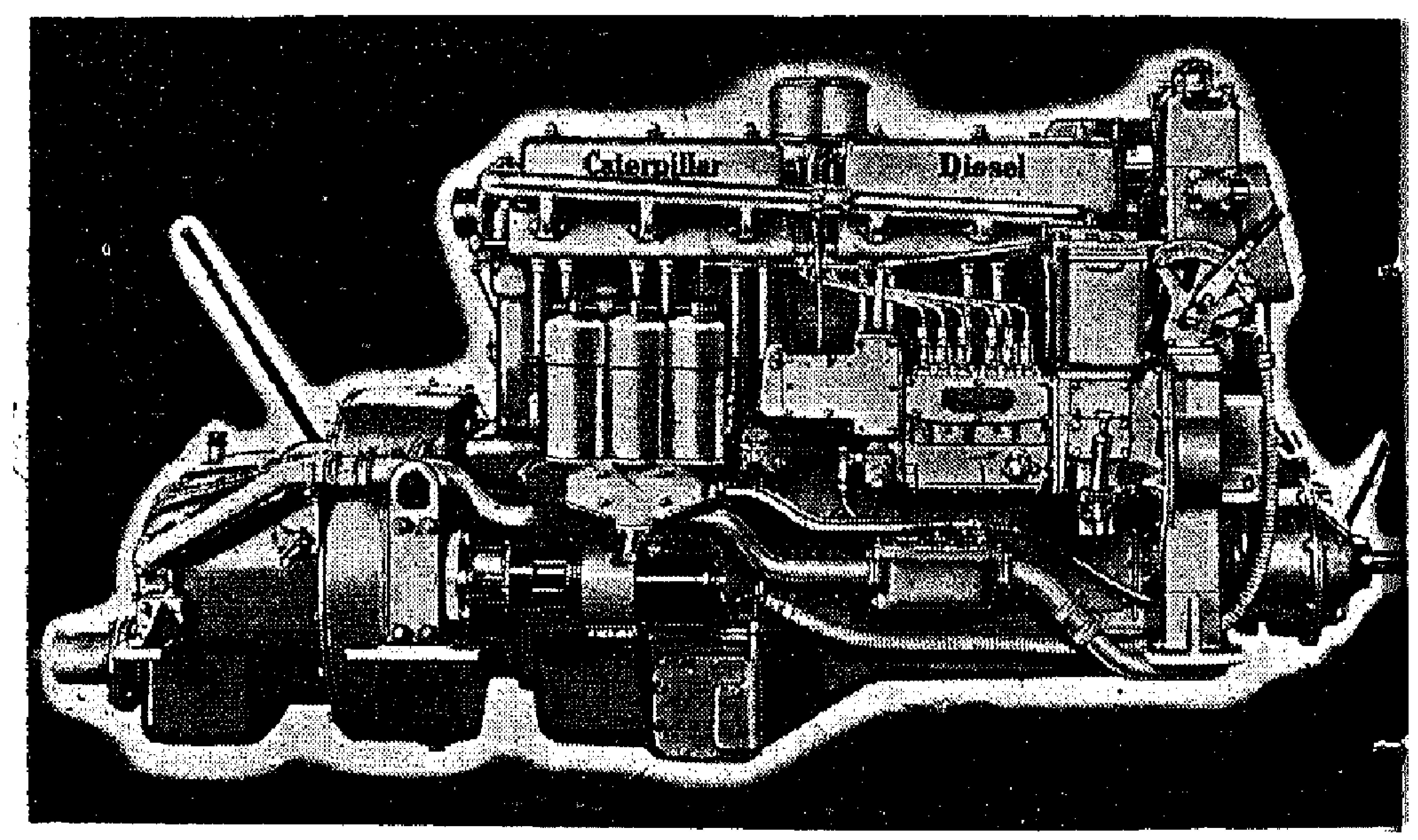
القطر المصرى والسودان : الشركة الأمريكية الشرقية للتجارة والملاحة ش . م . م ، ١٦ ب ، شارع سيزوستريس بالإسكندرية ٢١ شارع سليمان باشا بالقاهرة — **العراق وشرق الأردن :** الشركة الأمريكية العراقية للملاحة لمتد ٢٨٢/٨ شارع المستنصر ببغداد . شارع الملك فيصل بالبصرة — **الحبشة :** أمريكان إيسترن كوربوريشن ، أديس أبابا — **المملكة العربية السعودية :** أمريكان إيسترن كوربوريشن ، جدة — **إيران وأفغانستان :** أمريكان إيسترن كوربوريشن ، شارع شاه (نادرى) ٩٢٦ طهران .

...ية ... متينة ... مضمونة

محركات « كاتربيلر ديزل » البحرية
... بجميع الخواص التي جعلت محركات
... يلر ديزل » مشهورة فى كل قطر
... لار الأرض .
... رصنعت هذه المحركات بحيث تستطيع
... قوة محركة كاملة القدرة خلال
... عشرين ساعة كل يوم . وهى متصفة
... بساطة فى البناء تجعلانها قادرة على
... لى لطمات الجو العاصف وأن تستمر
... م بعملها قياماً مضموناً فى جميع
الأحوال . وإن اقتصادها فى استعمال الوقود
وقلة النفقة اللازمة لصيانتها ، ليزيدان ربح
صاحبها . وترى جميع وكلاء ومتعهدى
« كاتربيلر » فى كل مكان أبداً مستعدين لإسداء
العون الميكانيكى وتقديم قطع الغيار اللازمة .

ومحركات « كاتربيلر ديزل » البحرية
تصنع فى ستة أحجام مختلفة تتفاوت قوتها
من ٢٦ حصاناً إلى ١٣٥ حصاناً .

CATERPILLAR TRACTOR Co.
Peoria, Illinois, U. S. A.



CATERPILLAR DIESEL

ماركة مسجلة

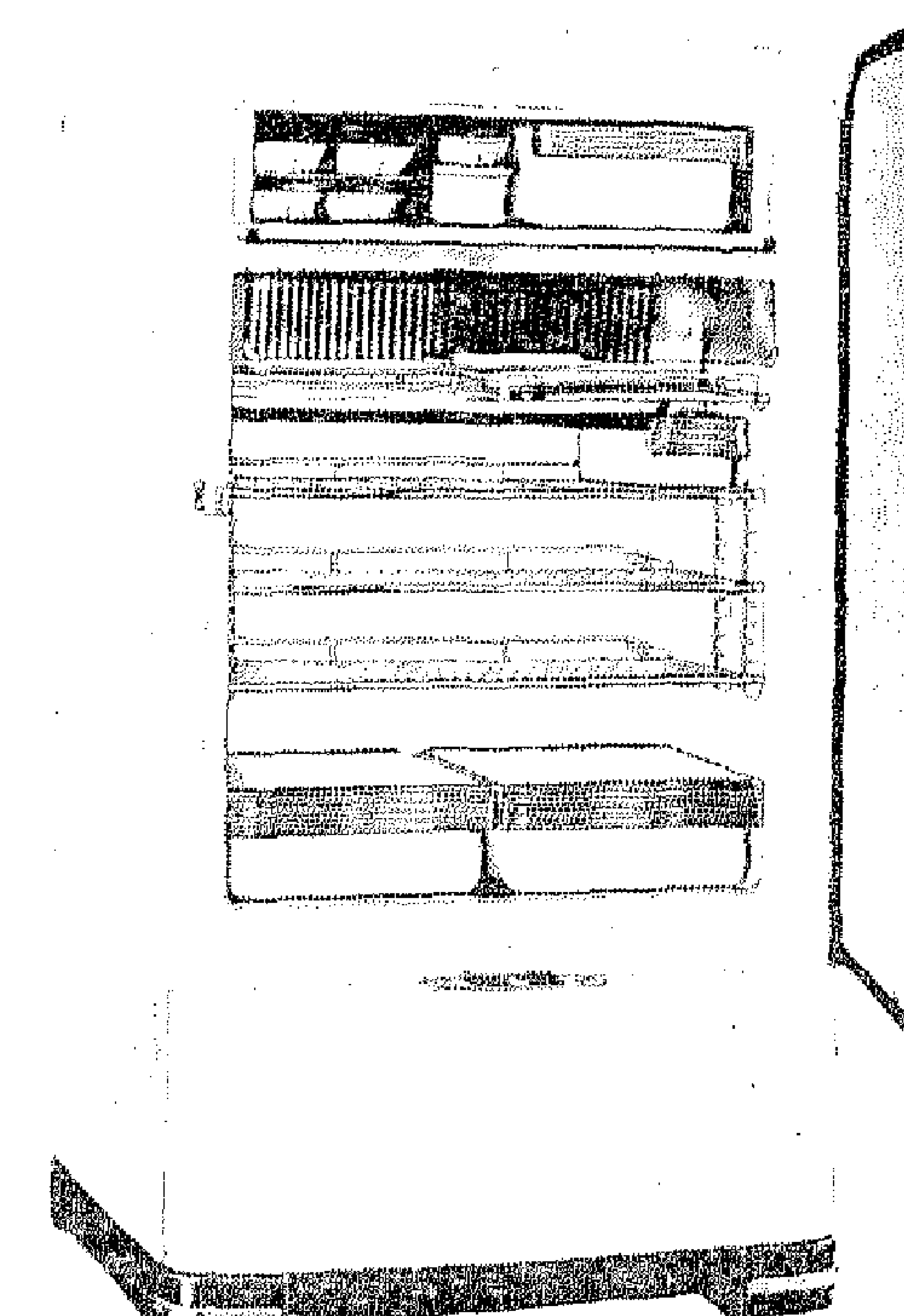
...ت . جرارات . ممهدات الطرق . معدات جرف التراب

في وسعك أن تظفر
بأسنان تفتر عن
بسمة بيضاء!

إذا كانت أسنانك خابية اللون مكمدة، فما ذلك إلا لأن بياضها الطبيعي وجمالها مختفيان. ومعجون أسنان «كولجيت» يزيل بسرعة كل البقع والغشاء الذي يغير لون الأسنان، فتسترد لأسنانك ذلك البياض الطبيعي اللامع، الذي هو بياضها ـ الآن ـ ولكنه ينتظر ما يكشفه للعيان.







سرڤيل تعمل...
بالكيروسين أو الغاز الطبيعي أو الغاز الصناعي أو الغاز المعبأ

هذا خبر خطير لكل من يسكن المدن أو المزارع ! إن ثلاجة « سرڤيل » — أينما أقمتها — تبدأ العمل من فورها ، فتولد لك برداً يحفظ الطعام ومقداراً كبيراً من مكعبات الثلج . وذلك لأن نظام التجميد في ثلاجة « سرڤيل » يعمل بقليل من الكيروسين أو قدر صغير من الغاز . وليست ثمة حاجة إلى أسلاك تنقل القوة المحركة . وثلاجة « سرڤيل » أطول عمراً ونفعاً . وليس فيها محرك ... ولن تجد جزءاً متحركاً في نظام التجميد بها ، يكون عرضة للتعطل أو يحدث صوتاً وضجيجاً .

إن برد « سرڤيل » الدائم المستمر يحفظ نضارة الفواكه والخضر ورائحتها الطيبة أياماً كثيرة ... حتى في أشد الأقاليم حرارة . أما طلاء « سرڤيل » الصقيل الجميل الأبيض اللامع فيدوم سنين كثيرة .

فلذلك يسهل عليك أن تدرك لم يستعمل الناس مليوني ثلاجة « سرڤيل » أو أكثر في جميع أرجاء العالم .

ومتى حزت واحدة منها لا مفر لك أن تعجب كيف استطعت فيما مضى أن تستغني عنها .

الثلاجة التي تختلف عما سواها

Servel سرڤيل

Servel. Inc., International Division. 20 Pine St., N.Y. 5, N.Y. U.S.A.


Coca-Cola

[تتمة مقالة الغلاف]

ألقت نظرة تبرّم على الرجلين المنصرفين إلى القراءة ، ثم فتحت حقيبتها وأخرجت منها كتاباً صغيراً أزرق الغلاف ، فنظرت فإذا عنوانهُ «(دت بست)» طبعة ريدرز دايجست باللغة النرويجية . وصرت ألتفت إليها في الحين بعد الحين فأرى شفتيها تكادان تفترّان عن ابتسامة وهي تقرأ جملة هنا وقطعة هناك .

ونظرت إلى الرجل الثالث وقلت في نفسي : « وأنت يا صاحبي ، ألا تنوى أن تنضمّ إلى هذه الجماعة الدولية من القراء ؟ » . وكأن هذا الخاطر نفسه قد ألحّ عليه ، فسرعان ما ألفيتهُ انصرف عن التأمل في أشجار الغابة ، فأخرج من جيبه كتاباً أخضر الغلاف — الطبعة الأمركية من ريدرز دايجست .

ومضى القطار يخبُّ بنا في فنلندة ، أربعة من الناس من بلاد مختلفة ، يقرأون مجلة واحدة في أربع لغات . فأحسست ، وأنا الفنلندية على أرض فنلندية ، أني غريبة بينهم ، فلما جاء بائع الصحف ينادى على باب العربة في المحطة سألته : « أعندك ڤاليتوت پالات ؟ »

فقال : « طبعاً ، لم يبق عندى سوى نسخة واحدة ، هى لك يا سيدتى . » فاشتريتها .

وصرتُ أسأل نفسى ، ترى متى يدرك الركبُ أنهم جميعاً يقرأون مجلة واحدة فى خمس لغات ؟ واتصل الحديث بينى وبين السيدة النرويجية ، فجعلنا نقابل بين الكتابين اللذين بين أيدينا ونقارن بين محتوياتهما . وبعد قليل اشترك الدنمركىّ معنا فى الحديث ، وتبعهُ الرجلان الآخران . وألفينا أنفسنا نتحدث تارة بلغة ، ثم بأخرى ، ونتمنى أن يمكننا ذلك من أن نحسن التعبير عما نرى فى هذا التبادل الفكرى .

وقد سرّنا وأدهشنا أن نكون جميعاً أعضاء فى جماعة واحدة من القراء ، وعجبنا لذيوع هذا العالم ، وسعة انتشار هذه المجلة الدولية .

وقد تبيّن لنا ونحن نتحدث ، أن هناك على الرغم من اختلاف قومياتنا ، شيئاً كبيراً نشترك فيه جميعاً ، من حيث نحن بشر . فقد بلا معظمنا منذ عهد قريب شقاء الجوع والبرد والحرمان ، ورزئنا بمحنة الاستبداد أو استبدّ بنا الخوف منه ، بيد اننا لم نر أن هذه المحن الخاصة أو العامة هى أفجع ما نجدهُ فى حياة الناس . كلا ، بل اتفقنا جميعاً — الفرنسى والدنمركىُّ والإنجليزى والنرويجى وأنا — على أن أعدى أعداء البشر فى عصرنا هو فقد الرجاء . وإذا بنا نتبيّن أن كلاً منا لا ينفكُّ يبحث عن كل وسيلة يستطيع أن يتوسل بها فى صراع اليأس — هذا العدو المشترك . وأحسسنا أن هذه المجلة الصغيرة ، التى أمسك كلٌّ منا بنسخة منها ، تزخر بالرجاء فى كلّ صفحة من صفحاتها ، بل تزخر بشيء أعظم من الرجاء وحسب ، فهى تسدى معونة عملية وروحية للناس فى أعظم حرب على الفوضى والقنوط خاض الناس غمارها .

كنا ساعة دخلنا عربة القطار خمسة أغراب . وخرجنا منها خمسة أصدقاء ، بل كنا ستة أصدقاء . ففى جيب كلّ منا صديق الجميع وحليفهم .

خمسة قراء - مختار واحد

بقلم "سرب"
المؤلفة المسرحية والصحفية الفنلندية

مالت الشمس إلى المغيب ساعة خرج بنا القطار من ميناء توركو ميمّماً شطر هلسنكي العاصمة الفنلندية ، ثم أخذ المطر ينهمر .

كان مقعدي فى عربة القطار مجاوراً للنافذة ، وكان رفاقى فى العربة ثلاثة رجال وسيدة ، وقد خيّل إلىّ أن هؤلاء الأغراب قد وطأوا ثرى وطنى أول مرة فى حياتهم، فوددت لو يستطيعون أن يروا أرضنا الجميلة وهى صاحية يغمرها ضياء الشمس .

وقد دأب هؤلاء الرفاق، الذين لا أعرفهم ،على التطلع من النوافذ فى أول الأمر. فلما جاوزنا القرى ، وصار القطار يشقّ طريقهُ فى رحاب مترامية من الغابات ، وهى أكثر ما تراهُ من قطار فى فنلندة ، رأيتهم قد كفوا عن الاهتمام بما يرون .

وأسندت السيدة رأسها إلى وسادة مقعدها وأغمضت عينيها، وألحّ السأم على مسافر ربعة فتثاءب قليلا حتى بدا ضرسهُ المغطّى بالذهب . وهمّ مسافرٌ آخر ، فمدّ يدهُ إلى حقيبة من الجلد الأغبر ، وأنزلها عن رفّ عربة القطار ، وأخرج منها كتاباً صغيراً أصفر قرأت على غلافه اسم : ريدرز دايجست . ونظرت إليه ثانية فخيّل إلىّ أن هذا الكهل الزاخر القوة ، هو رجل إنجليزى ، ثم فتح الكتاب وجعل يقرأه صفحة بعد صفحة دون أن يرفع رأسه عنها .

أما المسافر ذو الضرس الذهبىّ ، فقد ظلّ يراقب صاحبنا الأول كأنهُ رجل أضرّ به الجوع ، فوقعت عينهُ على رجل يأكل لحماً شهيًّا ، وإذا به قد هبّ إلى قدميه ، ودسّ يدهُ فى جيب معطفه المعلق ، حتى استخرج كتاباً صغيراً قرمزىّ الغلاف وكان عنوانهُ. سلكسيون دى ريدرز دايجست — الطبعة الفرنسية ، وجعل يقرأ .

وبعد قليل استيقظت صاحبتنا الجميلة من غفوتها ، ورأت رذاذ المطر المنهمر كأنهُ غشاء رقيق مُسدل ، ضرب بينها وبين سائر العالم . فتنفست الصعداء ، وترفقت فى مسح خديها بقليل من البودرة المعطرة ، وصبغت شفتيها بالأحمر بيدين لا تخطئان، فلما أنجزت هذه المهمة الخطيرة ، بدا عليها أن النشاط قد أخذ يفيض من أعطافها ،

[التتمة على الصفحة السابقة]